أنجيل مرقس قراء ة وتعليق

تأليف يوحنا كرافيذوبولوس

تعريب الأرشمندريت أفرام كرياكوس

مقدمة المترجم

جاءت هذه الترجمة وليدة الأحداث، عندما اضطر المعهد اللاهوتي في البلمند أن يقفل أبوابه لمدة ثلاث سنوات وانتقل الطلاّب إلى مدينة تسالونيكي في اليونان لكي يتابعوا دروسهم اللاهوتية. وكنت أنا بينهم فكان لي الحظ مع بقية رفاقي في التعرّف على مدينة تسالونيكي الرسولية وتعلّم اللغة اليونانية، وكذلك استنشاق الأجواء الرهبانية في الجبل المقدّس (جبل آثوس).

ولقد جاء إنجيل مرقس كإحدى المواد الرئيسية في السنة الأولى لدراستنا في كلية اللاهوت التابعة لجامعة تسالونيكي، وذلك على يد الأستاذ الطيب واللطيف المعشر كارافيذوبولوس Karavidopoulos أستاذ العهد الجديد في الجامعة المذكورة.

كان يتحلّى هذا الأستاذ باللغة السهلة والأسلوب الواضح وقد جاء كتابه وتفسيره لإنجيل مرقس متوازناً جداً يجمع بين النهجي العلمي والروحي، مع هاجس إظهار وجهة نظر الكنيسة الأرثوذكسية من كل المسائل المهمة المطروحة.

لذلك يفيد كتابه اللاهوتي كما يفيد القارئ البسيط والمصلّي. يفيد المبتدئ كما يفيد الشارح. إنه لا يتضمن تفاسير نقدية موسّعة لكنه يحرص على عرض كل فكرة بوضوح علمي وروحي، آخذاً بعين الاعتبار آراء آباء الكنيسة وكذلك آراء أهم التيارات التفسيرية المعاصرة. وبالإضافة إلى ذلك يأتي تفسير كل مقطع بالمقارنة مع ما ورد في الأناجيل الإزائية. لقد وجدت فيه تلبية لحاجة ماسة في كنيستنا وعند شبابها المؤمن. واستجاب المسؤولون القيّمون على منشورات النور المباركة أن يُدخلوا هذه الترجمة المتواضعة في سلسلة الدراسات الكتابية، بعد أن أنجزت رهبنة دير مارجرجس الحرف تفسير إنجيل يوحنا البارز. أقدم هذه الترجمة إلى كل عاشق لكلمة الله المحيية عسى أن تكون نبراساً لنهضة القلب الروحية إلى ربنا ومخلصنا يسوع المسيح رجائنا الوحيد في هذا العالم المظلم، الذي به يليق كل مجد مع الآب والروح القدس إلى الأبد. آمين.

المترجم ٨٧/٧/٢٧

الإصحاح الأول

أ – البدايات المسيانية
١: ١-١٣

سابق المسيا (١: ١-٨):

"بَدْءُ إِنْجِيلِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ اللهِ،" (مرقس١: ١).

يشكل المقطع (١: ١-٨) مقدمة لإنجيل مرقس. يتضمن كرازة يوحنا المعمدان سابق المسيا وأعماله. بينما يبدأ متى إنجيله ينسب يسوع وولادته، ويبدأ لوقا بولادة يسوع وما سبقها من حوادث (البشارة بولادة يوحن، ولادته، بشارة والدة الإله...)، يعتبر مرقس بداية الإنجيل كرازة يوحنا المعمدان المهيّئة لطريق المسيا. كذلك يبدأ الإنجيل الرابع بتجسد الكلمة الكائن منذ الأزل، وبشهادة يوحنا عن المسيا الرافع خطيئة العالم. لنشر هنا إلى التطابق بين الكلمة الأولى "بدء" التي يستهل بها إنجيل مرقس الأقدم زمني، وبين أول كلمة ترد في إنجيل يوحنا "في البدء كان الكلمة ..."، وأيضاً أول سفر التكوين "في البدء خلق الله والسماوات والأرض".

انطلاقة إنجيل مرقس بعرض كرازة يوحنا وأعماله لا تبغي فقط هدفاً تاريخياً بل أيضاً هدفاً لاهوتياً أعمق: لقد ذاع خبر انتظار ظهور أحد الأنبياء في العالم اليهودي المعاصر لزمن العهد الجديد. هذا النبي سوف يسبق المسيا. وكان الكثيرون يعتقدون أن إيليا هو النبي المنتظر. كانت الكنيسة المسيحية الأولى تعتقد، كما يظهر من خلال مناقشة حول هذا الموضوع بين يسوع وتلاميذه (أنظر مر ٩: ١٣ متى ١٧: ١٢-٣١)، أن النبي المذكور جاء بشخص يوحنا. من هنا فإن ظهور المعمدان وأعماله تدل على بداية الأزمان المسيانية، أي عهد المسيا وقرب ملكوت الله. ليس المعمدان مجرد "الناسك" في البرية (ونعلم كم يحتل يوحنا من مكانة خاصة في الروحانية الأرثوذكسية وبخاصة في الرهبنة)، بل هو أيضاً "السابق" الذي يعدّ الناس عن طريق الكرازة بالتوبة والمعمودية بالماء، لكي يقتبلوا المسيا (حسب الأناجيل الإزائية)، والذي يشهد للمسيا قائلاً: "هوذا حمل الله" (حسب الإنجيل الرابع).

العبارة الأولى التي يستهل بها الإنجيلي كتابه تحمل مضمون هذا الكتاب: "إنجيل يسوع المسيح" أي البشارة السارة لغلبة المسيح على الشرّ السائد في العالم، على الفساد والخطيئة المتسلطة على البشر، على الموت المسيطر على الجميع. العبارة "يسوع المسيح" يمكن أن تؤخذ بمعنى موضوعي وتعني: الإنجيل الذي يتكلم عن يسوع المسيح، أو بمعنى شخصي (كفاعل) وعندئذ تُظهر يسوع

المسيح كارزاً أو بالأحرى صانعاً "الإنجيل". هذه الكلمة معروفة في النصوص اليونانية القديمة وهي تعني البشارة السارة (adgelion ،ev) لغلبة م، أو ربما كانت تعني المكافأة التي يأخذها حامل البشرى، أو قد تكون الذبيحة التي كانت تقدم للآلهة عند سماع خبر الغلبة المفرح.

أما الخبر المفرح الذي كانت تحمله كرازة الكنيسة الأولى فهو غلبة الله بصليب المسيح على قوات الشر المظلمة، وبداية عصر جديد للإنسانية، عصر يعطي الناس إمكانية العيش بمحبة. في كلمة "إنجيل" تكمن كامل كرازة يسوع وتالياً كرازة الكنيسة بيسوع المسيح. وبعدها أخذت الكلمة تعني مجازياً كتب العهد الجديد التي تتكلم عن نصرة المسيح على القوات الشيطانية بصليبه وقيامته.

يدعى يسوع المسيح في أول جملة من الأناجيل بأنه "ابن الله". هذا اللقب الخريستولوجي سوف نلتقي به كثيراً أثناء متابعة النص (أنظر ١: ١١، ٣: ١١، ٩: ٧، ١٣: ٣٢ إلخ). يصنع يسوع عجائب، يظفر بصليبه على الشيطان، ويقوم كمسيا له قوة إلهية كابن الله.

" ٢ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَنْبِيَاءِ:«هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي، الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ. ٣ صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ، اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً»." (مرقس١: ٢-٣).

إن يوحنا المعمدان، كما سبق وقلن، يعلن مسبقاً ويهيء لعمل المسيا فيما بين الناس. إن ظهوره وكرازته تتميم لنبوءات العهد القديم المتعلّقة به. يضع مرقس في بداية إنجيله مقاطع من العهد القديم – الأمر الذي لا يحصل عنده كثيراً كما عند متى – ويريد بذلك أن يُظهر أن الحوادث التي تأتي في بداية "إنجيل يسوع المسيح" تشكل تحقيقاً للمشيئة الإلهية كما كُشف عنها بالتدريج في العهد القديم. إن النبوءة التي وردت في الآيتين ٢و٣ منسوبة حسب غالبية المخطوطات

إلى أشعي، ولكن في الواقع يأتي الجزء الأول أي الآية ٢ من سفر الخروج ٢٣: ٢٠ (أنظر أيضاً ملاخي ٣: ١) حيث يعد الله شعبه أنه سوف يقوده في البرية بواسطة شخص مُرسل من قبله ("هاأنذا أرسل ملاكي وجهك لكي يحفظك في الطريق ويأتي بك إلى الموضع الذي أعددته لك")، ها أنذا والنصف الثاني فقط أي الآية ٣ مأخوذ من أشعيا ٤٠: ٣ (صوت صارخ في البرية أعدّوا طريق الرب، اجعلوا سبله مستقيمة...") تشير بعض المخطوطات إلى عدم صحة

العبارة "عند أشعيا النبي" و يصححونها كما يلي "عند الأنبياء". وهذه المخطوطات هي التي يعتمد عليها الإنجيل الذي يقرأ في الكنيسة. إن نبوءة أشعيا تذكر أصلاً وعد الله بعودة الشعب الإسرائيلي من سبي بابل إلى أرض الأجداد. وبعد ذلك بدأ هذا الوعد يأخذ معنى مسيانياً. لم يكن الشعب الإسرائيلي فقط المسبي بل الإنسانية جمعاء. وينتظر المسيا لكي يحررها من عبودية الشيطان. يكرز يوحنا في الصحراء، وتحقيقاً للنبوءة المذكورة أعلاه، يهيء الشعب لكي يتقبل هذا التحرّر.

" ٤ كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَيَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا. ٥
وَخَرَجَ إِلَيْهِ جَمِيعُ كُورَةِ الْيَهُودِيَّةِ وَأَهْلُ أُورُشَلِيمَ وَاعْتَمَدُوا جَمِيعُهُمْ مِنْهُ فِي نَهْرِ
الأُرْدُنِّ، مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ." (مرقس١: ٤-٥).

يظهر عمل يوحنا حسب الآية الربعة مزدوجاً: فهو يعمّد الشعب ومن جهة ثانية يكرز بالتوبة "المغفرة الخطايا". لنر أولاً ما هو معنى معمودية يوحنا. يقول الكثيرون، خاصة بعد اكتشاف مخطوطات البحر الميت، إنها مرتبطة بتطهير الأسانيين وبغسلهم (لأنه حسب هذه النظرية ربما قضى يوحنا طفولته بين جماعة الأسانيين قرب البحر الميت لأن الأسانيين كانوا يأخذون الشباب منذ الصغر). لكن الفرق بين معمودية يوحنا ومعمودية الأسانيين هو أن يوحنا كان يعمّد مرة واحدة بينما الأسانيون يعمدون يومياً. يأخذ بعض المفسرين الآخرين بالقول أن يوحنا استخدم نموذج معمودية الدخلاء من الوثنيين لأن هؤلاء كانوا يُقبلون إلى اليهودية مع إلزامية المعمودية. ويربط البعض الآخر بحركة المعمودية العامة التي كانت معروفة آنذاك في فلسطين. ومن الآية الخامسة نستنتج أن المتقدمين إلى المعمودية كانوا من أورشليم ومنطقة اليهودية. وبالتالي الأصح القول أن معمودية يوحنا لها طابع استعداد للزمن المسياني. كان المعمدان يعي مجيء المسيا القريب وفي الوقت نفسه حاجة الشعب لأن يتطهر استعداداً لقبول المسيا. ولذلك كان يعمّد ويعرّف الناس حتى يستقبلو، وهم أنقياء، المسيا الذي سيمنحهم غفران الخطايا.
هكذا فإن العبارة "لمغفرة الخطايا" كما شرحها ثيوفيلكتوس تعني ما يلي:
معمودية يوحنا تهيء الشعب لمعمودية المسيح بالروح القدس حيث يعطي المسيح غفران الخطايا.

وكرازة التوبة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمعمودية يوحنا. ينقل لنا الإنجيلي متى الجملة التالية في كرازته: "توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات" (متى٣: ٢). إن مبرر التوبة كامن في اقتراب الملكوت الذي يأتي ليكرز به ويؤسسه. لقد كرز أنبياء العهد القديم بالتوبة لكي يجبروا الله بطريقة ما على الإتيان بملكوته. واعتقد يوحنا بوحيه الإلهي أن العصر المسياني آت ولذلك كان يكرز بالتوبة كونها العمل المباشر والموقف البشري الصحيح وحده لاستقبال المسيا. والتوبة تعني التغيّر الوجودي

الكامل والجذري، العودة من عبودية الخطيئة إلى حرية أبناء الله. إن موضوع التوبة سوف يسود أيضاً بعد قليل في كرازة يسوع الذي بطريقة واضحة وسيدية سوف يؤكد على ضرورة التوبة لا لأن ملكوت الله قد اقترب فحسب بل لأنه قد أتى في شخص الكارز به يسوع المسيح.

"٦ وَكَانَ يُوحَنَّا يَلْبَسُ وَبَرَ الإِبِلِ، وَمِنْطَقَةَ مِنْ جِلْدٍ عَلَى حَقْوَيْهِ، وَيَأْكُلُ جَرَادًا وَعَسَلاً بَرِّيًّا." (مرقس ١: ٦).

إن وصف يوحنا في هذه الآية لابساً "وبر الإبل" و"منطقة من جلد على حقويه"، يأكل "جراداً" (أي حشرات كانت تشكل الطعام المعتاد في البرية) و"عسلاً برياً" (الذي يعطيه النحل في أوان المطر والذي يستخرج من قشرة بعض الأشجار)، هذا الوصف يذكرنا بوصف العهد القديم لإيليا (أنظر ٤ ملوك١: ٨). والمعلوم كما ذكرنا سابقاً حسب تقليد الكنيسة الأولى أن إيليا قد أتى بشخص يوحنا المعمدان، هذا التقليد الذي يثبته يسوع نفسه في متى ١١: ١٤ حيث يقول بوضوح "إن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي".

"٧ وَكَانَ يَكْرِزُ قَائِلاً:«يَأْتِي بَعْدِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَنْحَنِيَ وَأَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ. ٨ أَنَا عَمَّدْتُكُمْ بِالْمَاءِ، وَأَمَّا هُوَ فَسَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ»." (مرقس ١: ٧-٨).

إن يوحنا المعمدان في كرازته للشعب يصف المسيا على أنه أقوى منه. أمام هذا المسيا القوي (أنظر الوصف في أشعيا ٩: ٥، ١١: ٢) لا يستطيع يوحنا أن يحسب نفسه حتى عبداً له. في الواقع كان "حل سيور حذائه" يعتبر من أحقر الأعمال لذلك كان يقوم به العبيد. حسب القول الرباني ينبغي للتلميذ أن يقدم لمعلمه كل الخدمات التي يقدمها العبد لسيده ما عدا حل سيور حذائه.

جدير بنا أن نؤكد أن الإنجيليين يسعون لإبراز تفكير يوحنا المتواضع. ربما صحّت النظرية القائلة بأنهم يفعلون ذلك بدافع التوجه على تلاميذ يوحنا المتبقين معه (أنظر أعمال الرسل ١٩: ١ ...) الذي يعتبرون معلّمهم المسيا. فيقول الإنجيليون لهم أن يوحنا نفسه اعترف أنه ليس المسيا بل السابق له. وبغض النظر عن صحة وجهة النظر هذه أم ل، يجب على قارئ الإنجيل اليوم أن ينظر باهتمام إلى تفكير يوحنا المتواضع الذي مع كونه يعيش في زمن حرارة مسيانية ويواجه باستمرار مظاهر الإعجاب والاعتراف به من قبل كل سكان اليهودية (الآية ٥)، مع

كل ذلك لم يستسلم لتجربة اعتبار نفسه أرفع مما هو عليه (كما كان يحصل مع كثير من المسحاء الكذبة في ذلك الزمن)، لقد أوصل إلى النهاية رسالته وهيأ درب المسيا.

يعرف يوحنا جيداً أنه يعمّد بالماء وأن المسيا الآتي سوف يعمّد الإنسانية "بالروح القدس" (الآية ٨). كانوا يتوقعون زمن المسيا كزمن انسكاب الروح القدس (أنظر يوئيل ٣: ١-٥، أعمال الرسل ٢: ١-١١). في الواقع نرى يسوع يصنع عجائب بالروح القدس، يعطي وعداً بإرسال المعزي الآتي من الأب ويؤسس الكنيسة التي "يجمعها" الروح القدس.

معمودية يسوع:

"٩ وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ جَاءَ يَسُوعُ مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ وَاعْتَمَدَ مِنْ يُوحَنَّا فِي الأُرْدُنِّ. ١٠ وَلِلْوَقْتِ وَهُوَ صَاعِدٌ مِنَ الْمَاءِ رَأَى السَّمَاوَاتِ قَدِ انْشَقَّتْ، وَالرُّوحَ مِثْلَ حَمَامَةٍ نَازِلاً عَلَيْهِ. ١١ وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ:«أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ»." (مرقس١: ٩-١١، متى٣: ١٣-١٧، لوقا٣: ٢١-٢٢).

في الآية ٩ يربط الإنجيلي بطريقة ركيكة وبدون تحديد زمني قريب بين معمودية يسوع وكل ما قاله سابقاً (١: ١-٨) بخصوص كرازة يوحنا المعمدان. لا يهتم كالكاتب المؤرخ بتحديد زمن الحدث الوارد، بل كلاهوتي موحى له من الله يهتم بالحدث بحدّ ذاته وبمعناه الذي يصل على أوجه بصوت الله الآتي من السماء.

"من ناصرة الجليل" جاء، مع العلم أن يسوع قد ولد في بيت لحم اليهودية وفقاً لما جاء في النبوءات المتعلقة بذلك في العهد القديم. يعتبر الإنجيليون أن الناصرة هي وطنه حيث أقام مع عائلته. إن مجيء يسوع كمسيا من الناصرة يشكك بعض اليهود (أنظر يوحنا ١: ٤٦) لأن ذلك المكان لم يكن ذا شأن، لكن ارتباط الناصرة باسم يسوع (الناصري) جعلها مشهورة في أقطار المسكونة.

الكلمة "للوقت" الواردة في الآية ١٠ تدلّ على أن يسوع، على عكس المعمَّدين الآخرين الذين يعترفون بخطاياهم إلى يوحنا وهم داخل المياه، خرج للوقت بدون خطيئة. إن انفتاح السماوات ونزول الروح يدلان على اللحظة الفائقة والبارزة حين تظهر فيها شركة الآب والابن والروح القدس. ولا يذكر الإنجيلي أن كان ذلك مرئيا لدى الآخرين ما عدا يسوع. إن نزول الروح بشكل حمامة له، حسب آباء الكنيسة، ارتباط وشبه مع حمامة نوح بالمعنى التالي: كما أن الحمامة الحاملة غصن الزيتون دلّت آنذاك على نهاية الطوفان، هكذا نزول الروح الآن بشكل حمامة

يدل على نهاية الخطيئة وبداية عصر جديد للإنسانية، يجمع الكنيسة ويقودها إلى "الحقيقة كلها" (يوحنا١٦: ١٣).

إن صوت الله من السماء "أنت هو ابني الحبيب الذي به سررت" يعيد إلى الأذهان المزمور ٢: ٧ "أنت ابني" ومقطع أشعيا ٤٢: ١ "هوذا عبدي". يُعترف بيسوع، في هذه اللحظة المهمة من بداية نشاطه العام العلني، ويُكرز به كابن الله المحبوب الذي يأخذ على عاتقه عملاً صعباً وهو عمل عبد الرب المتألم الذي تكلّم عنه أشعيا النبي (٤٢: ١...، ٥٢: ١٣، ٥٣: ١٢) والذي يصل إلى كماله عبر الآلام على الصليب.

ابن الله وعبد الله صفتان مسيانيتان مميزتان سوف ترافقان يسوع في كل نشاطه الأرضي.

في لحظة اعتماد يسوع من يوحنا في نهر الأردن، في شركة رؤيوية للسماء مع العالم الأرضي يظهر الثالوث الأقدس: إن الله الآب يعترف بيسوع ابنا له محبوب، ينصبه على العرش كميس، لا كملك أرضي حسب توقعات الشعب اليهودي الغليظة، بل كمسيا متواضع يأخذ على عاتقه عملاً مضنياً هو عمل عبد الله المتألم. يتقبل الرب يسوع هذا العمل بوداعة وطاعة، ويبقى أميناً له حتى موت الصليب. فيأتي الإنجيليون ويسردون الحدث وفي ذهنهم أوصاف العبد المتألم الذي تكلم عنه أشعيا في الفصول ٥٢ و٥٣ (تتلوها الكنيسة في يوم الجمعة العظيم). إن الروح القدس النازل على يسوع يمنح بصورة دائمة إلى الإنسانية بمثابة ختم خاص مميز للعهد الجديد (١)، كعطية الأزمان الأخيرة التي يتكلم عنها العهد القديم. تتحقق وعود الله الآن في الإنسانية الجديدة التي هي الكنيسة، حيث يتنعم فيها المؤمنون بمواهب وعطايا الروح القدس، كتذوق سابق للملكوت الآتي. يرتبط الروح القدس عضوياً بعمل يسوع المسياني، يجمع الكنيسة ويقودها إلى "الحقيقة كلها".

تجربة المسيّا:

"١٢ وَلِلْوَقْتِ أَخْرَجَهُ الرُّوحُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ، ١٣ وَكَانَ هُنَاكَ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يُجَرَّبُ مِنَ الشَّيْطَانِ. وَكَانَ مَعَ الْوُحُوشِ. وَصَارَتِ الْمَلاَئِكَةُ تَخْدِمُهُ." (مرقس١: ١٢-١٣).

كما في الأناجيل الإزائية الأخرى: متى(٤: ١-١١) ولوقا (٤: ١-١٣)، هكذا أيضاً في مرقس تأتي تجربة يسوع في البرية مباشرةً بعد المعمودية أي بعد تنصيب يسوع مسيا. والبرية حسب مفاهيم ذلك العصر هي مكان سكن الشيطان

والقوات الشريرة. لذلك يسوع، مرشداً من قبل الروح الذي نزل عليه في المعمودية، ينتقل إلى البرية قبل أن يبدأ نشاطه العلني لكي يواجه الشيطان. كما يظهر من الروايات التفصيلية عند متى ولوق، نجد هدف الشيطان وضع العثرات أمام عمل يسوع وإبطال مجيء ملكوته بمحاولة إدخال الفكرة اليهودية إلى الأذهان عن المسيا كحاكم أرضي. إن مرقس بإيجاز شديد في البداية يُظهر يسوع مجرباً من الشيطان لأربعين يوماً دون أن يذكر نوع التجربة أو مضمونها. وهو بذلك يريد أن يبرهن أن عمل يسوع يبدأ بجهاده ضد الشيطان. هذا العمل الذي سوف يستمر طيلة حياته لكي يصل إلى قمته على الصليب حيث يخرج منه يسوع ظافراً بالقيامة.

إن فترة الـ ٤٠ يوماً لبقاء يسوع في البرية تذكرنا بحوادث متنوعة لإسرائيل القديم، مثلاً بتيهان الشعب الإسرائيلي طيلة ٤٠ سنة في البرية، بمسيرة النبي إيليا في البرية ٤٠ نهاراً وليلة (٣ملوك ١٩: ٨)... يذكرنا ذكر "الوحوش" بوصف الفردوس القديم في سفر التكوين حيث كان الإنسان قبل السقوط في علاقات سلمية مع الطبيعة وعالم الحيوانات. في الواقع يربط الكثيرون من آباء الكنيسة بين تجارب يسوع في البرية وسقوط آدم في الفردوس لكي يؤكدوا أم المسيا يمثل الإنسانية الجديدة بظفره على الشيطان الذي سقط أمامه الإنسان الأول أعني آدم (يوستينوس، ايريناوس، يوحنا الذهبي الفم، كيرلس، ثيوذورتس القورشي...).

تذكر خدمة الملائكة (التي يمكن أن نفهم من خلالها إيجاد الطعام بطريقة عجائبية) بمفهوم اليهود الرؤيوي الذي بموجبه، وعند جهاد الإنسان ضدّ الشيطان، تظهر ملائكة الله مؤيدة ومشددة. الملائكة طردت آدم من الفردوس عند معصيته، والملائكة تخدم يسوع الظافر على الشيطان.

ب – عجائب المسيا ومقاومته لممثلي اليهودية
١: ١٤ – ٣: ٦

الكرازة الأولى:

" ١٤ وَبَعْدَمَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ اللهِ، ١٥ وَيَقُولُ:«قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ»". (مرقس١: ١٤-١٥).

يبدأ يسوع كرازته من الجليل (أنظر متى ٤: ١٢-١٦ حيث يستند هذا الاختيار التفضيلي إلى نبوءة خاصة به من العهد القديم) بعد القبض على يوحنا المعمدان. تكمن الكرازة الأولى الواردة عند الإنجيلي مرقس بشكل موجز في هذه الجملة: "

قد كمل الزمان و اقترب ملكوت الله، فتوبوا و آمنوا بالإنجيل". هذه الكرازة هي "إنجيل ملكوت الله". "الزمان" هو فكرة تحمل محتوى رؤيوياً خاصاً. هو اللحظة الزمنية المناسبة التي يحدّدها الله ليعلن عن مشيئته ولأجل خلاص البشر. هو ما يسميه الرسول بولس "ملء الزمان" (غلا٤: ٤)، أي زمان مجيء ملكوت الله الذي ينتظره شعب الله منذ وقت طويل.

يكرز يسوع بهذا الملكوت الآتي. الفعل "اقترب" يعني أصبح قريباً جداً. وصل وأصبح واقعاً. من هنا الحث على التوبة الذي لا يشكل، حسب التعليم اليهودي، شرطاً من أجل مجيء الملكوت بل دعوة مستعجلة ناتجة عن حدث مجيء ملكوته.

ملكوت الله:

عندما يتكلم يسوع عن ملكوت الله لا يقول شيئاً مجهولاً لدى سامعيه. كانت هذه التسمية مألوفة عندهم وتشكل موضوع رجائهم. لقد جعلت الخبرة التاريخية الأليمة للشعب الإسرائيلي، الواقع باستمرار تحت نير أجنبي وتحت سلطة أجنبية، انتظار ملكوت الله أمراً مهماً. وكان هذا الانتظار يُرافق برجاء إصلاح وطني سياسي للشعب تحت إمرة مسيا سياسي يمنح، بعد تطويعه لكل الأمم، الشعب الإسرائيلي السلام المنشود. كان هذا هو المفهوم السائد عند الشعب، بينما نجد في النصوص الرؤيوية اليهودية (وهي نصوص منحولة من الفترة الواقعة بين العهدين القديم والجديد) صدى لمفهوم أسمى عن ملكوت له ميزة تتجاوز المفاهيم الشعبية.

تحديد ملكوت الله:

أمام توقعات الشعب الوطنية الضيقة الغليظة، شدّد يسوع على الميزة الروحية الاسختولوجية (الأخروية لملكوت الله: ليس ملكوت الله مملكة محدّدة بل هو حالة جديدة تتخذها الأمور داخل العالم، حياة جديدة لا تأتي من أعمال الناس بل من تدخُّل الله في العالم. إن هذا التدخل يصل على أوجه في مرحلة من التاريخ الإنساني وهي عند مجيء المسيح. في شخصه يبدأ الملكوت، اكتماله ونهايته يشكلان الحدث المرتقب والمرتبط بمجيء المسيح الثاني. في بعض تعاليمه، يؤكد يسوع على حقيقة واقع الملكوت داخل العالم. بينما في تعاليم أخرى وخاصة في بعض الأمثال، يعبّر عن ضرورة السهر توقعاً لملكوت الله الآتي فجأة في المستقبل

بشكله المكتمل. لا نستطيع أن نشدّد على أحد الجانبين الكامنين في الكرازة بالملكوت لأن كليهما موجودان في كرازة يسوع التي وصلتنا في الأناجيل. إن المفسرين الذين يشدّدون كثيراً على الجانب الأول هم أتباع لِما يُدعى "بالأخروية المحققة"، ويمثل هذه المجموعة المفسّر الإنكليزي (C. H. Dodd). هؤلاء يهملون عدداً كبيراً من الأمثال التي تتلكم عن السهر الدائم والانتظار. بينما يؤمن مؤيّدو ما يُدعى "بالأخروية المنتظرة" (A. Schweitzer ،J. Weiss). بأن يسوع كرز بالملكوت الآتي. هؤلاء أيضاً يخطئون لأنهم لا يميّزون بين يسوع والكتّاب اليهود الرؤيويّين. إنهم يتكلمون عن الملكوت كحدث مرتقب فقط مهملين الفرق الأساسي بين اليهودية والمسيحية الذي بموجبه لا يؤكِّد فقط على المستقبل المنتظر بل وأيضاً على الحاضر الذي يتضمّن التجسّد والصليب وقيامة المسيح.

فلنؤكد مرة أخرى على الطابع الروحي للملكوت الذي يكرز به يسوع. إنه يشكل واقعاً جديداً داخل العالم، حياة جديدة تسود فيها المحبة بدل البغض، الإيمان عوض الشك، الرجاء بالمستقبل الآتي عوض اليأس. هو حالة جديدة لعلاقات الإنسان مع الله ومع أخيه الإنسان (أنظر كتاب يونّيذو B. loannidou "ملكوت الله بحسب العهد الجديد"، أثين، ١٩٥٥).

دعوة التلاميذ الأول:

"١٦ وَفِيمَا هُوَ يَمْشِي عِنْدَ بَحْرِ الْجَلِيلِ أَبْصَرَ سِمْعَانَ وَأَنْدَرَاوُسَ أَخَاهُ يُلْقِيَانِ شَبَكَةً فِي الْبَحْرِ، فَإِنَّهُمَا كَانَا صَيَّادَيْنِ. ١٧ فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ:«هَلُمَّ وَرَائِي فَأَجْعَلُكُمَا تَصِيرَانِ صَيَّادَيِ النَّاسِ». ١٨ فَلِلْوَقْتِ تَرَكَا شِبَاكَهُمَا وَتَبِعَاهُ. ١٩ ثُمَّ اجْتَازَ مِنْ هُنَاكَ قَلِيلاً فَرَأَى يَعْقُوبَ بْنَ زَبْدِي وَيُوحَنَّا أَخَاهُ، وَهُمَا فِي السَّفِينَةِ يُصْلِحَانِ الشِّبَاكَ. ٢٠ فَدَعَاهُمَا لِلْوَقْتِ. فَتَرَكَا أَبَاهُمَا زَبْدِي فِي السَّفِينَةِ مَعَ الأَجْرَى وَذَهَبَا وَرَاءَهُ.".
(مرقس ١: ١٦-٢٠، متى ٤: ١٨-٢٢، لوقا ٥: ١-١١).

يبدأ نشاط يسوع العلني بدعوة التلاميذ الأول الذين كانوا يتعاطون الصيد في "بحر الجليل" المدعّو في مكان آخر "بحيرة جنيسارت" أو "طبريا". يتكلّم الإنجيلي عن اختيار التلاميذ الـ ٢ في ٣: ١٣-١٩. أمّا بالنسبة لدعوة كل واحد على حدة فلا يذكر شيئاً عن ذلك سوى ما جاء في هذا المقطع حيث يتكلم عن سمعان وأندراوس ويعقوب ويوحن، وفي ٢: ١٣ ... حيث يتكلم عن لاوي أي متى.

يعطي هذا الحدث انطباعاً أن التلاميذ الأربعة يتقبلون الدعوة للحال، و"للوقت" يتركون شباكهم ويتبعون يسوع. ولكننا نعتقد أنهم قد سبق وعرفوه كما يستنتج من رواية الإنجيلي الرابع (١: ٣٥...). لا يفتش الإنجيلي على أن يعطينا

معلومات تفصيلية عن كيفية معرفتهم ليسوع بل يسعى أن يبرز لنا نموذجاً عن كيفية تقبل أتباعه للدعوة الإلهية. يترك التلاميذ الشباك وأباهم والمركب لكي يخدموا مثالاً أسمى ويصبحوا "صيادي الناس". لقد عرف ذلك العصر محاولات عديدة لاجتذاب الناس إلى تعليم ما أو إلى إحدى الجماعات الدينية الفلسفية. يُدعى الصيادون الأربعة من قبل زعيم الإيمان الجديد لكي يصطادوا المسكونة بشباك الكنيسة التي هي خزينة النعمة والخلاص. من هنا إنهم سيبقون دائماً إلى جانب يسوع لكي يحصلوا في النهاية، من يد القائم من بين الأموات، على وصية نقل بشارة القيامة "إلى أقاصي الأرض".

يجب علينا أيضاً أن نؤكد أن يسوع لا يفتش عن معاونيه بين أعضاء الطبقة الكهنوتية اليهودية أو الطبقة الدينية الحاكمة (الفريسيون والكتبة) أي ليس بين المعتَبرين أتقياء وأبرار، بل بين ممثلي الشعب الذين ربّما لا ينتمون، حسب رأي الرؤساء الدينيين، إلى الطبقة المختارة بل يُعتبرون خطأة وجاهلين للناموس. ونلاحظ أيض، على عكس العادة اليهودية التي بموجبها يفتش التلاميذ عن معلّم لكي يتتلمذوا عليه ويتعلّموا منه الناموس، أن يسوع هو الذي يبحث عن تلاميذه ويدعوهم (أنظر يوحنا١٥: ١٦ "لستم أنتم الذي اخترتموني بل أنا هو الذي اخترتكم").

الخلاصة:

من الواضح إذاً أنه في محور الرواية الإنجيلية يوجد وجه وشخصية الراعي الذي عندما يختاره تلاميذه الأول، يكون قد اختار هو رؤساء الكنيسة العتيدة التي يجمعها بنفسه ويؤسسها بصليبه وقيامته.

تعليمه وشفاء الرجل الذي كان فيه روح نجس في مجمع كفرناحوم:

" ٢١ ثُمَّ دَخَلُوا كَفْرَنَاحُومَ، وَلِلْوَقْتِ دَخَلَ الْمَجْمَعَ فِي السَّبْتِ وَصَارَ يُعَلِّمُ. ٢٢
فَبُهِتُوا مِنْ تَعْلِيمِهِ لأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ. ٢٣ وَكَانَ فِي
مَجْمَعِهِمْ رَجُلٌ بِهِ رُوحٌ نَجِسٌ، فَصَرَخَ ٢٤ قَائِلاً: «آهِ! مَا لَنَا وَلَكَيَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ؟
أَتَيْتَ لِتُهْلِكَنَا! أَنَا أَعْرِفُكَمَنْ أَنْتَ: قُدُّوسُ اللهِ!» ٢٥ فَانْتَهَرَهُ يَسُوعُ قَائِلاً: «اخْرَسْ!
وَاخْرُجْ مِنْهُ!» ٢٦ فَصَرَعَهُ الرُّوحُ النَّجِسُ وَصَاحَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَخَرَجَ مِنْهُ. ٢٧
فَتَحَيَّرُوا كُلُّهُمْ، حَتَّى سَأَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَائِلِينَ:«مَا هذَا؟ مَا هُوَ هذَا التَّعْلِيمُ الْجَدِيدُ؟
لأَنَّهُ بِسُلْطَانٍ يَأْمُرُ حَتَّى الأَرْوَاحَ النَّجِسَةَ فَتُطِيعُهُ!» ٢٨ فَخَرَجَ خَبَرُهُ لِلْوَقْتِ فِي كُلِّ
الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالْجَلِيلِ.". (مر١: ٢١-٢٨، متى٧: ٢٨، لوقا٤: ٣١-٣٧).

بعد دعوة التلاميذ الأول ينقل الإنجيلي في روايته الانطباع الذي تركه يسوع أمام الشعب من تعليمه "كمن له سلطان"، ومن شفاء الرجل الذي فيه روح نجس. يقع الحدثان في يوم السبت في مجمع كفرناحوم. الكلمة هذه تعني "بيت التعزية"، والمدينة كائنة على بعد ٦ كم من مصب نهر الأردن في بحيرة جنيسارت، وهي تشكل حسب روايات الأناجيل مركز نشاط يسوع أو بالأحرى نقطة انطلاق عمله وعمل تلاميذه.

يتكلم يسوع في المجمع "وكان يمكن لكل عضو من الجماعة أن يطلب الكلام حالاً بعد تلاوة الناموس والأنبياء" لكي يعطي التفسير الخريستولوجي أي التفسير الذي يعتمد على الاستشهاد بمقاطع من العهد القديم تختص بشخص يسوع المسيح وعمله. بهذه الطريقة فهمت الكنيسة العهد القديم. ويستطيع الواحد أن يتأكد من ذلك عند دراسة المؤلفات الآبائية ومن خلال ترانيمنا الكنسية الغنية. كان تفسير يسوع صائب، يفرض نفسه بنفسه، ولذلك أعطى الانطباع لدى الشعب أنه يختلف كثيراً عن تفسير المعلمين اليهود. هؤلاء يستشهدون بآراء معروفة قديمة لكي يدعموا أقوالهم بينما يعلّم يسوع "كمن له سلطان وليس كالكتبة". حسبنا أن نتذكر العبارة "أما أنا فأقول لكم" في الموعظة على الجبل لكي نفهم طريقة تعليم يسوع الفعّالة ولكي نفهم أيضاً تعجب الشعب أمام "تعليمه الجديد".

يتكلم يسوع "بسلطان". ليس مجرد معلّم بسيط بل هو المسيّ، هو ابن الله الذي يكشف ملكوت الله. لا يعتلن الملكوت فقط من خلال الأقوال العجائبية بل أيضاً من خلال الأعمال التي تستدعي إعجاب الشعب. إن مثل هذا العمل يرويه الإنجيلي باختصار من خلال شفاء إنسان كان فيه "روح نجس". فالشيطان يدخل في الناس ويتسلط عليهم عن طريق الأمراض. ورسالة ابن الله هي في "حلّ أعمال الشيطان"، في تحرير الناس من سيادته. إن الشيطان الموجود في المريض يعترف بالبعد الشاسع الذي يفصله عن يسوع "ما لنا ولك"، كما يعترف بقوته "أتيت لتهلكنا" وبشخصيته المسيانية "أنا أعرف من أنت، قدوس الله". إن العبارة "قدوس الله" هي صفة مميزة للمسيّا حسب ما جاء في يوحنا ٦: ٦٩ عند اعتراف بطرس "أنت هو قدوس الله". يتكلم الشيطان تارة بصيغة المفرد "أعرفك" وتارة أخرى بصيغة الجمع "أتيت لتهلكنا"، الأمر الذي يُفسَّر من خلال ازدواجية شخصيته أو من خلال انفصام الشخصية الحاصل بسببه عند المرض.

يطرد يسوع الشيطان بأمرٍ قاطع "اخرس واخرج منه" ويحرر المريض من سيادته. يهمل بعد ذلك الشخص الذي شُفيَ لأن الرواية لا تتكلم عنه ولا تذكر حتى اسمه كما يحصل في العجائب الأخرى. فالوجه الرئيسي في الرواية هو وجه المسيّا الذي له سلطان، الذي يطوّع الشيطان ويحرر الناس من أمراضهم التي ما هي أعراض لخضوعهم لرئيس هذا الدهر. يريد الإنجيلي أن يبرز سلطة المسيّا وصدى

تعليمه وأعماله لدى الشعب فقد انتشر كل ذلك ليس في كفرناحوم فقط بل في "كل الكورة المحيطة بالجليل".

الخلاصة:

يربط الإنجيلي بين "التعليم الجديد كمن له سلطان" والعجيبة كما يلي: يكرز يسوع بأن ملكوت الله قد أتى ويعطي العلامات الظاهرة لمجيء الملكوت عن طريق العجائب المصنوعة. وبسبب كثرة العجائب التي سوف ترد في الإنجيل لا بد لنا هاهنا أن نتكلم عن المعنى اللاهوتي للعجائب.

عجائب المسيح:

يروي الإنجيليون أربعين عجيبة محددة ليسوع ويذكرون إلى جانبها عجائب كثيرة وبالجملة كما في متى ٤: ٢٤ و٨: ١٦، ٤١: ٣٥، مرقس١: ٣٢ وغيرها (٢)، حتى صدقت ملاحظة لوقا بأنه طيلة حياته "جال يصنع خيراً ويشفي المتسلط عليهم إبليس لأن الله كان معه" (أعمال١٠: ٣٨). ومن عجائبه الكثيرة ينتقي الإنجيليون بعض الحوادث المميزة لكي يقولوا لنا من هو يسوع المسيح، ما معنى شخصه وعمله بالنسبة إلى الناس. يستعملون للعجائب التعابير التالية: معجزات، آيات، قوات، غرائب، أعمال إلخ.

ولا يتوانى الإنجيليون عن الإشارة إلى مقاومات الناس لأعمال المسيح العجائبية: الشعب يمجد الله لأنه يستمد من هذه الأعمال حضوره وقوته، بينما لا يستطيع الفريسيون طبعاً أن ينكروا حقيقة أعماله لكنهم ينسبونها إلى تعاون المسيح مع "رئيس الشياطين". وقد حاول بعض العقلانيين Rationalistes في العصور الحديثة "القرون ١٨ و١٩" أن يعطوا تفسيراً عقلانياً طبيعياً للعجائب نازعين عنها الطابع الإلهي الفائق الطبيعة. لا يهمنا هنا أن نقف ضدهم بل يهمنا تفسير النصوص الشريفة التي أمامنا. لنفتش إذاً عن المعنى اللاهوتي لعجائب المسيح التي يرويها الإنجيليون.

١) العجائب بصورة خاصة هي علامات مسيانية فارقة أي أنها دلائل على مسيانية يسوع هذا الذي يصنع مثل هذه الأعمال الغريبة والعجيبة لا يعتبر مجرد واحد من الرجال الخارقين صانعي العجائب، إنه المسيّا المرسل من الله الذي كانوا ينتظرونه لكي يعطي النور للعميان حسب نبوءة أشعيا ٦١: ١...، والحرية للمأسورين من الشيطان، والصحة للمرضى. يسوع نفسه في مواقف مختلفة، كما في الكرازة الأولى في الناصرة(أنظر لوقا ٤: ١٦...) (٣)، وفي مناقشته مع

التلاميذ المرسلين من يوحنا (متى ١١: ٢-٦)، وغيره، يعتبر نبوءات العهد القديم محققة بأعماله. ليست العجائب إذاً مجرّد مواقف عاطفية أمام المتألمين ومظاهر مشاعرية لخدمة البشر بل "علامات" أو "آيات" (حسب التعبير الشائع عند يوحنا الإنجيلي)، علامات زمن جديد، علامات ملكوت الله، دلائل على شخصية وسلطة يسوع المسيانية.

٢) مما سبق نستنتج أن العجائب تدشّن زمناً جديداً في الإنسانية، مع العلم أن هذا الزمن الجديد لم يَسُد بعد بصورة كاملة محددة. العجائب إذاً هي علامات لمثل هذا الواقع الجديد. تشير إلى ملكوت الله، تشير من خلال الظروف الواردة إلى الحالة الأخيرة التي لملكوت الله. كان الشيطان من قبل متسلطاً على الناس مع كل ما ينتج عن هذا التسلّط من مرض، من فساد، من ألم ومن موت. في ملكوت الله هذا الذي يُعلن عنه المسيّا يحققه: يتراجع المرض، الألم، الفساد وأخيراً الموت. هذه هي الحالة النهائية (عودة إلى "الجمال القديم" للفردوس وحتى تجازوه)، وعجائب المسيّا هي التي تسمح لنا أن نتطلع إلى هذه الحالة الأخيرة.

٣) تُصنع العجائب من قبل المسيّا بسلطان، إما بأمر بسيط (من قريب أو بعيد) أو بواسطة عمل ما (مسح العينين بالطين، وضع اليد على الرأس ...). في كل الحالات هذه يتذكر الواحد عمل الله عند الخلق كما هو مكتوب في سفر التكوين الفصل الأول: كما أن الله بمجرّد كلمته خلق كل شيء وجبل الإنسان من التراب، هكذا فإن ابن الله، المسيّ، يعيد خلق الإنسان المفقود والمفسود والمشوّه من الخطيئة، يعيد خليقته بواسطة الكلمة المحيية أو بواسطة عمل ما كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.

من هنا إن العجائب لم تحصل أبداً بطريقة مسرحية لإعطاء مجرد الانطباع العجيب، بل بالعكس كثيراً ما كان المسيح يبتعد عن الجمع قبل أن يصنع العجيبة أو أنه يطلب المحافظة على السرّية من قبل الذين شفاهم إلخ... والمسيح لا يبغي من خلال عجائبه أن يشتهر بل أن يحث على التوبة بالنظر على ملكوت الله. يدعو الناس ويدفعهم إلى التوبة لأنه "قد اقترب ملكوت الله".

٤) من المميز أن المسيح قبل أن يصنع العجيبة كان يسأل عن إيمان المريض الذي هو أمامه أو عن إيمان الذين يرافقونه، أو في حالات أخرى يُقال للمريض أو للمريضة "إيمانك خلّصك"، معتبراً هكذا الإيمان كشرط للعجيبة، بعكس الفريسيين المعاصرين له الذين كانوا يطلبون العجائب لكي يؤمنوا.

شفاء حماة سمعان وعجائب أخرى:

"٢٩ وَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْمَجْمَعِ جَاءُوا لِلْوَقْتِ إِلَى بَيْتِ سِمْعَانَ وَأَنْدَرَاوُسَ مَعَ
يَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، ٣٠ وَكَانَتْ حَمَاةُ سِمْعَانَ مُضْطَجِعَةً مَحْمُومَةً، فَلِلْوَقْتِ أَخْبَرُوهُ
عَنْهَا. ٣١ فَتَقَدَّمَ وَأَقَامَهَا مَاسِكًا بِيَدِهَا، فَتَرَكَتْهَا الْحُمَّى حَالاً وَصَارَتْ تَخْدِمُهُمْ. ٣٢
وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ، إِذْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، قَدَّمُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ السُّقَمَاءِ وَالْمَجَانِينَ. ٣٣
وَكَانَتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا مُجْتَمِعَةً عَلَى الْبَابِ. ٣٤ فَشَفَى كَثِيرِينَ كَانُوا مَرْضَى بِأَمْرَاضٍ
مُخْتَلِفَةٍ، وَأَخْرَجَ شَيَاطِينَ كَثِيرَةً، وَلَمْ يَدَعِ الشَّيَاطِينَ يَتَكَلَّمُونَ لأَنَّهُمْ عَرَفُوهُ.".
(مرقس ١: ٢٩-٣٤، متى٨: ١٤-١٧، لوقا ٤: ٣٨-٤١).

إن الحدث الوارد هنا يشكل تتمة للرواية السابقة. بعد انتهائه من المجمع ذهب مع تلاميذه الأربعة إلى بيت أحدهم والأرجح للطعام. ويظهر أن يسوع كثيراً ما كانت ينتهي إلى بيت عائلة سمعان. من الطبيعي أن نفترض أن كلّما تكلّم الإنجيليون عن "البيت" دون تحديد فإنهم كانوا يقصدون بيت سمعان. كان هذا الأخير متزوجاً (أنظر ١كور ٩: ٥)، يسكن في بيت امرأته العائلي الأبوي حسب العادة في فلسطين. سمع عن مرض حماة تلميذه فشفاها للحال "ماسكاً بيدها" (الآية ٣١). لا يذكر نوع المرض ("قد أخذتها حمى شديدة" حسب لوقا)، والذي يهمّ الإنجيلي هو قوّة المسيّا الذي يشفي الذين يتسلّط عليهم الشيطان أكانوا رجالاً أن نساءً. يعتبر الربّانيون اليهود أنه من غير اللائق بهم أن يتكلموا مع النساء لكن يسوع لا يميّز بين الرجال والنساء. يناقشهنّ، يشفيهن، يأكل معهنّ، يَقبلهن تائبات، يظهر لهنّ بعد قيامته. كل الناس من خليقة الله وقد أتى ابن الله لكي يخلّص الجميع. من هذا المنطلق يأتي تعليم بولس عن المساواة (الخلاصية لا الاجتماعية) بين الرجال والنساء (أنظر غلاطية ٣: ٢٨ وغيرها) "ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحداً في المسيح يسوع". ولذلك برز نشاط النساء "كشماسات" خادمات للكنيسة.

عند المساء بعد غياب الشمس (لأنه كان نهار السبت ولم يستطيعوا أن يفعلوا ذلك من قبل)، "قدَموا إليه جميع السقماء والمجانين" إلى باب البيت. ويلاحظ الإنجيلي بطريقة مميزة "إن المدينة كانت كلها مجتمعة على الباب" (الآية ٣٣). أن يكون يسوع قد شفى الكثيرين، هذا لا يعني أن البعض بقيَ بدون شفاء. الكلمة "كثيرون" لا تأخذ هنا صفة التحديد بل صفة التعجب. تعني هنا أيضاً "الجميع". من هنا نرى في كثير من الأحيان أن الأناجيل الإزائية تستعمل بدل "كثيرين" كلمة "الجميع". وبالفعل فإن متى يقول في روايته إنه "شفى الجميع" (٨: ١٦).

ما نقرأه في الآية الأخيرة له طابع مميز: "ولم يدع الشياطين يتكلمون لأنهم عرفوه" (أي عرفوا أنه المسيح). يمكن للشياطين أن تعترف به أنه المسيح "أي المسيّا" لكن إعلان مثل هذه الصفة المسيانية هو عمل يختص به وبالله الآب، عمل يتم بطريقة تربوية في الزمن وبالطريقة المناسبة. لذلك يَمنع يسوع الشياطين من تسميته بالمسيّا.

الخروج إلى مكانٍ قفر:

"٣٥ وَفِي الصُّبْحِ بَاكِرًا جِدًّا قَامَ وَخَرَجَ وَمَضَى إِلَى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ، وَكَانَ يُصَلِّي هُنَاكَ، ٣٦ فَتَبِعَهُ سِمْعَانُ وَالَّذِينَ مَعَهُ. ٣٧ وَلَمَّا وَجَدُوهُ قَالُوا لَهُ: «إِنَّ الْجَمِيعَ يَطْلُبُونَكَ». ٣٨ فَقَالَ لَهُمْ: «لِنَذْهَبْ إِلَى الْقُرَى الْمُجَاوِرَةِ لأَكْرِزَ هُنَاكَ أَيْضًا، لأَنِّي لِهذَا خَرَجْتُ». ٣٩ فَكَانَ يَكْرِزُ فِي مَجَامِعِهِمْ فِي كُلِّ الْجَلِيلِ وَيُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ." (مرقس ١: ٣٥-٣٩، لوقا ٤: ٤٢-٤٤).

تنتهي الرواية السابقة بذكر عجائب يسوع الشفائية عند "المساء" بعد غروب الشمس. ويبدو للقارئ هنا أن الإنجيلي يعرض هنا نشاط يسوع الكامل خلال يوم واحد: شفاء الذي به روح نجس يوم السبت في المجمع، شفاء حماة سمعان والأشفية في المساء، كلها مرتبطة بصورة وثيقة يمكن أن تشكل نشاط يسوع خلال نهار واحد. أما بالنسبة لحادثة دعوة التلاميذ الأول فلا نستطيع أن نقول عنها كذلك لأن الحادثة لم تقع يوم السبت (إذ من غير المفترض بهم أن يعملوا في يوم عطلة). كثيراً ما يربط الإنجيلي بصورة غير وثيقة الحوادث الواردة بواسطة الكلمات "و" "للوقت" وغيرها. لا يهمه إعطائنا برنامجاً يومياً لنشاط يسوع لكنه ينتقي من تقليد الكنيسة الغني بعض التعاليم وبعض العجائب رابطاً إياها ليس بالضرورة زمنياً أو مكانياً بل بالأحرى لاهوتياً. كل ذلك بغية أن يعرّفنا على يسوع، على معنى شخصيته وعمله من أجل الكنيسة.

إن الرواية الحاضرة تحصل على كل حال في الصباح التالي، "وفي الصباح الباكر جداً" يترك يسوع البيت. يلتجئ إلى مكان قفر ليصلي. ربما افترض أن نشاطه خلال النهار السابق قد قاد الشعب إلى فكرة اعتباره المسيّا المنتظر السياسي الوطني، فأراد أن يهرب من سوء الفهم هذا لرسالته. وقد حاول بطريقة تربوية تدريجية أن يُظهر صفته كمسيّا روحي، ولذا تجنب مظاهر الشعب الباهرة. ربما كان يحسب سكان كفرناحوم راغبين في وجود مثل هذا الرجل الصانع العجائب دائماً معهم. ولذلك قال لسمعان وللذين جاؤوا يطلبونه: عندي رسالة يجب أن أوصلها إلى قرى أخرى وهي الكرازة بملكوت الله. ويلاحظ الإنجيلي في الآية الأخيرة (٣٩) أنه كان يكرز في مجامع الجليل كلها وكان يحرر الناس من الشياطين المتسلطة عليهم. لم يكن كارزاً وصانعاً للعجائب في مدينة واحدة بل لشعب الله كلّه. وبأعمال أخرى سوف يبرهن أنه المخلص لا لشعب واحد بل لكل الناس.

شفاء الأبرص:

"٤٠ فَأَتَى إِلَيْهِ أَبْرَصُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ جَاثِيًا وَقَائِلاً لَهُ: «إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي»
٤١ فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ وَمَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ وَقَالَ لَهُ:«أُرِيدُ، فَاطْهُرْ!».
٤٢ فَلِلْوَقْتِ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ ذَهَبَ عَنْهُ الْبَرَصُ وَطَهَرَ.
٤٣ فَانْتَهَرَهُ وَأَرْسَلَهُ لِلْوَقْتِ،
٤٤ وَقَالَ لَهُ:«انْظُرْ، لاَ تَقُلْ لأَحَدٍ شَيْئًا، بَلِ اذْهَبْ أَرِ نَفْسَكَ لِلْكَاهِنِ وَقَدِّمْ عَنْ تَطْهِيرِكَ مَا أَمَرَ بِهِ مُوسَى، شَهَادَةً لَهُمْ».
٤٥ وَأَمَّا هُوَ فَخَرَجَ وَابْتَدَأَ يُنَادِي كَثِيرًا وَيُذِيعُ الْخَبَرَ، حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَدِينَةً ظَاهِرًا، بَلْ كَانَ خَارِجًا فِي مَوَاضِعَ خَالِيَةٍ، وَكَانُوا يَأْتُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ." (مرقس ١: ٤١-٤٥، متى ٨: ١-٤، لوقا ٥: ١٢-١٦).

تتكلم حادثة شفاء الأبرص هنا أيضاً عن خبر انتشار شهرة يسوع في صنع العجائب. إن تظاهرات الشعب الكبيرة جعلته يتحاشى الدخول إلى المدينة علناً بل كان يمكث في أماكن مقفرة، ومع ذلك كانوا يأتون إليه "من كل ناحية". والأرجح هنا أن غاية الإنجيلي ليست في رواية شفاء أحد المرضى بل في إبراز صدى مثل هذا الشفاء عند الشعب.

لا يحدد الإنجيلي أين حصل شفاء الأبرص ولكن حسب رواية متى المشابهة يقع الحدث بعد نزول يسوع من الجبل حيث تمت الموعظة، وحسب رواية لوقا: "وكان في إحدى المدن". وعدا ذلك يتكلم لوقا عن شفاء عشرة برص (لوقا ١٧: ١٢-١٩).

يوصف البرص في الفصول ١٣ و١٤ من سفر اللاويين ويميز في الربّانيون شكلين: البسيط والصعب. فقد كان وضع الأبرص في مجتمع ذلك العصر مأساوي، لأنه كان يحرّم عليه أن يتصل ببقية الناس. وكان يعتبر مرضه عقاباً من الله بسبب خطاياه، وساد الاعتقاد أن شفاء الأبرص صعب جداً كعملية إقامة الميت. ولكن خلافاً لموقف الجميع وخاصةً الربّانيين الذين كانوا يهربون من البرص "مدّ يسوع يده ولمسه" (آية ٤١) ومن الملاحظ استعمال الإنجيلي لكلمة "فتحنن" (٤). إن يسوع أمام خليقة الله "الحسنة جداً" والمتسلط عليها الشيطان يشعر بالشفقة ولا تأتي عجيبته نتيجة له. إنه كمسيا يحرر الناس مما فعل الشيطان بهم من سوء ويمنحهم صحتي النفس والجسد.

وللحال بعد الأمر القاطع "أريد فاطهر" تحرر المريض من البرص و"طهر". ويوصي يسوع الذي شفاه بأن يري نفسه للكاهن حتى يأخذ منه الأذن للانضمام من جديد إلى الجماعة بعد أن يقدم حسب شريعة اللاويين (١٣: ٤٩، ١٤: ٢-٣٢)

ذبيحة التطهير. وكذلك يوصيه بألا يقول شيئاً عن الحدث. لكن هذا الأخير لم يستطع أن يحفظ الوصية "فأخذ ينادي كثيراً ويذيع الخبر".

ويبدو من العجيبة الحاضرة ومن غيرها كثيراً أن يسوع يمنع الذين شفاهم وبلهجة قاسية من أن يتكلموا عنه أو عن الحادثة. في بداية هذا القرن كتب المفسر Wrede كتاباً شهيراً: "سرّية المسيّا في الأناجيل"، يؤكد فيه أن مثل هذا الموقف ليسوع، خاصة عند مرقس، يعود إلى أن يسوع لم يكن يعي مسيانتيه، وإن الجماعة المسيحية الأولى أخذت تؤمن لاحقاً بمسيانية المسيح. وفي إنجيل مرقس حسب رأيه، هناك صِدَام بين ضمير يسوع وإيمان الجماعة الأولى به.

لكن وجهة النظر الصحيحة هي أن "سرّية المسيّا" قائمة في الواقع في الأناجيل، لكن هذا الموقف يعود إلى خطة يسوع التربوية أمام اليهود المعاصرين له: يهرب من اعتباره كمسيّا عالمي سياسي ينتظره اليهود ويعتقدون أنهم رأوه في شخصه. يبتعد عن تظاهرات الشعب الحماسية (أنظر يوحنا ٦: ١٤-١٥) لأنه ليس ذلك المسيّا بحسب معتقدهم. إن صليبه وقيامته سوف يظهران من هو المسيّا. من هنا ما يُدعى بسرّية المسيا ما هو إلا موقف تربوي يتخذه يسوع أمام اليهود معاصريه وليس ابتكار الكنيسة الأولى.

الإصحاح الثاني

شفاء المخلّع في كفرناحوم:

"١ ثُمَّ دَخَلَ كَفْرَنَاحُومَ أَيْضًا بَعْدَ أَيَّامٍ، فَسُمِعَ أَنَّهُ فِي بَيْتٍ. ٢ وَلِلْوَقْتِ اجْتَمَعَ
كَثِيرُونَ حَتَّى لَمْ يَعُدْ يَسَعُ وَلاَ مَا حَوْلَ الْبَابِ. فَكَانَ يُخَاطِبُهُمْ بِالْكَلِمَةِ. ٣ وَجَاءُوا إِلَيْهِ
مُقَدِّمِينَ مَفْلُوجًا يَحْمِلُهُ أَرْبَعَةٌ. ٤ وَإِذْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْتَرِبُوا إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ الْجَمْعِ،
كَشَفُوا السَّقْفَ حَيْثُ كَانَ. وَبَعْدَ مَا نَقَبُوهُ دَلَّوُا السَّرِيرَ الَّذِي كَانَ الْمَفْلُوجُ مُضْطَجِعًا
عَلَيْهِ. ٥ فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ، قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ». ٦
وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ هُنَاكَ جَالِسِينَ يُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ: ٧ «لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ هذَا هكَذَا
بِتَجَادِيفَ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ؟» ٨ فَلِلْوَقْتِ شَعَرَ يَسُوعُ بِرُوحِهِ
أَنَّهُمْ يُفَكِّرُونَ هكَذَا فِي أَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ:«لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِهذَا فِي قُلُوبِكُمْ؟ ٩ أَيُّمَا
أَيْسَرُ، أَنْ يُقَالَ لِلْمَفْلُوجِ: مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ، أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ
وَامْشِ؟ ١٠ وَلكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لابْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ
الْخَطَايَا». قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: ١١ «لَكَ أَقُولُ: قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!». ١٢
فَقَامَ لِلْوَقْتِ وَحَمَلَ السَّرِيرَ وَخَرَجَ قُدَّامَ الْكُلِّ، حَتَّى بُهِتَ الْجَمِيعُ وَمَجَّدُوا اللهَ
قَائِلِينَ:«مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هذَا قَطُّ!»." (مرقس٢: ١-١٢، متى٩: ١-٨، لوقا٥: ١٧-٢٦).

تُظهر رواية شفاء المخلّع في كفرناحوم المشتركة بين الأناجيل الإزائية الثلاثة كيف أن يسوع هو محرّر الناس من الخطيئة ومن المرض الذي هو نتيجة عارض لها. ومرة أخرى وُجد يسوع، بعد أيام، في كفرناحوم. النقطة الرئيسية في الحادثة هي كرازة يسوع للكتبة "بأن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا" (الآية ١٠). ترد آية أخيرة في رواية متى (٩: ٨ "فلما رأى الجموع تعجّبوا ومجّدوا الله الذي أعطى الناس سلطاناً مثل هذا") تسمح لنا أن نستنتج أن رواية الإنجيليين هذه تهدف إلى إرساء سلطة الكنيسة في غفران الخطاي، هذا السلطان الذي أخذته عن مؤسسها.

يظهر صدى كرازة يسوع في كفرناحوم من خلال ما جاء في الآية ٢ حيث يقول اجتمع عدد كبير من الناس ليسمعوا "كلمة" يسوع الموجود في أحد البيوت حتى امتلأ البيت وأيضاً ما حول الباب.

لقد عرض الإنجيلي بطريقة وصفية (الآيتان ٣-٤) محاولة أربعة رجال لحمل مخلّع أو مفلوج أمام يسوع: لم يستطع هؤلاء أن يقتربوا من الربّ بسبب الجمع فنبشوا سقف البيت وفتحوا كوّة أنزلوا منها السرير الذي كان عليه المريض (يعتبر بعض المفسرين المعاصرين أنه من المستحيل نبش السقف لأن لمثل هذا العمل نتائج سيئة بالنسبة للموجودين تحته. لذا يزعمون أن المرافقين الأربعة أصعدوا المخلّع على السقف عن طريق سلّم خلفي وحملوه إلى أمام باب البيت حيث كان يسوع يكلم المجتمعين خارج البيت. وفي هذا الإطار، لا تتضمّن بعض النسخ عن مخطوطات بيزنطية مقطع عملية نبش السقف.)

يمدح يسوع إيمانهم والأرجح أن هذا الإيمان هو إيمان مرافقي المريض الأربعة بسبب جدّهم وابتكارهم. فالإنسان المؤمن حقاً لا ينثني أمام حواجز تعترض طريقه بل يوجد طرق عمل لكي يحقق هدفه لا من أجل فائدته الروحية الشخصية فحسب بل أيضاً من أجل فائدة الآخرين، خصوصاً عندما يكون هؤلاء الآخرون في حاجة. يتوجه يسوع إلى المخلّع ويناديه "يا بنيّ" (ممّ يُظهر الصلة العائلية الوثيقة التي تتكون داخل الإنسانية الجديدة، داخل الكنيسة التي يؤسسها). يقول له "مغفورة لك خطاياك" (الآية ٥): من المستغرب لأول وهلة أن يتكلم يسوع عن مغفرة الخطايا للمريض جسدياً.

هنا يطرح موضوع علاقة الخطيئة بالمرض. حسب يسوع وتعليم العهد الجديد يمكننا القول بما يلي: دخلت الخطيئة في العالم عن طريق آدم كثورة المخلوق على خالقه فكانت النتيجة المرض، الفساد والموت. وجود المرض إذاً في العالم يشكل مظهراً لحالة الخطيئة، لا بمعنى أن كل مرض عند الإنسان نتيجة

خطيئة شخصية محددة، لكن بمعنى أن المرض بصورة عامة يدلّ على ضعف الإنسانية وخضوعها لقوّة الشرّ.

لا يذكر يسوع شيئاً في الأناجيل على الصعيد النظري عن مشكلة الخطيئة، عن جوهرها أو مصدرها أو نتائجها المؤلمة. لكنه يعتبرها معروفة لدى الجميع ويلتقي بالإنسان الواقع فيها ويحرّره منها. إن زمن المسيّا المنتظر زمن تُمحى فيه الخطيئة مع كل ذيولها. لذلك يوصف المسيح من قبل مؤلفي العهد الجديد كـ "رافع لخطيئة العالم" وماحٍ لأعمال الشيطان. وتعبّر عجائب يسوع الواردة في الأناجيل بصورة دقيقة عن غلبة الله على القوات الشيطانية التي تقبض على الناس وتأسرهم، كما أنها تدلّ على بداية زمن جديد، زمن النعمة والخلاص.

اعتبر الكتبة الحاضرون كلام المسيّا القاطع للمرض عن غفران خطاياه تجديفاً لأنهم لا يعترفون بصفة يسوع المسيانية ولا بسلطانه بل يعتقدون أنه ينسب لنفسه عن طريق التجديف

خصائص وسلطة إلهية (الآيات٦-٧). لكن يسوع بطريقة فائقة الطبيعة يعرف أفكارهم (الآية٨). ويوبّخهم على أفكارهم الشريرة التي في داخلهم ("كلمة قلب" تدلّ على نشاط الإنسان بكلّيته، الداخلي والذهني والشعوري والإرادي)، ويسأل ما هو الأيسر غفران الخطايا أم الشفاء من المرض الجسدي (الآية ٩). طبعاً يعتبر الناس شفاء الجسد أصعب، وغفران الخطايا أسهل، لأنهم لا يستطيعوا رؤية الخطيئة والتحقق منها. أما يسوع فهو ينظر إلى السبب والنتيجة في آن واحد، يحارب العارض المرضي المرئي الذي يمكن أن يراه الجميع ويرفع في الوقت نفسه سبب المرض كابن الإنسان الذي له سلطان على الأرض "لغفران الخطايا" (الآية ١٠).

الخلاصة:

يوصف الشفاء بطريقة مختصرة في آية واحدة. ما يهمّ الإنجيلي هو جواب يسوع عن أفكار الكتبة والبرهان على سلطانه في مغفرة الخطايا. "ابن الإنسان" ليس فقط ذاك الذي سوف يتألم ويعود بمجد ليدين العالم، بل هو أيضاً المسيّا العامل في الوقت الحاضر فيما بين الناس ومؤسس للكنيسة.

المعاني الرئيسية في الرواية؟

١- لقد غلب يسوع المسيح تسلّط الخطيئة على الناس مع كل ذيولها وإن كانت الخطيئة لا تزال تؤثر على البشر، وهذا يعود إلى أن الدهر القديم مع كل قواته الفاسدة ما زال قائماً إلى جانب الدهر الجديد الذي بدأ مع المسيح وتحقق في

الكنيسة ويكتمل في مجيء المسيح الثاني. لا يمكن أن تُقبل الخطيئة في الكنيسة بمعنى أنه غير ممكن لها أن تحصل بل بمعنى أنه يمكن لكل مؤمن أن يتجنّبها. وحتى في حال سقوطه فيها فإن الكنيسة تملك سلطاناً "لغفران الخطايا".

٢- الإيمان شرط ضروري من أجل الخلاص، وله تطلّعات اجتماعية، إذ أن الإنسان المؤمن يشكل محطّاً لخلاص الآخرين. من الملاحظ أن يسوع يمدح إيمان مرافقي المخلّع قبل أن يشفي المريض. لو أخذنا بعين الاعتبار محاولات المرافقين الأربعة في تسهيل إيصال السرير إلى يسوع لعرفنا كم من الابتكار تتطلب عملية الإيمان. أي أن الإنسان المؤمن يفتش عن الطريقة المناسبة لكي يصل إلى هدفه لا من أجل فائدته فقط بل من أجل فائدة أخيه أيضاً.

من خلال حادثة شفاء المخلّع نلاحظ أو صدام بين يسوع ورؤساء اليهود الدينيين (٢: ٦...)، ممثلي الديانة الناموسية في الروايات اللاحقة سوف تتصاعد تدريجياً مقاومة الكتبة والفريسيين لعمل يسوع حتى تصل إلى أوجها في القبض عليه وفي صلبه. في الرواية السابقة يفكّر اليهود في قلوبهم دون أن يعبّروا عن أفكارهم التي يعرفها يسوع ويكشفها لنا. في الرواية اللاحقة مباشرة يعبّر الكتبة عن اعتراضاتهم أمام التلاميذ (٢: ١٦)، ويتوجهون إليه بالسؤال (٢: ١٨، ٢٤)، وفي النهاية يقرّرون إيجاد سبيل للقبض عليه وإماتته (٣: ٦)، الأمر الذي تمّ في الآخر. إن محبة الله تسمح بتسليم يسوع إلى الموت حتى تظفر في النهاية محبة الله عن طريق غلبة الموت والقيامة.

في الآية ١٠ يستعمل اللقب الخريستولوجي "ابن الإنسان" (اللقب الخاص بالمسيح). هذا هو التعبير الذي يستعمله يسوع للدلالة على نفسه، ولا ترد على لسان الآخرين في تسميتهم له بما فيهم الإنجيليون. ولا تأتي العبارة في مكان آخر من العهد الجديد خارج الأناجيل (ما عدا في أعمال الرسل ٧: ٥٦).

تأتي العبارة من الأدب اليهودي الرؤيوي وخاصة من كتاب دانيال (٧: ١٣-١٤) ومن أخنوخ الحبشي (٣٧-٧١) حيث تظهر شركة قديسي العليّ الأخرويّة (أي التي تكون في آخر الأيام) والتي تصل في أوجها عند شخص واحد هو رمز الإنسانية الجديدة. لقد ساد تفسير العبارة الشخصي مع الزمن في اليهودية وأخذ يعني المخلّص المنتظر في الآخرة، القاضي الآتي من السماء للدينونة. هذا الانتظار الأخروي لديّان سماوي تواجد في اليهودية مع انتظار مسياني أخر لمسيّا – ملك آتٍ من صلب داود.

يعتبر بعض المفسرين البروتستانت الجدد أن عبارة ابن الإنسان لا يستعملها يسوع بل المجتمع المسيحي هو الذي وحّد يسوع مع ابن الإنسان ووضع العبارة على لسانه. لا يمكن أن نقبل بهذا المفهوم للسبب التالي: ليست من عادة الكنيسة

الأولى أن تطلق على يسوع اسم ابن الإنسان ولا نجدها تتلكم عن ابن الإنسان، الأمر الذي يفترض وجوده في حال قبلنا بالنظرية السابقة. لكن على كل حال كلما رأينا العبارة مستعملة في الأناجيل تراها على لسان يسوع متكلماً عن نفسه. لقد حفظ الإنجيليون إذاً في ذاكرتهم هذه الصفة المميّزة والمستعملة من قبل يسوع نفسه. بينما لو استعملها الإنجيليون أولاً لرأينا وجودها في أماكن أخرى من أنجيلهم.

وكذلك نرفض وجهة نظر A. Schweitzer ومن بعده Horn، bornkmann، Bultmann القائلة: صحيح أن يسوع يستعمل هذه العبارة إلا أنه يقصد، عن طريق نفسه، شخصاً أخر غيره سوف يأتي في آخر الأيام.

تُقسم أقوال يسوع، حيث ترد العبارة "ابن الإنسان"، عادة إلى ثلاثة أقسام

*

أ- الكلام الذي يتوجّه نحو مجيء ابن البشر الآتي في المستقبل.

*

ب- الكلام عن ابن الإنسان وقيامته.

*

ج- الكلام عن نشاطه الحاضر.

والرواية الأخيرة تنتمي إلى القسم الثالث.

دعوة العشّار لاوي وجلوس يسوع للطعام مع العشارين والخطأة:

"١٣ ثُمَّ خَرَجَ أَيْضًا إِلَى الْبَحْرِ. وَأَتَى إِلَيْهِ كُلُّ الْجَمْعِ فَعَلَّمَهُمْ. ١٤ وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى لاَوِيَ بْنَ حَلْفَى جَالِسًا عِنْدَ مَكَانِ الْجِبَايَةِ، فَقَالَ لَهُ: «اتْبَعْنِي». فَقَامَ وَتَبِعَهُ. ١٥ وَفِيمَا هُوَ مُتَّكِئٌ فِي بَيْتِهِ كَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ يَتَّكِئُونَ مَعَ يَسُوعَ وَتَلاَمِيذِهِ، لأَنَّهُمْ كَانُوا كَثِيرِينَ وَتَبِعُوهُ. ١٦ وَأَمَّا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ فَلَمَّا رَأَوْهُ يَأْكُلُ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ، قَالُوا لِتَلاَمِيذِهِ:«مَا بَالُهُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ؟» ١٧ فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ لَهُمْ:«لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى. لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَارًا بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ»." (مرقس٢: ١٣-١٧، متى٩: ٩-١٣، لوقا٥: ٢٧-٣٢).

يتحدث هذا المقطع عن دعوة العشار لاوي إلى العمل الرسولي. لا يبغي الإنجيلي هن، من خلال دعوة تلميذ خامس، أن يستمر على نفس الأسلوب الذي استخدمه في روايته ١: ١٦-٢٠ عن دعوة التلاميذ الأربعة الأول. فهو لا يذكر شيئاً عن طريقة دعوة التلاميذ الباقين. إنما يريد فقط أن يعطينا مثالاً عن طاعة أحد العشارين لدعوة يسوع.

في إحدى المخطوطات يُدعى العشار المذكور يعقوب (ربما لعلم أنه كان ابن حلفى، أنظر٣: ١٨). أما عند متى ٩: ٩ فيدعى متى. وفي بعض الأحيان تميّز الكنيسة في التقليد الليتورجي بين متى ولاوي ولكن، في الحقيقة، الشخص نفسه يحمل اسمين. الكلمة متى تعني هبة الله. ولا نعرف شيئاً آخر من الأناجيل عن هذا التلميذ. يذكر بعض الكتّاب الكنسيين نشاط متى الرسولي في الحبشة.

تم لقاء يسوع مع لاوي في مكان الجباية في كفرناحوم. وجد المكان في تلك المدينة لأنه كان بين مقاطعتي هيرودس انتباس وفيلبس. ما يميّز دعوة التلميذ هو أنه يأتي من طبقة العشّارين المكروهة. سمعتهم سيئة لأنهم كانوا ظالمين، سارقين ومتقلبين إلى حدّ أن الكلمتين "خاطئ" و "عشار" أصبحتا في النهاية مترادفتين. لقد كان المؤمنون بشكل خاص يتجنبونهم، ومنهم الفريسيين، وكانوا يعتقدون أن غضب الله سوف يحلّ عليهم، فلم يكن باستطاعتهم أن يفهموا كيف يمكن أن تظهر محبة الله. يبرهن يسوع، بتصرفه هذا تجاههم، وبتقبل الشركة معهم التي من أجلها وصف بأنه "أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطأة" (متى١١: ١٩)، أن محبة الله تتوجه إلى الجميع وخاصة إلى هؤلاء الذين في حاجة أمسّ إليها. استعمل مثلاً شائعاً في ذلك الزمن "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى" (الآية ١٧٨) ليبرّر مثل هذا الموقف كطبيب يتوجّه إلى "المرضى" لا إلى "الأصحاء"، لأن الفريسيين كانوا يعتبرون أنفسهم مقتدرين أصحاء، لكن في الواقع لا يختلفون عن العشارين لأنهم لا يقبلون بدعوة يسوع إلى التوبة. يواجه يسوع هذا المقياس لتمييز البشر بين صالحين وخطأة تبعاً لقبولهم أو إنكارهم للدعوة الإلهية. من يتقبّل كرازة يسوع للتوبة، مهما كانت الفئة التي ينتمي إليه، يصبح ابناً للملكوت. أنا من يصرّ على إنكاره فهو ينغلق على نفسه خارج الخلاص الممنوح دون أن يعطّل مسيرة عمل الله الخلاصي الذي تمّ في المسيح.

في هذه الحادثة يمكننا أن نتحقق من مفهوم القداسة في المسيحية بالقياس إلى مفهوم الفريسيين لها. الفريسي يتجنب الاختلاط مع الخطأة حتى لا يتدنّس، فهو ينغلق على نفسه ولا يمكنه هكذا أن يتمم وصية المحبة. هو إذاً مراءٍ لأنه يعتبر نفسه قديساً بينما في الواقع تنقصه المحبة وليس بقديس. حسب إعلان يسوع، القداسة تكمن في معاشرة الخطأة بهدف تحوّلهم وتوبتهم وخلاصهم. لا تخشى القداسة الشرّ بل تسعى إلى تحويله وتغيير شكله.

السؤال عن الصوم:

"١٨ وَكَانَ تَلاَمِيذُ يُوحَنَّا وَالْفَرِّيسِيِّينَ يَصُومُونَ، فَجَاءُوا وَقَالُوا لَهُ:«لِمَاذَا يَصُومُ تَلاَمِيذُ يُوحَنَّا وَالْفَرِّيسِيِّينَ، وَأَمَّا تَلاَمِيذُكَ فَلاَ يَصُومُونَ؟» ١٩ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:«هَلْ يَسْتَطِيعُ بَنُو الْعُرْسِ أَنْ يَصُومُوا وَالْعَرِيسُ مَعَهُمْ؟ مَا دَامَ الْعَرِيسُ مَعَهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَصُومُوا. ٢٠ وَلكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ الْعَرِيسُ عَنْهُمْ، فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. ٢١ لَيْسَ أَحَدٌ يَخِيطُ رُقْعَةً مِنْ قِطْعَةٍ جَدِيدَةٍ عَلَى ثَوْبٍ عَتِيق، وَإِلاَّ فَالْمِلْءُ الْجَدِيدُ يَأْخُذُ مِنَ الْعَتِيقِ فَيَصِيرُ الْخَرْقُ أَرْدَأَ. ٢٢ وَلَيْسَ أَحَدٌ يَجْعَلُ خَمْرًا جَدِيدَةً فِي زِقَاق عَتِيقَةٍ، لِئَلاَّ تَشُقَّ الْخَمْرُ الْجَدِيدَةُ الزِّقَاقَ، فَالْخَمْرُ تَنْصَبُّ وَالزِّقَاقُ تَتْلَفُ. بَلْ يَجْعَلُونَ خَمْرًا جَدِيدَةً فِي زِقَاق جَدِيدَةٍ»." (مرقس٢: ١٨-٢٢، متى٩: ١٤-١٧، لوقا٥: ٣٣-٣٩).

يُسأل يسوع (ولا يقال من هو السائل) لماذا لا يصوم تلاميذه كما يفعل تلاميذ يوحنا والفريسيين (الآية١٨). فيجيبهم مفسراً: أنهم لا يصومون لأن "العريس" (١) معهم. أي أنه يربط الصوم بغياب العريس. إن "بني العرس" المدعوّين إليه لا يمكن أن يصوموا. سيأتي أوان "يخطف" عنهم العريس حينئذ يصومون "في تلك الأيام" (الآيتان ١٩-٢٠). للصوم إذاً طابع حزن، والصوم تعبير عن توبة الإنسان أمام الله، لذلك لا ينسجم مع الطابع الاحتفالي لحضور المسيّا على الأرض. إن وصف المسيّا بالعريس غير معروف في اليهودية، بينما يُستعمل هكذا في العهد الجديد (أنظر مثل العذارى العشر، ورؤيا يوحنا وغيرها). يمكننا أولاً أن نذكر في العهد القديم وصف الأنبياء لعلاقة الزواج بين الله والشعب الإسرائيلي (أنظر هوشع ١-٣، حزقيال١٦: ٧... و ٢٣:" ٤، أشعيا ٥٠: ١، ٥٤: ٤ ...)، وكذلك نظرة الربانيين إلى زمن الشريعة في سيناء كزمن عربون وإلى زمن المسيّا كزمن زواج.

بعبارته "فحينئذ يصومون في تلك الأيام"، يعتقد بعض المفسرين أن يسوع يشير على يوم الصلب، ويرى كثيرون من آباء الكنيسة في هذه الجملة مصدراً لنظام الصوم نهار الجمعة أو في اليوم الذي صُلب فيه يسوع. في الواقع تُذكّر أيام الصوم المحددة من قبل الكنيسة بآلام المسيح.

طبعاً في اليهودية كان الصوم تعبيراً عن الحزن والانسحاق. فإلى جانب أيام الصوم المحدّدة لكل الشعب، مثلاً يوم التكفير وأيام الحزن أو فترات الصعوبة الطارئة (الجفاف، هجوم الجراد، خطر آخر)، كانت هناك أيضاً أصوام خصوصية يفرضها الواحد على نفسه لفترة ما حتى يستجيب الله لطلبه أو لأسباب أخرى. ونعلم أن في أوساط الفريسيين يصومون مرتين في الأسبوع.

في المسيحية وُضع نظام الصوم على أسس جديدة. ليس هو مجرد "رقعة" جديدة موضوعة على ثوب عتيق، ولا خمرة جديدة مسكوبة في زقاق قديمة، بل هو يفترض تحوّل الإنسان بكامله، هذا التحول الذي يتم بالصليب وبقيامة المسيح. هذا هو معنى الآيات اللاحقة ٢١-٢٢: فيما تشكّل اليهودية تعبيراً عما هو قديم فإن المسيحية تحمل الجديد. لا يمكن للجديد أن يقترن بالقديم "كرقعة" تخاط على ثوب عتيق أو كخمر جديدة توضع في زقاق قديمة، بل تفترض وجود زقاق جديدة وقوية. إن تعليم يسوع الذي هو "تعليم جديد كمن له سلطان" هو مختلف بالكلّية عن التعليم اليهودي القديم وعن المظاهر اليهودية القديمة. إنه جديد ويتطلب أشكالاً تعبيرية جديدة. ولقد ساد الصوم في الكنيسة المسيحية استناداً إلى مبدأ جديد كلي، إلى تفسير جديد: الصوم يذكر بآلام المسيح. إن الوضع الجديد الذي دخل العالم بواسطة يسوع لا يرتبط بالمفاهيم الدينية القديمة، لا يقبل مثلاً بتمييز الناس إلى خطأة وصدّيقيين استناداً إلى حفظ الناموس، لا يقبل بالأشكال الدينية العتيقة، لا يعترف ببطالة السبت بالمعنى السائد عند اليهود كما يظهر من المقطع التالي:

المعنى الحقيقي للسبت:

"٢٣ وَاجْتَازَ فِي السَّبْتِ بَيْنَ الزُّرُوعِ، فَابْتَدَأَ تَلاَمِيذُهُ يَقْطِفُونَ السَّنَابِلَ وَهُمْ سَائِرُونَ. ٢٤ فَقَالَ لَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ:«انْظُرْ! لِمَاذَا يَفْعَلُونَ فِي السَّبْتِ مَا لاَ يَحِلُّ؟» ٢٥ فَقَالَ لَهُمْ:«أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ مَا فَعَلَهُ دَاوُدُ حِينَ احْتَاجَ وَجَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ؟ ٢٦ كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ اللهِ فِي أَيَّامِ أَبِيَأَثَارَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، وَأَكَلَ خُبْزَ التَّقْدِمَةِ الَّذِي لاَ يَحِلُّ أَكْلُهُ إِلاَّ لِلْكَهَنَةِ، وَأَعْطَى الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ أَيْضًا». ٢٧ ثُمَّ قَالَ لَهُمُ:«السَّبْتُ إِنَّمَا جُعِلَ لأَجْلِ الإِنْسَانِ، لاَ الإِنْسَانُ لأَجْلِ السَّبْتِ. ٢٨ إِذًا ابْنُ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضًا»." (مرقس ٢: ٢٣-٢٨، متى ١٢: ١-٨، لوقا ٦: ١-٥).

تظهر حرية التعليم الجديد بالنسبة إلى التعليم القديم من خلال موقف يسوع من قضية السبت. فيما يلي حادثتان :

أولاً: سير يسوع مع تلاميذه بين الزروع (مرقس٢: ٢٣-٢٨).

ثانياً: شفاء الذي كانت يده مشلولة (مرقس٣: ١-٦).

أولاً: اجتاز يسوع مع تلاميذه حقلاً في يوم سبت. فأخذ هؤلاء يقطفون سنابل (لأنهم كانوا جائعين كما يشرح متى). اعتبر الفريسيّون هذا العمل إلغاء لعطلة السبت. إن هذا العمل (المسموح به حسب تثنية ٢٣: ٢٦) يُعتبر من بين

الممارسات الممنوعة يوم السبت. يعرف الفرّيسيون ذلك، ولذلك يدفعون يسوع إلى المناقشة حول الموضوع. هل اعترض الفريسيون أيضاً على مخالفة المسافة المسموح باجتيازها نهار السبت؟ هذا لم يُذكر في النص.

يجيب يسوع عن انتقادات الفريسيين بأسئلة ("أما قرأتم قط ما فعله داوود"...) مستشهداً بالحادثة الواردة في سفر الملوك الأول ٢١: ١-٧ حين وُجد داود في حاجة مع الذين معه فطلب من رئيس الكهنة أبيملك (وهو والد ابيتار المذكور عند مرقس فقط) أرغفة التقدمة المقدسة، التي هي ١٢ حسب وصية اللاويين ٢٤: ٥-٩، تُحفظ لمدة أسبوع في مسكن الشهادة ويأكلها الكهنة. وحسب تقليد الربّانيين تحصل هذه العملية نهار السبت. فيأتي يسوع لينسب إلى نفسه وإلى تلاميذه هذه الحرية التي سمح بها داود، ويبرّر هذه الحرية قائلاً بحسب إنجيل متى: إن ههنا أعظم من الهيكل". إن كان الكهنة يأكلون خبز التقدمة وهم "أبرياء"، فكم بالأحرى المسيّ، وهو "بريء"، هو بحسب النظرة اليهودية الأخروية ربّ الهيكل؟!

تنتهي المناقشة بجملتين تشكلان محور الحادثة كلّها: الجملة الأولى: "السبت إنما جُعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت"، يذكرها مرقس وحده. أما الجملة الثانية "ابن الإنسان هو ربّ السبت أيضاً" فهي مذكورة أيضاً في الإنجيلين الإزائيين الآخرين. تشدّد هذه الجملة على سيادة المسيّا على السبت وبالتالي سيادة كل من تبعه.

الإصحاح الثالث

"١ ثُمَّ دَخَلَ أَيْضًا إِلَى الْمَجْمَعِ، وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَدُهُ يَابِسَةٌ. ٢ فَصَارُوا يُرَاقِبُونَهُ: هَلْ يَشْفِيهِ فِي السَّبْتِ؟ لِكَيْ يَشْتَكُوا عَلَيْهِ. ٣ فَقَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِي لَهُ الْيَدُ الْيَابِسَةُ:«قُمْ فِي الْوَسْطِ!» ٤ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ:«هَلْ يَحِلُّ فِي السَّبْتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ الشَّرِّ؟ تَخْلِيصُ نَفْسٍ أَوْ قَتْلٌ؟». فَسَكَتُوا. ٥ فَنَظَرَ حَوْلَهُ إِلَيْهِمْ بِغَضَبٍ، حَزِينًا عَلَى غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ:«مُدَّ يَدَكَ». فَمَدَّهَا، فَعَادَتْ يَدُهُ صَحِيحَةً كَالأُخْرَى. ٦ فَخَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ لِلْوَقْتِ مَعَ الْهِيرُودُسِيِّينَ وَتَشَاوَرُوا عَلَيْهِ لِكَيْ يُهْلِكُوهُ." (مرقس٣: ١-٦، متى ١٢: ٩-١٤، لوقا ٦: ٦-١١).

ثانياً: لقد صنع يسوع حتماً عجائب أكثر مما ذكره الإنجيليون بالتفصيل، كان يعمل العجائب يومياً. إن كان الإنجيليون يؤكدون على بعض العجائب التي صنعت يوم السبت فلكي يشددوا على حرّية يسوع في وجه التحريم الحرفي و الجفاف للناموس، ولكي ينقلوا لنا حديث يسوع مع اليهود ممثلي ديانة الناموس الحرفية.

كانت اليهودية تعطى أهمية كبرى لحفظ عطلة السبت. يحافظ اليهودي على هذه العطلة لكي يتذكر الله الذي خلق العالم في ستة أيام واستراح في اليوم السابع (تكوين ٢: ٢ ،٣). نجد في الوصايا العشر (خروج ٢٠: ٨-١١) عطلة السبت. وكان الناموس يضع عقاب الموت لمن لا يتبع الوصية (أنظر سفر العدد ١٥: ٣٢-٣٦). ومنذ سيادة الفريسية أصبحت عطلة السبت أهم وصية، وهي تميّز الشعب الإسرائيلي، كشعب صاحب عهد مع الله، من الشعوب الأخرى. وأهمية هذه الوصية ظاهرة في عبارة التلمود التالية: "تقديس السبت يعادل كل الوصايا الأخرى معاً". وكان يُعتقد أن تتميم وعد الله بخلاص إسرائيل يرتبط بحفظ السبت بأمانة. "لو كان إسرائيل يحفظ، كما يجب، سبتاً واحد، لكان المسيّا قد أتى سريعاً"، هذا ما تقوله إحدى جمل الربانيين.

يحفظ رؤساء اليهود هذا التقليد الديني المتعلق بالسبت، ويعتبرون أن يسوع يلغي الديانة الأبوية لأنه يشفي من كانت يده يابسة (فيعيد بذلك الصّحة إلى أحد المتألمين). كانوا مرائين يتعلقون بالحرف ولا ينظرون إلى علامة المحبة التي يحملها يسوع. يصف مرقس حالة يسوع النفسية أمام رؤساء اليهود بصورة مميّزة في الآية ٥ "فنظر حوله إليهم بغضب حزيناً على غلاظة قلوبهم وقال للرجل مدّ يدك". كان يشعر بالغضب وبالحزن معاً أمام قساوة لليهود المعاصرة له.

إن يسوع من خلال مناقشته مع ممثلي اليهودية واجتراحه العجائب يعطي المعنى الحقيقي للسبت. إن كان السبت في العهد القديم يعني نهاية عمل الله في الخلق، وفي الرسالة إلى العبرانيين تظهر الراحة الأخيرة وكمال ملكوت الله عن طريق "السبوت"، فإن نشاط يسوع العجائبي في السبت يشكل التذوّق السابق لمثل هذا الكمال. هذا ما يسمح لنا أن نخطو خطوة متقدمة في فهم معنى عجائب المسيح في السبت وعلاقتها بضميره المسياني: إن عدم الحفاظ على راحة يوم السبت لا يعني معارضته للناموس الفريسي الحرفي بقدر ما يشكّل علامة لمسيانيته.

يسوع كمسيّا هو ربّ السبت:

قد استراح الله في اليوم السابع من كل أعماله (حسب رواية سفر التكوين)، لكنه لم يبقى بعدها "مكتوف اليدين" . يمثّل اليوم السابع فترة عنايته المستمرّة بالعالم، يمثّل تدخلاته المستمرّة في تاريخ الإنسانية عن طريق إرسال الأنبياء، عن طريق إرشاد الشعب التربوي **pedagogique**، وأخيراً عن طريق إرسال ابنه.

إن كان المسيّا يعبّر عن روح المحبّة وعن اهتمام الله الآب بالعالم ويكون هكذا رب السبت، كذلك فإن المسيحي الذي ينظر إلى وجه يسوع مؤسس إنسانية جديدة يستطيع بل يجب عليه أن يتحرّر من حرفية الناموس، لا بمعنى أنه يستطيع إلغاء يوم السبت في كل مناسبة طفيفة، لا بمعنى أن عمل الصلاح في يوم السبت (أو يوم الأحد الذي أحتلّ مكان السبت اليهودي) يشكل التعبير الأفضل لتكريم الله العامل بصورة مستمرة من أجل العالم.

تذكر المخطوطة D في لوقا ٦ : ٥ (اجتياز التلاميذ بين الزروع) قولاً غير مدون ليسوع يقول:"في ذلك اليوم رأى واحداً يعمل في يوم السبت فقال له:إن كنت تعلم ماذا تفعل فمغبوط أنت، وإن كنت لا تعلم فأنت ملعون ومتجاوز للناموس". في كتاب المفسر يرمياس ("الأقوال غير المعروفة ليسوع")، يقول إن الجملة السابقة تشير إلى الإنسان الذي يعمل عمل محبة، وتفسيرها كما يلي : إن كنت أيها الإنسان تعلم أن المحبة فوق كل وصايا الناموس الحرفية وهي من أجل أبناء الله، فأنت مغبوط. ولكن إن كنت تخرق عطلة السبت وهي من أجل أي سبب آخر، فأنت متجاوز للناموس بدون حق، وعندئذ تستوجب اللعنة. إن حرية أبناء الله لا تقيدها حرفية الناموس، لكن إن كانت هذه الحرية لا تأتي من ضمير الخلاص بل هي عصيان للناموس، عندئذ تعتبر تجاوزاً ولعنة . مغبوط إذاً من يتجاوز السبت لكي يعمل أعمال محبة كما فعل يسوع بالضبط.

في المقطع المذكور وفي غيره حيث يعمل يسوع ويصنع العجائب يوم السبت، عندنا صراع بين مفهوم الله عند يسوع ومفهومه عند رؤساء اليهود الدينيين. فعند اليهود الله هو سيد التاريخ المطلق ومشرّع لشعبه، يتطلب بغيرة الحفاظ على وصاياه وأهمها حفظ عطلة السبت. لكن يسوع يكشف عن جانب آخر وأعمق لله :لا يرى الله فقط كسيد متشدد يتطلب تتميم وصيته مهما كلف الأمر، بل هو أب رؤوف ممتلئ محبة ورأفة تجاه خليقته.

من الواضح أن هذا الصدام بين هذين المفهومين لله له نتائج تاريخية متناقضة: فالحفاظ المتزمت على عطلة السبت يستدعي غضب يسوع وتوبيخه لأنه يرى في ذلك قساوة للقلب، بينما يرى الفريسيون أن موقف يسوع تجاه السبت يشكل تجريحاً لوصية الله.

ينتهي المقطع بالقول: إن الفريسيين بعد خروجهم من المجمع، وبالتعاون مع الهيرودسيين، تشاوروا كيف يقبضون على يسوع . لم يكن يوجد حزب باسم الهيرودسيين في فلسطين آنذاك. الهيرودسيون المذكورون ههنا هم على الأرجح أتباع بلاط بيت هيرودس الذين كانوا يلاحقون يسوع كمسيا لأسباب سياسية لا دينية من أجل تتميم أهدافهم الخاصة. أما الفريسيون فبتعاونهم معهم يتطلعون إلى نجاح أفضل لخطتهم.

ج ـ خلق شعب الله الجديد. إعلان سر ملكوت الله عبر الأمثال والعجائب
٣: ٧ ـ ٥: ٤٣

نجاح عمل يسوع:

"٧ فَانْصَرَفَ يَسُوعُ مَعَ تَلاَمِيذِهِ إِلَى الْبَحْرِ، وَتَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْجَلِيلِ وَمِنَ الْيَهُودِيَّةِ ٨ وَمِنْ أُورُشَلِيمَ وَمِنْ أَدُومِيَّةَ وَمِنْ عَبْرِ الأُرْدُنِّ. وَالَّذِينَ حَوْلَ صُورَ وَصَيْدَاءَ، جَمْعٌ كَثِيرٌ، إِذْ سَمِعُوا كَمْ صَنَعَ أَتَوْا إِلَيْهِ. ٩ فَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ أَنْ تُلاَزِمَهُ سَفِينَةٌ صَغِيرَةٌ لِسَبَبِ الْجَمْعِ، كَيْ لاَ يَزْحَمُوهُ، ١٠ لأَنَّهُ كَانَ قَدْ شَفَى كَثِيرِينَ، حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهِ لِيَلْمِسَهُ كُلُّ مَنْ فِيهِ دَاءٌ. ١١ وَالأَرْوَاحُ النَّجِسَةُ حِينَمَا نَظَرَتْهُ خَرَّتْ لَهُ وَصَرَخَتْ قَائِلَةً:«إِنَّكَ أَنْتَ ابْنُ اللهِ!». ١٢ وَأَوْصَاهُمْ كَثِيرًا أَنْ لاَ يُظْهِرُوهُ." (مرقس ٣: ٧-١٢، متى ١٢: ١٥...، لوقا ٦: ١٧-١٩).

بالرغم من عداوة الفريسيين والهيرودسيين ليسوع تدفق جمع كبير نحوه من أجل أن يسمع تعليمه ويشفى من أمراضه. سوف يشكل هذا الجمع عائلة الله الجديدة التي منها يأتي التلاميذ الاثنا عشر رؤساء الكنيسة في المستقبل. لقد كان تدفق الجمع كبيراً إلى حدّ أن يسوع طلب من تلاميذه أن يهيئوا مركبا لكي يصعد عليه عندما تدعو الحاجة (ربما لكي يبشر منه الشعب المجتمع على الشاطئ).
"الجمع الكثير" يأتي من الجليل حيث انتشرت شهرته كما نعلم، وأيضاً من اليهودية ومن أورشليم. يأتي كذلك من أدومية (وطن بيت الهيرودسيين)، من منطقة عبر الأردن (أي بيريا حيث يسكن يهود كثيرو منحدرون من المكابيين)، وأخيراً من مدن صور وصيد، شمال غرب الجليل. عدد هذه المناطق سبع، وهذا الرقم معنى الكمال حسب بعض المفّسرين، أي أن الشعب الإسرائيلي كلّه يتدفق نحو يسوع وينظر إليه كمسيّا مرسل من الله. هكذا بينما يحاول الرؤساء الدينيون أن يقبضوا على المسي، فإن أسمه يشتهر بين الشعب. بالنسبة لاعتراف الأرواح الشريرة به في الآيتين ١١، ١٢ "وأنت هو ابن الله"، انظر تفسير الآية ١: ٣٤ .

اختيار التلاميذ الاثني عشر:

"١٣ ثُمَّ صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ وَدَعَا الَّذِينَ أَرَادَهُمْ فَذَهَبُوا إِلَيْهِ. ١٤ وَأَقَامَ اثْنَيْ عَشَرَ لِيَكُونُوا مَعَهُ، وَلِيُرْسِلَهُمْ لِيَكْرِزُوا، ١٥ وَيَكُونَ لَهُمْ سُلْطَانٌ عَلَى شِفَاءِ الأَمْرَاضِ

وَإِخْرَاجِ الشَّيَاطِينِ. ١٦ وَجَعَلَ لِسِمْعَانَ اسْمَ بُطْرُسَ. ١٧ وَيَعْقُوبَ بْنَ زَبْدِي وَيُوحَنَّا أَخَا يَعْقُوبَ، وَجَعَلَ لَهُمَا اسْمَ بُوَانَرْجِسَ أَيِ ابْنَيِ الرَّعْدِ. ١٨ وَأَنْدَرَاوُسَ، وَفِيلُبُّسَ، وَبَرْثُولَمَاوُسَ، وَمَتَّى، وَتُومَا، وَيَعْقُوبَ بْنَ حَلْفَى، وَتَدَّاوُسَ، وَسِمْعَانَ الْقَانَوِيَّ، ١٩ وَيَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيَّ الَّذِي أَسْلَمَهُ. ثُمَّ أَتَوْا إِلَى بَيْتٍ." (مرقس ٣: ١٣-١٩، متى ١٠: ١-٤، لوقا ٦: ١٢-١٦).

يصعد يسوع على جبل ويختار اثني عشر تلميذاً من بين الجمع. في بداية الإنجيل يذكر مرقس دعوة التلاميذ الأربعة الأول: بطرس واندراوس ويعقوب ويوحنا (١: ١٦-٢٠)، تليها دعوة لاوي (٢: ١٣ وما يليه). وفي الرواية الحاضرة لا يقول لنا الإنجيلي إن كانت جماعة التلاميذ تكتمل الآن باختيار السبعة الباقين أم أنها تتكّون كلّها الآن من البداية. أي أن الرواية الحاضرة لا ترتبط على ما يبدو بأي شكل بالروايتين السابقتين ولا تفترض وجودهما السابق. ذلك لأن هدف الإنجيلي ليس هدفاً تاريخياً بل لاهوتياً. يريد الإنجيلي أن يُظهر يسوع مؤسساً لشعب الله الجديد، للكنيسة التي تشكل إعادة جمع القبائل الاثني عشر وتجديّدهم الآن عن طريق نواة التلاميذ الاثني عشر المختارين.

من زاوية التفسير اللاهوتي هذ، نفهم أهمية الآية ١٣ حيث يجري الحدث على الجبل: لأنه كما أن شعب الله القديم تسلّم إعلان مشيئة الله على جبل سيناء، هكذا يكون مع شعب الله الجديد أي الكنيسة (والجبل في تعبير العهد القديم و الجديد يشير إلى مكان قريب من الله) التي تتسلّم رؤساءها الأول على الجبل. يشدّد المفسرون المعاصرون بحث على أن عمل يسوع هذا له معنى مسياني، لكن يجب علينا أن نؤكد من جهتنا على أن عمله هذا له معنى كنسي ecclesiologique. يختار يسوع اثني عشر تلميذاً بدلاً من القبائل الاثني عشر القديمة، وذلك ضمن واقع جديد، لا بالتطلّع إلى نهاية العالم، لكن بالنظر إلى بداية إنسانية جديدة هي الكنيسة. من ناحية أخرى يمكن أن نقول أن الكنيسة بعد القيامة والعنصرة هي استمرار وامتداد لشركة يسوع مع تلاميذه.

إن رسالة الاثني عشر حسب الآيتين ١٤-١٥ هي مزدوجة: "التبشير" و "إخراج الشياطين". بالطريقة نفسها بالضبط يصف الإنجيلي رسالة يسوع بأنها قائمة على "التعليم الجديد" و"سلطته" ضد الشياطين (أنظر ١: ٢٧). إن ملكوت الله الذي يحققه يسوع ويكرز به تلاميذه من بعده كامن في "التعليم الجديد" وفي "سلطته" على قوات الشيطان. تدلّ رسالة التلاميذ الاثني عشر هذه على أن يسوع لا يقصُر كنيسته عليهم، بل عن طريقهم، يمدّها إلى العالم كلّه. وعلى عكس الفريسيين ونسّاك قمران، لا يميل يسوع إلى التوحّد أو الانغلاق بل إلى المسكونية. لا يتوجّه إلى فئة مهدّدة منغلقة من الشعب، بل إلى كافة الشعب الذي إليه ينطلق التلاميذ لكي يكرزوا بملكوت الله ويحرّروا الناس من عبودية الشيطان.

عند مجيء ابن الإنسان الثاني في المجد سوف يجلس التلاميذ الاثنا عشر على "اثني عشر كرسياً لكي يدينوا أسباط إسرائيل الاثني عشر" (متى ١٩: ٢٨)، كما أن دورهم في جمع شعب الله الجديد يظهر من خلال وصف أورشليم السماوية التي سورها له "اثنا عشر أساساً وعليها أسماء رسل الخروف الاثني عشر" (رؤيا يوحنا ٢١: ٤١).

لقد برزت لائحة التلاميذ الاثني عشر في زمن مبكّر بسبب النفوذ أو السلطة التي كانوا يتمتعون بها في الكنيسة الأولى، حتى أسماء رسل الرب الحقيقيين كانت مميزة تماماً عن الرسل الكذبة الظاهرين في ذلك الزمن. وقد بقيت لوائح الرسل الاثني عشر في نصوص قديمة أخرى يعود زمنها إلى ما بعد العهد الرسولي، وهذه نصوص إما كنسيّة أو منحولة apocryphes (1) مع سرد مختلف للأسماء.

لدينا في العهد الجديد لوائح الأناجيل الإزائية ولائحة أعمال الرسل (١: ١٣). في كل من هذه اللوائح يُذكر أولاً سمعان بالأسماء التالية: سمعان، بطرس، كيفا. ويُطرح السؤال التالي: متى أعطى يسوع بالضبط لسمعان اسم كيفا (أي الصخرة). وجواب التقليد الإنجيلي هو التالي: حسب الأناجيل الإزائية يحصل تغيير اسم سمعان إمّا في مستهل لائحة الاثني عشر (مرقس ٣: ١٦ "وجعل لسمعان اسم بطرس"؛ أنظر لوقا ٦: ١٤)، وإمّا لارتباط هذه التسمية باعتراف بطرس بالمسيح في قيصرية فيلبس (أنظر متى ١٦: ١٨). حسب الإنجيل الرابع، في أول لقاء ليسوع مع سمعان، عندما أتى به أخوه اندراوس إلى يسوع، قال له الرب "أنت تدعى كيفا الذي تفسيره بطرس" (يوحنا ١: ٤٢).

يحمل أخوه اندراوس اسماً يونانياً (٢)، وينحدر من مدينة بيت صيدا (٣) التي ينحدر منها فيلبس أيضاً (يوحنا١: ٤٤). وفي لائحتي متى ولوقا يأتي بعد بطرس مباشرة. عند مرقس يأتي رابع، بعد بطرس وابني زبدى، يعقوب ويوحنا اللذين يطلق مرقس عليهما اسم "بوانرجس أي ابني الرعد" (مرقس٣: ١٧ والمخطوطة D في لوقا ٦: ١٤). إن هذه التسمية حسب مفهوم آباء الكنيسة تعني وتشير إلى فكرة لاهوتية سامية: "بعدما سمع يعقوب ويوحنا صوت الرعد من السماء، أرعدا هما أيضاً بعقائدهما اللاهوتية، أما يعقوب فبصورة غير مكتوبة، وأما يوحنا فبصورة مكتوبة" (المفسّر زيغافنوس).

بالنسبة لفيلبس لا نعرف شيئاً عنه سوى ما جاء في الأناجيل الإزائية (وكذلك عند يوحنا ١: ٤٣-٤٦ و٤٨، ٦: ٥ و٧، ١٢: ٢١-٢٢، ١٤: ٨ و٩). لا يذكر إنجيل يوحنا شيئاً عن تلميذ اسمه برثلماوس. لكنه بعد دعوة فيلبس يأتي هذا الأخير إلى نثنائيل ويقدّمه إلى يسوع (يوحنا١: ٤٥). حسب التقليد الكنسي وغالبية المفسرين المعاصرين، يوحَّد اسم برثلماوس المذكور في الأناجيل الإزائية مع اسم نثنائيل المذكور في إنجيل يوحن، حيث يقول لنا الإنجيل الرابع أنه من الاثني عشر

وينحدر من "قانا الجليل" (يوحنا ٢١: ٢). هكذا يكون اسم هذا الرسول الرئيسي نثنائيل الذي تفسيره في اليونانية (هبة الله). أما برثلماوس فهو اسم بيت أبيه ويعني ابن ثلما أو ثلماوس (Berthelemy) حسب المؤرخ يوسيفوس. ويبدو أن نثنائيل عُرف فيما بعد باسم بيت أبيه برثلماوس.

في لوائح الأناجيل الإزائية كما عند يوحن، يُذكر برثلماوس أو نثنائيل مباشرة بعد فيلبس. هناك بعض المفسّرين المعاصرين الذين لا يوحّدون بين برثلماوس ونثنائيل، ويعتبرون أن هذا الأخير غير موجود في الواقع بل هو إنسان على سبيل المثال. ولكن التقليد القديم يذكر لائحة أخرى للرسل الاثني عشر حيث يوضع نثنائيل إلى جانب برثلماوس كتلميذ مختلف عنه. وهكذا نجد هذا التمييز بين الاثنين في قوانين الرسل القديسين وغيرها. وفي تقليد أخر عند أبيفانوس، كان نثنائيل أحد التلميذين –الأول كليوبا- اللذين ظهر لهما يسوع وعما سائران إلى عمواس (أنظر لوقا ٢٤: ١٣ وما يليه). وحسب تقليد آخر أكثر أهمية وذي صدى في الترانيم الكنسية، نتبين أن التلميذ المذكور إلى جانب كليوبا هو لوقا نفسه الذي يكتب الرواية الإنجيلية.

بعدها يأتي الرسول متى. في إنجيل متى يسمّي الإنجيلي نفسه عشّاراً. ربما كان يدعى كذلك حتى بعد اعتزاله عمل العشارين وانتظامه في صف الرسل. يلاحظ المفسّر زيغافنوس أن الإنجيلي متى يذكر اسمه مع الصفة التالية "الجالس في بيت الجباية" ... ويميّز بعض الكتاب الكنسيين بين متى ولاوي بينما في الواقع هما شخص واحد يحمل اسمين (أنظر دعوة متى عند مرقس ٢: ١٤، ومتى ٩: ٩).

لا يُذكر توما إلا مرة في الأناجيل الإزائية. بينما يرد اسمه عند يوحنا مرّات كثيرة مع الصفة: "الذي يقال له التوأم". الصفة "التوأم" هي تعبير يوناني لاسم توما. ويبدو أنه كان يدعى هكذا في الأوساط اليونانية. في كنيسة سوريا يُعرف باسم يهوذا توما. وقد عُثر بين المخطوطات القبطية الغنوصية في منطقة نجا حماده (١٩٤٦) على "إنجيل توما" الذي يحتوي على ١١٤ قولاً ليسوع دوّنها "التوأم يهوذا توما".

أما سمعان الآخر غير سمعان بطرس فيُدعى عند الإنجيلين متى ومرقس القناني وفي كتابة أخرى قنانيتي. بينما يدعوه لوقا في الإنجيل وفي أعمال الرسل "الغيور". لا تعني صفة القناني أنه ينحدر من قان، كما يفسّر البعض عن غير حق، لأنه في هذه الحالة يجب أن يقول سمعان القاني أو القانيتي، كما أن تسميته بالقناني ليس نسبة إلى كنعان بل هي ترجمة آرامية لكلمة غيور (أنظر خروج ٢٠: ٥ حيث كلمة غيور، "أنا هو الرب إله غيور" وفي النص العبري قانا).

لماذا أطلقت كلمة "غيور" على سمعان؟ هناك وجهات نظر مختلفة. البعض يقول لأن سمعان كان ينتمي على تلك الفئة من اليهود المؤمنين الذين يُظهرون حماسة زائدة من أجل تطبيق أوامر الناموس بالتفصيل ومن أجل حفظ الطقوس العبادية، أو أن هذا اللقب أعطي لسمعان من قبل يسوع أو تلاميذه للدلالة على جانب ما من شخصيته. والبعض الآخر يقول بأن سمعان كان ينتمي إلى حزب الغيورين zylotes، وقد احتفظ بهذا اللقب بعد تركه الحزب من أجل العمل الرسولي، على مثال متى الذي بقي يدعى بـ "العشار" حتى بعد تركه عمل الجباية. وجهة النظر الأخيرة هذه هي المرجّحة، لأن كلمة غيور عندما تستعمل في العهد الجديد تتخذ كصفة للدلالة على غيرة دينية، تتبعها عبارة تحديد عامة (أنظر أعمال الرسل ٢١: ٢٠ "وهم جميعاً غيورون للناموس"، أعمال ٢٢: ٣ "كنت غيوراً لله"، ١كور١٤: ١٢ "إنكم غيورون للمواهب الروحية"، غلاطية ١: ١٤ "إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي"، تيطس ٢: ١٢ "غيوراً في أعمال حسنة"، ١بطرس٣: ١٣ "غيورين للخير").

في تقليد الكنيسة الليتورجي، ينحدر سمعان من قانا الجليل، ربّما لسوء تفسير اللقب "القناني" ويوحَّد بنثنائيل، ربّما أيضاً بسبب هذا اللقب الذي يطلقه الإنجيلي يوحنا على نثنائيل (يوحنا ٢١: ٢). والأغرب من هذا ما جاء في سنسكار ١٠ أيار حين يُعيد لهذا الرسول، إذ يعتبره السنكسار العريس الموجود في عرس قان، ويقول: "دعا سمعان المسيح إلى بيته مع تلاميذه حيث حوّل الربُّ الماء إلى خمر. وعندما رأى هذه العجيبة ترك عروسه والعرس والبيت وتبع المسيح الذي هو صديق النفوس الطاهرة وعريسها ... لأن غيرة كبيرة كانت عنده نحو الله الضابط الكلّ، أي محبة حارّة فائقة". إلا أنه لا يمكننا أن نأخذ بهذه المعلومات التي لا تؤكدها أية كتابة تاريخية.

في المرتبة التاسعة من كل اللوائح يأتي اسم يعقوب بن حلفى وابن مريم التي تُدعى في الأناجيل "مريم أمّ يعقوب" (أنظر مرقس ١٥: ٤٠، متى ٢٧: ٥٦، لوقا ٢٤: ١٠). في مرقس ١٥: ٤٠ يُدعى يعقوب "الصغير" ربّما بسبب قامته القصيرة أو لصغر سنه أو لتمييزه عن يعقوب الآخر ابن زبدى. يوّحد ايرونيموس وبعض الكتّاب الحديثين بين يعقوب بن حلفى ويعقوب أخي الربّ، لكن التقليد الكنسي يميز بصورة واضحة بين الاثنين، أي بين يعقوب الرسول ابن حلفى ويعقوب أخي الرب. وفي سنكسار الكنيسة يعيّد لكل منهما على حدة. في بعض الأحيان وفي الكتب الليتورجية يُعتبر يعقوب أخاً للاوي أو متى. ربما يكون ذلك بسبب اسم الأب حلفى الذي ورد عند مرقس (٢: ١٤).

أمّا الرسول تدّاوس الذي يأتي اسمه في لائحتي مرقس ومتى فهناك صعوبة بشأنه في التقليد التفسيري القديم وفي التفاسير الحديثة لأنه يُدعى في لائحة لوقا "يهوذا يعقوب". ويُطرح السؤال: هل هو شخص واحد بأسماء مختلفة يعطيها

الإنجيليون له، أم هو أكثر من شخص؟ إن الأسماء الكثيرة المتنوعة في مخطوطات نص متى على الأخص تدلّ على عدم وضوح التقليد بشأنه. الكتابات الإنجيلية "لباوس الملقب تداوس" (متى ١٠: ٣) أو "تدّاوس المدعو لباوس" تشكل محاولة للتوفيق بين الاسمين، ولذلك تأخذ أهمية ثانوية. تذكر الترجمات اللاتينية القديمة يهوذا الغيور. هذه التسمية لا تطرح مشكلة في النصوص أو في التغييرات بسبب ما ورد عند لوقا من تسمية "يهوذا يعقوب". لكن المفسرين يلاحظون كيف أن لوقا وضع اسمه، عمد، مباشرة قبل يهوذا الاسخريوطي. يذكر إنجيل يوحنا هذا التلميذ (يوحنا ١٤: ٢٢)، ويميّزه عن يهوذا الذي أسلم يسوع بالتعبير التالي "يهوذا غير الاسخريوطي" إلى جانب التسميات المتنوعة مثل يهوذا القنانيتى، توم، يهوذا توما.

لقد بُذلت محاولات عديدة لتحديد هوية التلميذ لعاشر الذي حسب الكتابات الشائعة يُدعة تداوس، لباوس، يهوذ، يعقوب، يهوذا غير الاسخريوطي.

يستند المفسر كولمن Cullmann : 1 – إلى الترجمة القبطية القديمة التي في يوحنا ١٤: ٢٢، بدل "يهوذا غير الاسخريوطي"، تذكر يهوذا القنانيتي. ٢ – إلى المخطوطة الإيطالية Vetus Itala التي في متى ١٠: ٣، بدل تداوس أو لبّاوس، تذكر يهوذا الغيور مباشرة قبل يهوذا الآخر.

فيستنتج أن التلميذ المدعو يهوذا غير الاسخريوطي غير موجود، بل هو نفسه يهوذا الذي أسلم يسوع والذي يدعى تارة الاسخريوطي وتارة يهوذا الغيور أو يهوذا القنانيتي، والألقاب الثلاثة تعني شيئاً واحداً.

حسب كولمن، لا يمكن اللقب اسخريوطي مع كل الكتابات الواردة في المخطوطات (سكريوطي، سكريوط، اسكريوط) أن تعني "إنسان كريوط" أو "الذي من كريوط" حسب الاصطلاح الشعبي الذي لا يستند إلى أي أساس، لأننا لا نعرف مكاناً يُدعى بهذا الاسم. بل يرتبط اللقب اسخريوطي على الأرجح بحزب الغيورين، ويشكّل ترجمة آرامية للكلمة اللاتينية سيكاريوس Sicarius.

كان يهوذا الاسخريوطي، حسب هذه النظرية، يُدعى أولاً القنانيتي أو الغيور (والكلمتان كما رأينا لهما المعنى نفسه كما في حالة سمعان القناني)، وساد لاحقاً اسم الاسخريوطي. عندها نسي المعنى الأول وعلاقته بالكلمة Sicarius، فاعتقد أن هناك شخصين: يهوذا يعقوب ويهوذا الاسخريوطي. ومن جهة أخرى لم يتأكد التقليد من وجود تلميذ مثل يهوذا غير الاسخريوطي لأن عندنا أسماء عديدة، والنص السرياني يوحّده مع توما.

نظرية كولمن هذه بخصوص شخصية التلميذ العاشر، رغم كل محاولات التوفيق بين المخطوطات المختلفة، لا تحلّ المشكلة. لا يمكن أن نقبل أنه ظهر شخص ثان بسبب نسياننا لمعنى اسخريوطي. ومن جهة ثانية يقول يوحنا الإنجيلي في (٦: ٧١ و ١٣: ٢٦) إنه ابن سمعان، وهذه التسمية التي تتناقض مع ما جاء عند لوقا عن سمعان يعقوب. لذلك لا بدّ من وجود تلميذين مميزين من قبل التقليد الكنسي ومن قبل غالبية المفسّرين الجدد.

في تقليد الكنيسة الأرثوذكسية الليتورجي وعند بعض الكتاب الكنسيين، يوحَّد يهوذا يعقوب في بعض الأحيان مع يهوذا أخي الرب.. لكن أحداً من المفسرين الجدد لا يؤيد هذا التوحيد. إذاً هو مميّز عن يهوذا أخي الرب وله ثلاثة أسماء حسب ايرونيموس: الاسم الرئيسي يهوذ، والثاني يعقوب وهو اسم أبيه، والثالث تداوس أو لباوس وهي كناية عن أوصاف ترتبط الأولى بكلمة اعتراف والثانية بالكلمة العبرية leb (أي القلب) مما يدلّ على الشجاع والقوي النفس.

يميّز الكتاب الكنسيون والآباء بين يهوذا يعقوب ويهوذا الاسخريوطي. ويفهمون اللقب الأخير بمعنى مكان انحداره: "اسخريوطي أي من تلك المدينة، وهناك يهوذا آخر مدعو لباوس"، يقول الذهبي الفم. والصعوبة هنا في أننا لا نعرف مدينة بهذا الاسم: سخريوط. هل هي مدينة كريوط عزرون أو آصور (يشوع بن نون ١٥: ٢٥)؟ على كل حال كان أبو يهوذا سمعان يحمل مثل هذا الاسم اسخريوطي (يوحنا ٦: ٧١، ١٣: ٢ و٢٦). وتقول بعض التفاسير الأخرى لكلمة اسخريوطي إنها تعني "إنسان الكذب" أو "إنسان في سيخار" ... إلا أنها مجرد محاولات لا يمكن قبولها.

بالنسبة للتلاميذ الاثني عشر عندنا التسميات التالية: الاثنا عشر، التلاميذ، الرسل، التلاميذ الاثنا عشر، الرسل الاثنا عشر. من كل هذه الأسماء تتردد الأولى "الاثنا عشر" بكثرة عند مرقس مما يدلّ على أنها الأقدم.

نقفل هذه الفقرة عن التلاميذ الاثني عشر بما جاء من تفسير عن القديس كيرلس الاسكندري: "إن كان أحد يريد أن يفسر أسماء التلاميذ فليعلم أن بطرس يفسَّر بالمعروف، اندراوس بقوة جديرة أو مدافعة، يعقوب بمهماز الألم، متى بالموهوب، فيلبس بفم اليدين أو فم المصباح، برثلماوس بابن معلّق المياه، توما باللجة أو التوأم، يعقوب حلفى بمهماز طريق الحياة يهوذا بالاعتراف وسمعان بالبصير"

التجديف على الروح القدس:

"٢٠ فَاجْتَمَعَ أَيْضًا جَمْعٌ حَتَّى لَمْ يَقْدِرُوا وَلاَ عَلَى أَكْلِ خُبْزٍ. ٢١ وَلَمَّا سَمِعَ أَقْرِبَاؤُهُ خَرَجُوا لِيُمْسِكُوهُ، لأَنَّهُمْ قَالُوا:«إِنَّهُ مُخْتَل!». ٢٢ وَأَمَّا الْكَتَبَةُ الَّذِينَ نَزَلُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ فَقَالُوا:«إِنَّ مَعَهُ بَعْلَزَبُولَ! وَإِنَّهُ بِرَئِيسِ الشَّيَاطِينِ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ». ٢٣ فَدَعَاهُمْ وَقَالَ لَهُمْ بِأَمْثَال:«كَيْفَ يَقْدِرُ شَيْطَانٌ أَنْ يُخْرِجَ شَيْطَانًا؟ ٢٤ وَإِنِ انْقَسَمَتْ مَمْلَكَةٌ عَلَى ذَاتِهَا لاَ تَقْدِرُ تِلْكَ الْمَمْلَكَةُ أَنْ تَثْبُتَ. ٢٥ وَإِنِ انْقَسَمَ بَيْتٌ عَلَى ذَاتِهِ لاَ يَقْدِرُ ذلِكَ الْبَيْتُ أَنْ يَثْبُتَ. ٢٦ وَإِنْ قَامَ الشَّيْطَانُ عَلَى ذَاتِهِ وَانْقَسَمَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَثْبُتَ، بَلْ يَكُونُ لَهُ انْقِضَاءٌ. ٢٧ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَ قَوِيٍّ وَيَنْهَبَ أَمْتِعَتَهُ، إِنْ لَمْ يَرْبِطِ الْقَوِيَّ أَوَّلاً، وَحِينَئِذٍ يَنْهَبُ بَيْتَهُ. ٢٨ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ جَمِيعَ الْخَطَايَا تُغْفَرُ لِبَنِي الْبَشَرِ، وَالتَّجَادِيفَ الَّتِي يُجَدِّفُونَهَا. ٢٩ وَلكِنْ مَنْ جَدَّفَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ فَلَيْسَ لَهُ مَغْفِرَةٌ إِلَى الأَبَدِ، بَلْ هُوَ مُسْتَوْجِبٌ دَيْنُونَةً أَبَدِيَّةً». ٣٠ لأَنَّهُمْ قَالُوا: «إِنَّ مَعَهُ رُوحًا نَجِسًا»." (مرقس ٣: ٢٠-٣٠؛ متى ٢١: ٢٤-٣٢؛ لوقا ١١: ١٥-٢٢ و ١٢: ١٠).

الآيتان ٢٠ و٢١ خاصتان بمرقس. ولربّما كانتا تشكلان مقدمة للقصة التي أوردتها الآيات ٣١-٣٥، والتي تتكلم عن عائلة يسوع. بينما كانت الجموع تتدفق نحو يسوع الموجود في بيت لحم (ولم يحدّد أي بيت)، كان أخوته وأقرباؤه، "ذووه"، يحاولون أن يخففوا من نشاطه الزائد الذي خرج عن نطاق الحدود الإنسانية الاجتماعية. "لأنهم قالوا أنه مختل": الكلمة "مختل" ترجمة لفعل existimi الذي يعني في إنجيل مرقس أن يخرج عن صوابه بسبب دهشته أو تعجبه (مرقس ٢: ١٢، ٥: ٤٢، ٦: ٥١). هنا معنى الكلمة أن يسوع أخذ يهمل حاجاته الرئيسية (من طعام وما شابه) ممّا دفع ذويه إلى عدم الارتياح إلى حالته بجملتها فأخذوا يهتمون به.

في ما يلي ذلك (الآية ٢٢ وما يلي) يقدّم الإنجيلي رأي الكتبة الرسمي حول يسوع، الكتبة الآتين من أورشليم : كانوا يقولون "إن معه بعلزبول وأنه برئيس الشياطين يخرج الشياطين". هم لا ينكرون حقيقة العجائب، لكنهم يحاولون أن يفسروها كنتيجة تعامله مع رئيس الشياطين. لا يستطيعون أن ينكروا حقيقة جليّة، ولكنهم يحاولون أن يحوّروها لكي يقللوا من حماس الشعب.

بعلزبول Beelzeboul صفة شعبية للشيطان ويعني : سيد البيت السماوي. ولكن في النص الكنسي، والترجمات اللاتينية والسريانية ونص المخطوطة السينائية وغيرها من المخطوطات، نجد أن بعلزبول Beelzaboul يعني "إله الحشرات" الكنعاني. لكن العبارة الأولى "المستندة إلى المخطوطة الفاتيكانية" هي المرجّحة عند غالبية الشرّاح لأنها ترتبط بجواب يسوع للكتبة. يوبخهم يسوع على تفكيرهم الهزيل بواسطة المثل التالي: بامكان الشيطان أن يقسم الناس ويجعلهم أعداء فيهما بينهم، لكنه لا يستطيع أن ينقسم على نفسه. أي لا يستطيع الشيطان

أن يُخرج الشيطان من الناس لأنه في مثل هذه الحالة لن تقوم مملكته المنقسمة على نفسها بل سوف تزول. لا يأتي نشاط يسوع نتيجة تعامله مع الشيطان بل بالضبط نتيجة محاربته إياه. هذا هو التعليم الخرستولوجي (٤) الرئيسي في إنجيل مرقس. الشيطان هو (القويّ) الذي يسود على الناس ويقيّدهم. أمّا يسوع هو إبن الله فهو (الأقوى) لأنه يحرّر الناس من عبودية الشيطان.

يصف يسوع تحوير مثل هذا الحقيقة من قبل الكتبة خطيئة لا تُغتفر ضد الروح القدس (الآيات ٢٨-٣٠). إنها تشكل تجديفاً على الروح القدس لأنها لا تعترف بخلاص المسيح الاسختولوجي (٥) لأنها لا تقبل بأن يعمل الله ويعلن عن نفسه في المسيح، وهو الذي سوف ينقض مملكة الشيطان ويؤسس مملكته الخاصة. كل من يشوّه الأمور بهذه الطريقة ويرى في عمل يسوع عملاً شيطانياً يكون في حالة قساوة قلب كبيرة، يحرم نفسه رجاء التوبة وبالتالي يحرمها المسامحة. إن الإنجيلي مرقس، عندما يورد كلام يسوع هذا إجابة على الكتبة، هو يتّهم طبعاً معاصريه الذي لا يعترفون بالمسيّا المرسَل من الله.

العائلة الاستخولوجية (٢):

"٣١ فَجَاءَتْ حِينَئِذٍ إِخْوَتُهُ وَأُمُّهُ وَوَقَفُوا خَارِجًا وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَدْعُونَهُ. ٣٢
وَكَانَ الْجَمْعُ جَالِسًا حَوْلَهُ، فَقَالُوا لَهُ:«هُوَذَا أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ خَارِجًا يَطْلُبُونَكَ». ٣٣
فَأَجَابَهُمْ قِائِلاً:«مَنْ أُمِّي وَإِخْوَتِي؟» ٣٤ ثُمَّ نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى الْجَالِسِينَ وَقَالَ:«هَا أُمِّي
وَإِخْوَتِي، ٣٥ لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي»." (مرقس: ٣:
٣١-٣٥، متى ١٢: ٤٦-٥٠، لوقا: ٨: ١٩-٢١).

إن اهتمام أقرباء يسوع به في الآيتين ٢٠-٢١ يستمرّ في الآيات ٣١ وما يليه، حيث تأتي أمّه وإخوته يفتشون عنه في البيت حيث كان يعلّم، وذلك من أجل أن يعيدوه إلى النظام وإلى بيتهم. علم يسوع بالأمر "فنظر حوله" (هذا الفعل المحبب لدى مرقس) إلى الجالسين وقال: كل من يعمل مشيئة الله هو أخوه وأخته وأمّه. يعلّق القديس يوحنا الذهبي الفم على هذا المشهد بقوله أن يسوع ههنا "لا ينكر أقرباءه بحسب الجسد، لكنه يضيف إليهم أقرباءه بحسب الفضيلة" .

يجمع يسوع المسيح، عم طريق تعليمه وعجائبه شعب الله الجديد، بل عائلة الله الجديد حول نواة الاثنى عشر تلميذاً. ولا تحدَّد العائلة الجديدة بحسب العلاقات العالمية بل استناداً إلى حفظ مشيئة الله. "أقرباء المسيح الحقيقيون هم الذين يعملون مشيئة الله" (المفسر ثيوفيلكتوس)، وثمر هذه القرابة هي الاشتراك

بخيرات العائلة كلها وخاصة بالأهمّ منها وهو ميراث الملكوت الآتي كما يقول المفسّر زيغافنوس.

نلاحظ التضاد الظاهر في الروايتين المتتاليتين: لدينا من جهة ممثلو الديانة اليهودية الذي يحدّدون عمل يسوع، وأيضاً أقرباؤه بحسب الجسد الذين لا يستطيعون أن يفهموا عمله المسياني فيعتبرونه مختلاً قد خرج من صوابه.

بينما من جهة أخرى أقرباؤه الجدد أي الجالسون (حوله) يسمعون تعليمه ويرونه كمسيّا فيندهشون متعجبين من كل ما يرونه من العجائب وما يسمعونه من الأقوال، فيتحققون في وجدانهم من أن أعماله هي أعمال المسيّا.

الإصحاح الرابع

أمثال الملكوت: معلومات عامة عن الأمثال:

في الفصل الرابع يعطي الإنجيلي مرقس ثلاثة أمثال وبعض الأقوال بمثابة أمثال كلّها تتعلّق بملكوت الله. تشكّل الأمثال ثلث تعاليم يسوع المدوّنة في الأناجيل الإزائية. هنا يُطرح السؤال: لماذا فضل يسوع تعليم الشعب بواسطة الأمثال؟

قبل أن نبدأ بتفسير المثل الأول الذي يرد في الفصل الرابع، سنحاول أولاً الإجابة عن هذا السؤال وتحليل ما جاء في الآيات ١٠-١٢ حيث يوضح يسوع معنى الأمثال استجابة لسؤال التلاميذ.

"١٠ وَلَمَّا كَانَ وَحْدَهُ سَأَلَهُ الَّذِينَ حَوْلَهُ مَعَ الاثْنَيْ عَشَرَ عَنِ الْمَثَلِ، ١١ فَقَالَ لَهُمْ:«قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا سِرَّ مَلَكُوتِ اللهِ. وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ فَبِالأَمْثَالِ يَكُونُ لَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ، ١٢ لِكَيْ يُبْصِرُوا مُبْصِرِينَ وَلاَ يَنْظُرُوا، وَيَسْمَعُوا سَامِعِينَ وَلاَ يَفْهَمُوا، لِئَلاَّ يَرْجِعُوا فَتُغْفَرَ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ»." (مرقس ٤: ١٠-١٢، متى ١٣: ١٠-١٥، لوقا ٨: ٩-١٠).

عادة تُعطى الأجوبة التالية:

١ - تشكّل الأمثال وسيلة معروفة في زمن يسوع، وهي مستعملة كثيراً عند الربّانيين. لذا يتبع يسوع طريقة تعليم كانت معروفة آنذاك، ولكنه يعطي هذا التعليم مضموناً جديداً.

٢ – يعتبر يسوع الأمثال، التي يستمدها من الحياة اليومية، سبيلاً جيداً لإفهام الشعب كرازته. من المعروف أن الصور تترك أثراً أبقى في الذاكرة وتُدرك بسهولة أكثر من المعاني المجرّدة. ويلاحظ القديس يوحنا الذهبي الفم أن يسوع "يتكلم بالأمثال لكي يبرز كلامه أكثر ويثبت الأفكار بإشراك الذاكرة والنظر. هكذا يفعل أيضاً الأنبياء"

٣ – كان يسوع يتوقع أن تدخل الأمثال مباشرة إلى أذهان السامعين بدون جهد خاص يبذلونه. لكن ما حصل، حسب رواية الإنجيليين، هو العكس: لم يفهم "الذين حوله مع الاثني عشر" (مرقس٤: ١٠). مثل الزارع، بل سألوا يسوع مباشرة عن معناه فأجابهم: "قد أُعطيَ لكم أن تعرفوا سرّ ملكوت الله. وأمّا الذين هم في خارج فبالأمثال يكون لهم كل شيء..." (مرقس

٤: ١٢). من هذا الكلام نستنتج أن الأمثال تكشف من جهة التلاميذ عن سرّ ملكوت الله، وفي الوقت نفسه تخفيه عمن هم في خارج صحابة يسوع. ترتبط هذه الملاحظة بما يدعى "سرية المسيّا"، لا بمعنى نظرية **W. Wrede** التي تقول كما ذكرنا سابقاً أن الكنيسة المسيحية كانت تؤمن بمسيانية يسوع بينما هو لم يكن يعي مسيانيته، بل بمعنى أن يسوع اتخذ موقفاً تربوياً متحفظاً أمام سامعيه. إن المسيّا يعمل ويعلم "كمن له سلطان"، وفي الوقت ذاته يتجنب الاعتراف العلني به من قبل الجمع. يكشف تدريجياً عن ملكوت الله بواسطة الأمثال، وأيضاً يخفيه عن طريق الأمثال نفسه، حتى يتجنب التفاسير الخاطئة إمّا من قبل الذين لديهم مفاهيم غامضة حول المسيّا والملكوت، وإمّا من قبل الرومان الذين يفهمون كلمة ملكوت بطريقة أخرى. إن مجابهة المفاهيم الخاطئة السائدة وجهاً لوجه لن تكون لها النتيجة المرجوّة.يتكلم إذاً "بالأمثال" بطريقة تستدعي اهتمام السامعين وتكشف بالتالي معناها لعدد محصور بينهم. يشبّه الأستاذ **Termblelas**، بصورة موفقة، الأمثال بعمود الغمام الذي كان يرافق الشعب الإسرائيلي والذي كان يسدل جانبه المظلم نحو المصريين بينما كان ينير إسرائيل من الجانب الآخر (١).

تنير الأمثال "سرّ الملكوت" للتلاميذ، بينما تظلله للذين لا يهتمّون به أو للذين يعادونه. هكذا فإن إخفاء السرّ لا يبقى إخفاءً دائماً بل إلى حين ليثير اهتمام السامع. يلاحظ القديس يوحنا الذهبي الفم قائلاً: "إن المثل يفصل بين المستحق وغير المستحق. لأن المستحق يفتّش عن معنى الأقوال التي سمعها بينما غير المستحق يهملها... يكفي إذاً أن يُطلب تفسير الأمثال عندما يبدو معناها خفياً. من أجل ذلك استخدمها المسيح وتكلّم بالأمثال منهضاً الساقطين وموقظاً النائمين إلى رغبة الاستماع إليه، ومع ذلك لم يصغوا كلهم إليها. بينما استرعت انتباه التلاميذ... فأخذهم الرب جانباً لكي يشرح لهم الأمثال".

يُستعلن سرّ الملكوت للذين يهتمون به كما فعل التلاميذ عندما طلبوا تفسيره. فإنه يتحقق عبر صعوبات كثيرة يجب أن لا تحطّ من عزيمتهم أو أن تسبب ميولاً حماسية لتثبيت الملكوت بصورة نهائية، هل العمل الذي هو من شأن الله. هذا أيضاً لأن هناك نزاعاً بين تدشين الملكوت التاريخي في الحاضر واستكماله في المستقبل.

إن التعبير "سر الملكوت" أو "أسرار الملكوت" في المؤلفات اليهودية وكذلك في مخطوطات مجموعة قمران الأسّانية يدلّ على برامج الله ومشيئاته التي تختص بالأيام الأخيرة. مشيئاته غير معروفة عند الكثيرين، لكنها مستعلنة من الله لمختاريه. في العهد الجديد يرتبط السرّ بشخص يسوع المسيح. معرفة ذلك السرّ تعني الاعتراف بيسوع كمسيّ، وبأن في المسيح يبدأ تحقيق ملكوت الله. ويلاحظ المفسّر **Lohmeyer** عن حق، من أقوال يسوع وبقلم الإنجيليين، أن "معنى السرّ خرج عن نطاق الأحلام الرؤيوية ليسلك سبيل الأحداث التاريخية".

أخيراً الكلمة "لئلا" في الآية ١٢، المأخوذة من أشعيا ٦: ١٠، لا تعني التهديد بل العودة المرغوب فيها للسامعين غير المبالين بكرازة يسوع، بحيث يحصلون على غفران خطاياهم. وهذا ما نجده ليس فقط عن مفسّرين حديثين بل أيضاً عند مفسّري الكنيسة القدماء. وفي هذا الصدد يكتب القديس يوحنا الذهبي الفم: "ويقول ذلك وهو يجذبهم ويحثهم ويبين لهم أنه عند عودتهم سوف يشفيهم... يُظهر أن العودة ممكنة، وأن التوبة تجلب الخلاص، وأنه لا يتصرف لمجد نفسه بل لخلاصهم يصنع كل شيء. لو لم يُرد أن يسمعوا ويخلصوا لكان صمت ولم يتكلم بالأمثال. وبتكلّمه بأقوال خفيّة (بالأمثال) يحضّهم على السمع والتوبة".

مما سبق نستنتج أن هدف تعليم يسوع بالأمثال هو من جهة إعلان سرّ ملكوت الله في الكنيسة للتلاميذ، ذلك الملكوت المحقَّق والمنتظر في آن واحد، ومن جهة أخرى إخفاء ذلك السر مرحلي، بكلمات مخفية عن الذين هم في الخارج، بطريقة تجلب اهتمامهم حتى يتقبلوا بتوبة كرازة الملكوت.

إن الأمثال التي يقدّمها الإنجيليون ترتبط بطريقة مباشرة بشخص يسوع المتفوّه بها. وهي تدخلنا إلى قلب كرازته حول ملكوت الله. بها تنكسر كرازة يسوع كما بمنشور (prisme) لتكشف لنا عن جوانب مميزة لسرّ الملكوت الحاضر والعامل في العالم، وكذلك، وفي الوقت نفسه، الملكوت المنتظر بكماله في المستقبل.

في تاريخ اللاهوت المسيحي، استعملت أحياناً بتطرّف الطريقة الرمزية لتفسير الأمثال، مما أدى إلى حجب معناها الحقيقي. هذا يعود إلى رغبة المفسّرين في الغوص أكثر وراء كل نقطة تفصيلية في رواية المثل. ومما ساعد في هذا النهج

أن التفسير الرمزي للأساطير القديمة كان شائعاً في العالم اليوناني، كما كانت طريقة التفسير الرمزية قد خلقت مدرسة في العالم اليهودي الهلّيني (فيلون). إن نتيجة طريقة تحليل الأمثال الرمزية أدّت إلى عدد كبير من التفاسير المتعلقة بنواحٍ تفصيلية من المثل. يختلف عن المثل (parabole). لأن كل نقطة تفصيلية في التشبيه الرمزي تعني حقيقة أخرى غير مذكورة بصورة واضحة في الرواية، بينما يوجد في المثل معنى رئيسي يوجِّه كل الرواية، ولا تشكل التفاصيل إلا إطاراً للوحة بكاملها. يلاحظ القديس يوحنا الذهبي الفم "من غير الضروري أن نحلّل كل كلمة واردة في الأمثال، بل عندما نتعرف إلى الهدف الذي من أجله أُعطيَ المثل، نكون قد وصلنا إلى مبتغان، ولا حاجة بنا للتوسّع أكثر من ذلك".

إلى جانب ذلك يجب أن نلاحظ أن بعض الأمثال في الأناجيل فيها عناصر رمزية. وفي العصر الحديث (نهاية القرن التاسع عشر) كان **A. Jülicher** أوّل مفسّر اهتم علمياً بأمثال العهد الجديد، وهو الذي وقف ضدّ التفسير الرمزي مشدداً على أن كل مثل يحتوي على معنى رئيسي واحد وعلى حقيقة أخلاقية عامة واحدة. جاء بعده المفسّران **J. Jeremias** و **C.H. Dodd** اللذان اهتمّا بالأمثال الإنجيلية، وتشكل أعمالهما محطة هامة في تاريخ تفسير الأمثال. فقد درسا كلاهما الأمثال الإنجيلية واضعين إياها ضمن نطاق نشاط يسوع التبشيري كعمل أخير لله افتقد بواسطته شعبه وخلّصه. انطلقت التفاسير التالية من هذا الخط، وذلك بالارتباط مع طريقة الأشكال التاريخية (**Formgeschichte**).

إن موضوع الأمثال الإنجيلية الرئيسي هو، استناداً لما سبق، ملكوت الله كتدخل الله المقرر في التاريخ وذلك في شخص المسيح. هدفه خلاص البشر ودعوتهم إلى التوبة حتى يصيروا أبناء الملكوت. وفي أمثال أخرى يُنتظر الملكوت كحدث مستقبلي، ويُدفع المسيحي أن يسهر بصورة مستمرة من أجل إقتباله. وحري بنا القول أن كل مثل يُظهر جانباً مميزاً لسرّ ملكوت الله ويشدّد عليه. هكذا مثلاً في بعض الأمثال يشدّد على مجيء الملكوت بصورة مفاجئة وعلى الحاجة إلى السهر من قبل الناس، على الحركية الكامنة في الملكوت، ميزة الملكوت الفريدة والوحيدة، حتى أن الإنسان يترك كل شيء لكي يحصل عليها. وفي أمثال أخرى يشدّد على ضرورة التوبة وعلى عدم ارتباط النعمة ومحبة الله بأعمال الإنسان، وأيضاً على أن محبة كل إنسان لقريبه انعكاس لمحبة الله له، المحبة كأساس الدينونة الأخيرة إلخ. يمكننا القول أن كرازة يسوع بالملكوت تنكسر كما بمنشور (**prisme**) وتقدّم لنا عبر كل مثل لوناً من ألوانه المميّزة، ومجموعة الألوان والصور تشكّل السرّ بأكمله، سرّ ملكوت الله الحاضر في المسيح وفي الكنيسة كما في الوقت نفسه المنتظر بملئه في الأيام الأخيرة.

مراجع عن الأمثال:

*

A. Jülicher، Die Gleichnisreden Jesu، Tome 1: 1888; Tome 2: 1910.

*

C. H. Dodd، The Parables of the Kingdom، London، 1935.

*

J. Jeremias، Die Gleichnisse Jesu، Göttingen، 1947; 7th edit. 1965.

*

L. Karavidopoulos، Ai Parabolai tou Izsou، Thessaloniki، 1970.

مثل الزارع:

" ١ وَابْتَدَأَ أَيْضًا يُعَلِّمُ عِنْدَ الْبَحْرِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ حَتَّى إِنَّهُ دَخَلَ السَّفِينَةَ
وَجَلَسَ عَلَى الْبَحْرِ، وَالْجَمْعُ كُلُّهُ كَانَ عِنْدَ الْبَحْرِ عَلَى الأَرْضِ. ٢ فَكَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَثِيرًا
بِأَمْثَال. وَقَالَ لَهُمْ فِي تَعْلِيمِهِ: «اسْمَعُوا! هُوَذَا الزَّارِعُ قَدْ خَرَجَ لِيَزْرَعَ، ٤ وَفِيمَا هُوَ
يَزْرَعُ سَقَطَ بَعْضٌ عَلَى الطَّرِيقِ، فَجَاءَتْ طُيُورُ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُ. ٥ وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى
مَكَانٍ مُحْجِرٍ، حَيْثُ لَمْ تَكُنْ لَهُ تُرْبَةٌ كَثِيرَةٌ، فَنَبَتَ حَالاً إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عُمْقُ أَرْضٍ. ٦
وَلكِنْ لَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ احْتَرَقَ، وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ جَفَّ. ٧ وَسَقَطَ آخَرُ فِي
الشَّوْكِ، فَطَلَعَ الشَّوْكُ وَخَنَقَهُ فَلَمْ يُعْطِ ثَمَرًا. ٨ وَسَقَطَ آخَرُ فِي الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ،
فَأَعْطَى ثَمَرًا يَصْعَدُ وَيَنْمُو، فَأَتَى وَاحِدٌ بِثَلاَثِينَ وَآخَرُ بِسِتِّينَ وَآخَرُ بِمِئَةٍ». ٩ ثُمَّ قَالَ
لَهُمْ:«مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ، فَلْيَسْمَعْ»". (مرقس ٤: ١-٩، متى ١٣: ٣-٩، لوقا ٨:
٤-٨).

يرد مثل الزارع في الأناجيل الإزائية الثلاثة. وهو أوّل الأمثال وأكبره، مما يدلّ على أنه كان يحتل مكانة مهمة في ضمير الكنيسة الأولى وكرازتها. يؤكد ذلك التفسير الذي يلي المثل والموجّه إلى التلاميذ الذين سألوا عن معناه.

إن هذا المثل، ككثير غيره من الأمثال التي قالها يسوع، مأخوذ من ظروف حياة فلسطين الزراعية المعروفة لدى السامعين. من أجل أن نفهم أكثر بعض تفاصيل صورة مثلنا هذ، يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن الزرع يسبق الفلاحة.

تزرع مساحة الحقل كلّها مع كل عدم استواءاته (أرض صخرية، أشواك، ممرّات إلخ.)، وبالتالي تتبع الفلاحة. هكذا يفسر كيف أن جزءاً من الزرع المبذور يضيع ولا يعطي ثمراً.

توحي رواية المثل بأن ثلاثة أرباع عمل الزارع يلقى أرضاً غير مثمرة بينما الربع فقط يصادف "أرضاً جيّدة"، مع العلم إنه لم تحدَّد ضرورة اتساع رقعة الأرض الجيّدة بالنسبة إلى الأرض المجدبة. على كل حال تصف معظم آيات المثل فشل الزرع. وفي الوقت نفسه علينا أن نلاحظ أن ثمار الأرض الجيّدة لا تأتي في كل السنوات على نفس المستوى من الخصب، لأن النتاج يتفاوت ويبلغ القمة كل ثلاث أو أربع سنوات. يؤكد آباء الكنيسة بصورة خاصة على التدرّج في خصب ثمار الأرض الطيّبة إلى حدّ يعطي الانطباع بأن محور المثل يدور حول السنة المخصبة لا سنوات القحط.

بعد هذه الملاحظات يُطرح السؤال التالي: ما هو معنى أو هدف المثل الرئيسي؟ يريد يسوع، عن طريق هذا المثل، أن يعلّم أن كرازة الإنجيل لا بدّ أن تلقى العثرات والفشل، وهكذا يهيئ تلاميذه بصورة مناسبة لكي لا ييأسوا من الفشل بل أن يتابعوا عملهم بإيمان وصبر. وهنالك ناحية أخرى يلفتنا إليها المثل وهي التذكير بالثمار الأخيرة للأرض الجيّدة والتي تفوق كل توقع سابق وكل قياس بشري.

إن الفكرتين السابقتين موجودتان في المثل. لكن ما يريد يسوع أن يعلّمه بصورة رئيسية هو التالي: أن نجاح كرازته، وبالتالي كرازة الكنيسة، يتعلق في النهاية باستعداد السامعين وتجاوبهم. إن كلام الإنجيل لا يثمر دائم، فهذا يعود إلى نفوس الناس التي لا تشكّل كلّها "أرضاً جيدة". لا يعود فشل الكرازة الجزئي (وليس الكلي) إلى ضعف الزرع أو إلى ضعف نشاط الزارع بل إلى نوعية الأراضي التي يُلقى فيها الزرع.

من جهة ثانية تدلّ عبارة الآية ٩، "من له أذنان للسمع فليسمع"، على أن كلام يسوع يخفي في العمق معنى سرّياً: إن إثمار الزرع في نفوس الناس هو سرّ. هو يفترض صليب المسيح وقيامته، وطبعاً خبرة الصليب والقيامة عند الناس.

يتبنى آباء الكنيسة هذا التفسير (على مثال القديس يوحنا الذهبي الفم، ثيوفيلكتوس إلخ)، ويمكن أن نستنتجه من التفسير الذي يعطيه يسوع لتلاميذه (الآيات ١٣-٢٠). في الواقع لا يوضح يسوع من هو الزارع ومتى يحصل الحصاد. يقول فقط "إن الزرع هو كلمة الله"، وبعدها يعطي شرحاً موسّعاً بعبارات عن الفئات الأربع للسامعين كلام الله.

إن سبب عدم إثمار الفئات هو: أ- الشيطان، ب- الاضطهادات و الشدائد، ج- الاهتمام بالغنى و ملذّات العيش. الى الحالة الأولى ينتمي، حسب ثيوفيلكتوس، الذين (لا ينتبهون)، إلى الثانية (صغيرو النفس) و إلى الثالثة (المتنعمون) طبعاً إلى جانب الفئات الثلاث التي يضعها يسوع، إن في المثل أو في تفسيره، يمكن ان نُلحق بها أنواعاً اخرى من الناس الذين لا يثمرون وفقاً لظروفهم.

إن النتائج التي تفوق كل توقع سابق به، و (آخر بمئة) و التي تصدر عن الذين يكونون الأرض الجيدة، تدل على أن عمل زارع كلمة الله يجب أن لا يتوقف من جرّاء فشل الحالات الأولى بل عليه ان يتابع توقعاً لأثمار الأرض الجيدة المنتظرة.

إن هذا المثل، الذي يتكلم عن عمل يسوع كزارع أول لكلمة الله، و بالتالي عن عمل التلاميذ الذين سوف يتابعوا عمله، يحتل عن حق مكانة خاصة في حياة الكنيسة الليتورجية. انه يقرأ في بداية السنة الكنسية رامزاً الى عمل الزرع الذي تقوم به الكنيسة بواسطة عماله، مؤكداً على طلب الاثمار من قبل المسيحيين.

أقوال بمثابة أمثال عن السراج و عن الكيل و غيرها:

" ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «هَلْ يُؤْتَى بِسِرَاجٍ لِيُوضَعَ تَحْتَ الْمِكْيَالِ أَوْ تَحْتَ السَّرِيرِ؟ أَلَيْسَ لِيُوضَعَ عَلَى الْمَنَارَةِ؟ لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ خَفِيٌّ لاَ يُظْهَرُ وَلاَ صَارَ مَكْتُوماً إِلاَّ لِيُعْلَنَ. إِنْ كَانَ لأَحَدٍ أُذْنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ!» وَقَالَ لَهُمْ: «انْظُرُوا مَا تَسْمَعُونَ! بِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ وَيُزَادُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ. لأَنَّ مَنْ لَهُ سَيُعْطَى وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ سَيُؤْخَذُ مِنْهُ». (مرقس ٤: ٢١-٢٥).

هذه الأقوال موجودة في أماكن مختلفة في الأناجيل الازائية (انظر من ١٠: ٢٦، ١٣: ١٢، ٧: ٢، ٢٥: ٢٩، لوقا ٦: ٣٨، ١٢: ١، ١٩: ٢٦) فقط عند لوقا ٨: ١٧- ١٨، حيث يتبع الإنجيل ترتيب مرقس، نجد الأقوال الواردة في الآيات

٢٢- ٢٥. و بصورة عامة تسود وجهة النظر القائلة ان هذا المقطع يشكل وحدة من الأقوال ألفها مرقس في البداية وحده. و لذلك نجدها متفرقة لدى الإنجيليين الآخرين.

لندرس أولاً الكلام حول (السراج) . يرد هذا الكلام أيضاً في متى ٥: ١٥ حيث يتوجه يسوع الى تلاميذه (هؤلاء هم ملح الأرض، نور العالم، المدينة الموجودة على جبل، السراح الذي يضيئ للجميع) كما يرد هذا الكلام عن السراج عند لوقا مرتين : في لوقا ٨: ١٦ مباشرة بعد تفسير مثل الزارع (كما عند مرقس) و في لوقا ١١: ٣٣ حيث يتضح انه يشير الى عمل يسوع وسط جيل شرير يطلب آيات. ان الفحص الدقيق لهذه المقاطع الأربعة التي تتكلم عن السراج عند الإنجيليين يجعلنا نستنتج ما يلي: يشير هذا الكلام في الاصل الى عمل يسوع المسياني (لوقا ١١: ٣٣) و بالتالي الى (السراج) بصورة مميزة للكرازة عن الملكوت، و لكلام الله (كما في مقطع مرقس و مقطع لوقا ٨: ١٦) و أخيراً للكارزين بكلام الله، التلاميذ، أبناء الملكوت (متى ٥ : ١٥).

لم يوجد السراج لكي يوضع تحت المكيال بل على المنارة لكي ينير. ماذا تعني بالضبط صورة السراج المضاء و الموضوع تحت المكيال او الذي (يغطيه اناء) (لوقا ٨: ١٦)؟ كثيراً ما تفسّر هذه الصورة بأنها تشير الى اخفاء السّراج حتى لا يصبح نوره ظاهراً للآخرين. لكن دراسة النصوص الربّانية و المعرفة الدقيقة للعادات المحلية في ذلك الزمن تدلان على التفسير التالي الذي تبناه أولاً المفسّر jermias من ثم تبناه كثيرون: إن اطفاء السراج لا يتم بالنفخ الذي يشكل خطراً بسبب الحريق و يخلق جواً خانقاً في البيوت الفلسطينية التي كانت غالباً بدون نوافذ و تتألف من غرفة واحدة. بل يتم اطفاء السراج بوضع اناء بيتي فوقه عادة هو (المكيال) الذي يستخدم لكيل القمح و بالتالي هو متوفر في كل البيوت. إذا يوضع السراج تحت المكيال او (يغطيه اناء) من أجل اطفائه. ما معنى هذا الكلام إذاً؟

انه يعني ان لا احد يشعل سراجاً لكي يطفئه فور، و هذا التصرف غير معقول، بل يضعه على المنارة . وظيفة السراج المضاء، أي كلام الله و الكرازة بالملكوت، هي انارة الجميع.

ترتبط الآية ٢٢ بصورة وثيقة بما سيق بكلمة (لأنه) التي تُبرر هكذا وظيفة السراج في العالم و الحاجة اليه، لكي يظهر بالنهاية ما هو خفي وقتياً. يأتي هذا القول أيضاً عند بوقا (٨: ١٧) بالترتيب الذي ورد عند مرقس أي بعد مثل الزارع و مباشرة بعد الحديث عن السراج (لأنه ليس خفي لا يظهر و لا مكتوم لا يُعلم و يعلن)، و كذلك عند متى (١٠: ٢٦) في حديث يسوع لتلاميذه المرسلين الى الكرازة (لان ليس مكتوم لن يُستعلن و لاخفي لن يُعرف) هذا القول على ما يبدو،

كان مأثوراً في الأوساط الغنوصية (١) فهو يرد ثلاث مرات في انجيل توما الغنوصي (القول ٥ : " قال يسوع لتعرف ما هو امام عينيك ان كان مخفياً سيظهر لأن كل خفي سوف يظهر" القول ٦: " سأله تلاميذه و قالوا : أتريد أن نصوم؟ و كيف نصلي، و كيف تعمل عمل الرحمة، و ماذا علينا أن نحفظ عندما نتناول العشاء؟ قال يسوع: لا تكذبو، و ما تكرهونه لا تعملوه. كل ما هو تحت السماء سوف يعلن لأنه ليس من خفي إلا سيظهر و لا من مكتوم إلا سيعلن"، القول ١٠٨ " قال يسوع الذي يشرب من فمي يتحد بي و أنا به و كل ما هو خفي يعلن له").

(الخفي) في الاية ٢٢ يرتبط بوضوح بسرّ ملكوت الله الذي، و إن كان الوقت الحاضر (يعطي) فقط للتلاميذ، إلا أنه لن يظل مخفياً بل سوف يعلن بواسطة عمل التلاميذ (كأنوار) في العالم. و على التلاميذ ألا ييأسوا بسبب العثرات و الصدمات التي سوف تعترضهم. هذا ما يشدّد عليه متى (١٠: ٢٦) . من جهة ثانية، لهذا القول، الوارد في الاية ٢٢، ثقل هام خاصة لكل عمل تدبير الله في العالم و مساهمة التلاميذ فيه. هذا ما يتضح من جملة مرقس: (ان كان لأحد اذنان للسمع فليسمع) (مرقس ٤: ٢٣) تشكل هذه الجملة دعوة لأعضاء الكنيسة لكي يتحدوا و يفهموا جيداً كلام الله الى جميع اقاصي المسكونة . أي ان الايات ٢١ – ٢٣ تشدّد على عمل الكنيسة البشاري الرسولي. فالكنيسة عندما لا تحيا بالروح الرسولية، تشبه سراجاً تحت المكيال او تحت السرير.

استناداً الى متى ١٠: ٢٦ بشكل خاص يفسر آباء الكنيسة كلام الرب في هذه الاية بارتباط برسالة التلاميذ في العالم. فعلى هؤلاء ألا يخافوا بسبب اضطهادهم أو التجديف عليهم لأن فضيلتهم سوف تشرق مع مرور الزمن يقول المفسر ثيوفليكتوس: (بل تشجعوا لأن الحقيقة لن تخفى بل سوف يُظهر الزمن فضيلتكم و شرّ مضطهديكم، لأن ليس من خفي إلا سيعرف، حتى ان الذين يتهمونكم سوف يعترفون بكم) .

تسبق عبارة (و قال لهم) القول الوارد في الاية ٢٤ و تقدّم له يليها التحذير: (انظروا ما تسمعون) الذي يهدف الى جلب انتباه السامعين. ثم يليها مباشرة القول: (بالكيل الذي به تكيلون يكال لكم و يزاد لكم أيها السامعون) . هذا القول متّصل بتعليم الأمثال (٤: ١٠ – ١٢) و ربما جاء مباشرة قبله في الايات ٢١ – ٢٢. ان الكيل الذي يتكلم عنه هو مقياس اهتمام السامع بكلام اللخ و اتخاذه كسراج مساهماً في اظهار سرّ ملكوت الله الخفي؟ إن المفسرين ثيوفليكتوس و زيغافنوس يشرحونه عن حق، إذ يقول الاول : (إن كان السماع ينصت بانتباه كثير يعطيه الله افادة كبيرة) و يقول الثاني : (بالكيل الذي يقاس به الانتباه الى كلام الله، بالكيل نفسه تقاس معرفتن، و بقدر ما ننتبه بقدر ما تعطى لنا معرفة. من عنده انتباه يُعطى معرفة. و من لا يملك سمعاً و انتباهاً يجرّد من بذور المعرفة التي عنده) . إن

الانجيليين الآخرين، في الموعظة على الجبل عند متى، و في نوضع سهل عند لوق، يقولان القول نفسه عن المكيال (متى ٧: ١ -٢، لوقا ٦: ٣٧ – ٣٨).

ترد الاية ٢٥ (لأن من له سيُعطى ...) في أماكن مختلفة عند متى و لوق، و ذلك مرتين، أولاً في سياق شبيه بسياق مرقس (عند لوقا مباشرة بعد قوله عن كل خفي سوف يظهر و عند متى بعد مثل الزارع و تفسيره للتلاميذ و سؤالهم ليسوع لماذا يتكلم بالأمثال)، وثانياً في مثل الوزنات أو الأمناء (متى١٣: ١٢، لوقا٨: ١٨، متى٢٥: ٢٩، لوقا١٩: ٢٦).

ما معنى هذا القول؟ في سياق تعليم الأمثال يفسّر الآباء هذا الكلام بقولها : إن (من له) يشير إما الى الرغبة، أو الجهاد، او الى البحث و الانتباه لسماع كلمات يسوع، و إما الى الإيمان. و من جهة ثانية يربطون الاية ٢٤ بالاية ٢٥. و هنا يكتب القديس يوحنا الذهبي الفم : (يكمن كثير من عدم الوضوح في ما يقال، لكنه يحتوي عدالة لا توصف. لأن كل ما يقال هكذا يكون. الذي عنده الرغبة و الجهاد يُعطى هذا الحماس أيضاً من قبل الله و كل شيء آخر. أمّا إذا كان فارغاً منه و لا يفتّش عنه عندئذ لن يعطيه الله اياه. لأنه يقول: الذي له أيضاً يؤخذ منه، ليس لأن الله يأخذه بل لأنه بات غير مستحق لما يملك) و يقول ثيوفليكتوس: الذي عنده من الجهاد هذا يعطى معرفة و يزاد، الذي ليس عنده جهاد و معرفة جديرة فالذي عنده يؤخذ منه. لأنه لا يغذيها بالروح و بالأعمال الصالحة) و يقول زيغافنوس: (الذي عنده من الإيمان يُعطى أيضاً معرفة الأسرار بصورة ملموسة).

و بهذه الطريقة أيضاً يفسر الآباء القديسون القول الذي يرد في مثل الوزنات أو الأمناء: (من له) بأنه هو الذي له سلطة في الكنيسة و الذي عنده موهبة الكلام و التعليم أو أية موهبة أخرى. يقول الذهبي الفم: (الذي عنده موهبة الكلام و التعليم لما يفيد الاخرين، و لا يستعمله، فإنه يفقدها. امّا الذي يجتهد في تنميتها فتزداد عنده) و يقول زيغافنوس (لأن كل من عنده جدّ و اجتهاد يعطى أجراً و أكثر مما يستحق، و الذي ليس عنده من الجد و العمل حتى ما عنده يؤخذ منه لأنه لا يستعمله).

مثل الزرع الذي ينمو:

" وَقَالَ: «هَكَذَا مَلَكُوتُ اللَّهِ: كَأَنَّ إِنْسَاناً يُلْقِي الْبِذَارَ عَلَى الأَرْضِ وَيَنَامُ وَيَقُومُ لَيْلاً وَنَهَاراً وَالْبِذَارُ يَطْلُعُ وَيَنْمُو وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ كَيْفَ لأَنَّ الأَرْضَ مِنْ ذَاتِهَا تَأْتِي بِثَمَرٍ. أَوَّلاً نَبَاتاً ثُمَّ سُنْبُلاً ثُمَّ قَمْحاً مَلآنَ فِي السُّنْبُلِ. وَأَمَّا مَتَى أَدْرَكَ الثَّمَرُ فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُ الْمِنْجَلَ لأَنَّ الْحَصَادَ قَدْ حَضَرَ»". (مرقس ٤: ٢٦ – ٢٩).

يشكل هذا المثل إحدى الروايات النادرة التي انفرد مرقس بسردها. يشبه ملكوت الله بعمل زارع صبور يلقي البذار ثم (ينام) و (يقوم) منتظراً زمن الاثمار، و لا يتدخل في تنشيط الزرع لأنه (لا يعلم كيف). تأتي الثمار في أوانها بالاستقلال عنه. طبعاً هذا لا ينفي الاعمال الزراعية الأساسية التي لا بد منها بل يضع جانباً كل اهتمام من قبل الزارع لكي يسرع يسوع في اعطاء الثمار. ان الجهد الذي يبذل قبل اوانه و عدم صبر الانجيل ان يخرّب عمل الله في العالم. إضافة الى ذلك يدل الموقف على عدم الثقة بالله الذي ألقى البذار في العالم في طريق المسيا.سوف يثمر هذا الزرع في الوقت المناسب، ومحاولات الناس أياً كانت لا تستطيع أن تؤثر لا إيجاباً و لا سلباً في تنشيط الزرع أو تبطيء الإثمار.

إن ملكوت الله الذي وُضع في العالم كزرع، و هو في الوقت الحاضر مخفي في قلوب الناس كما ورد في مرقس ٤:٢٢، سوف يسود من تلقاء ذاته بشكله الكامل. لا بد للإنسان المؤمن أن يمتلك إيماناً لا يتزعزع و ثقة كاملة بالله، و أن ينتظر أوان تحقيق مشروعه الخلاصي. لا يأخذ هذا الانتظار طابع الكسل و الحياة البطّالة. على الإنسان أن يبذل استطاعته و لكن لا يعتقدنّ أنه بعمله سوف يعجّل في مجيء الملكوت، فذلك من شأن عمل الله.

يتوجه هذا المثل بشكل واضح الى الناس الواثقين بقدراتهم و المؤمنين بأن أعمالهم هي التي سوف تعجّل في مجيء الملكوت. و أفضل مثال لهؤلاء هم (الغيورون) (zilotes) الذين كانوا يريدون عن طريق العنف أن يرفعوا النير الروماني و يفرضوا حكم المسيا. و لا نعلم بالضبط إن كان يسوع في هذا المثل يتوجّه الى مثل هؤلاء كما يزعم بعض المفسّرين. هذه النظرية ممكنة. حينئذ ان تحمل الطابع الايجابي الكامن في المثل. على كل حال لا يهمّنا أن نعرف الى من توجّه المثل أصل، بل ما نريده هو الطابع الدائم الذي يحتوي عليه مثل و الذي يتوجّه الى الناس في كل العصور.

الخلاصة:

قبل كل شيئ يشدد مثل الزرع الذي ينمو على ان عمل المسّيا الخلاصي الذي بدأ في العالم سوف يصل الى كماله بدون أي شك و بصورة مؤكدة. أمّا من جهة الناس فيُطلب منهم الصبر و الإيمان.

مثل حبة الخردل:

" وَقَالَ: «بِمَاذَا نُشَبِّهُ مَلَكُوتَ اللَّهِ أَوْ بِأَيِّ مَثَلٍ نُمَثِّلُهُ؟ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مَتَى زُرِعَتْ فِي الأَرْضِ فَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُزُورِ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ. وَلَكِنْ مَتَى زُرِعَتْ تَطْلُعُ وَتَصِيرُ أَكْبَرَ جَمِيعِ الْبُقُولِ وَتَصْنَعُ أَغْصَاناً كَبِيرَةً حَتَّى تَسْتَطِيعَ طُيُورُ السَّمَاءِ أَنْ تَتَآوَى تَحْتَ ظِلِّهَا». (مرقس ٤: ٣٠ – ٣٣، متى ١٣: ٣١- ٣٣، لوقا ١٣: ١٨ – ٢١).

يأتي مثل حبة الخردل عند متى و لوقا قبل مثل الحمير الذي يشبهه. إن صورة الخردل على أنها (أصغر البذور التي على الأرض) و لكن عندما تنمو و تصير شجرة تعطي (أغصاناً كبيرة)، هذه الصورة تبرّر العنوان (أمثال النمو) الذي أطلقه المفسر Dahl على كل الروايات المثلية المشابهة. و في الواقع يرى تقليد الآباء التفسيري في هذه الصورة نموّ الكرازة بملكوت الله على الأرض و انتشارها. إن القوّة الكامنة في الكرازة بالملكوت هي كبيرة الى حدّ أنها قادرة على تحويل المسكونة بأسرها.

حسب القديس يوحنا الذهبي الفم، يعلّم يسوع تلاميذه عن طريق هذا المثل (مرشداً اياهم الى الإيمان و مؤكداً لهم أن الكرازة فيهم تنمو بصورة دائمة ... و مع كونهم مرضى و ضعفاء إلا أنه بالقوة الكبيرة الكامنة فيهم انتشرت الكرازة الى جميع المسكونة).

تكشف التفاسير المختلفة التي أعطيت لهذا المثل عن صدى لنظريات كل من المفسّرين فالبعض يشدّد على المرحلة الأخيرة الكاملة القوية التي سوف يصل اليها ملكوت الله الذي يتخذ في الوقت الحاضر مظهراً صغيراً لا أهمية له. و البعض الاخر يستنتج هذه المرحلة الأخيرة لملكوت الله من خلال حقيقته الواقعية الحاضرة داخل العالم. هذا التفسير الأخير هو لـ Dodd الذي يتكلم عن (الأخروية المحققة في العالم). أما التفسير الأول فهو يأتي عند غالبية المفسرين البروتستانت المعاصرين. يستند هؤلاء الى صورة الزرع و نموه كرمز للموت و القيامة، كما يرد في أماكن أخرى من العهد الجديد (يوحنا ١٢: ٢٤، ١كور ١٥: ٣٥ ......) و هم يؤكدون على التضاد بين وضع الملكوت الحاضر و سيادته المجيدة في آخر الأيام . و يعتبرون أن هذه المرحلة الأخيرة لا تأتي نتيجة نمو طبيعي بل نتيجة عمل الله العجيب.

إن المفسّرين الأرثوذكسيين القدماء و الحديثين و كثيراً من المفسّرين الكاثوليك يتبنون نظرية ملكوت الله التدريجي، و يتكلمون عن انتشاره في كل المسكونة. هذا لا يعني أنهم ينفون ان المرحلة الأخيرة هي من عمل الله، و أنهم ينكرون التضاد الموجود بين حالته الحاضرة و حالته الأخيرة المكتملة. انهم يجدون

محور المثل كائناً في فكرة النمو التدريجي و انتشار ملكوت الله و التعبير الذي يستعمله الآباء القديسون المفسّرون، بدون أن يكونوا أتباعاً لنظرية Dodd (الأخروية الملحقة)، يدل على أنهم يعتبرون هذا الحدث الأخير مُحققاً . هكذا مثلاً يقول ثيوفيلكتوس عن كرازة يسوع و الرسل أنها زُرعت في الأرض (و انتشرت و نمت حتى طيور السماء، أي كل الذين سَمَوا في أفكارهم و معرفتهم، يستقرّون عليها. كم من الحكماء تركوا حكمتهم اليونانية و انضموا إلى الكرازة !؟ لقد نمت الكرازة إلى حد كبير و أعطت أغصاناً كبيرة) و يكتب في مكان آخر : (حبة الخردل أي الكرازة المعمولة من الرسل القليلي الخبرة وصلت إلى كل المسكونة) .

تنتهي وحدة الفصل الذي يتكلم عن الأمثال بملاحظة الانجيلي أن يسوع كان يتكلم كثيراً بأمثال (الاية ٣٣)، أي أن الإنجيلي يعرف أن تقليد الكنيسة حول الأمثال هو أوسع و أغنى بكثير مما دوّنه. و من الاية ٣٤ يميّز بين الدائرة الواسعة للسامعين و دائرة التلاميذ الذين (كان يفسّر لهم على انفراد كل شيء) (انظر تفسير الايات ٤: ١٠ ــ ١٢).

السيادة على قوات الطبيعة:

وَقَالَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ: «لِنَجْتَزْ إِلَى الْعَبْرِ». فَصَرَفُوا الْجَمْعَ وَأَخَذُوهُ كَمَا كَانَ فِي السَّفِينَةِ. وَكَانَتْ مَعَهُ أَيْضاً سُفُنٌ أُخْرَى صَغِيرَةٌ. فَحَدَثَ نَوْءُ رِيحٍ عَظِيمٌ فَكَانَتِ الأَمْوَاجُ تَضْرِبُ إِلَى السَّفِينَةِ حَتَّى صَارَتْ تَمْتَلِئُ. وَكَانَ هُوَ فِي الْمُؤَخَّرِ عَلَى وِسَادَةٍ نَائِماً. فَأَيْقَظُوهُ وَقَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ أَمَا يَهُمُّكَ أَنَّنَا نَهْلِكُ؟» فَقَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ وَقَالَ لِلْبَحْرِ: «اسْكُتْ. ابْكَمْ». فَسَكَنَتِ الرِّيحُ وَصَارَ هُدُوءٌ عَظِيمٌ. وَقَالَ لَهُمْ: «مَا بَالُكُمْ خَائِفِينَ هَكَذَا؟ كَيْفَ لاَ إِيمَانَ لَكُمْ؟» فَخَافُوا خَوْفاً عَظِيماً وَقَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «مَنْ هُوَ هَذَا؟ فَإِنَّ الرِّيحَ أَيْضاً وَالْبَحْرَ يُطِيعَانِهِ!». (مرقس ٤: ٣٥- ٤١، متى ٨: ١٨ و ٢٣ ــ ٢٧، لوقا ٨: ٢٢ ــ ٢٥).

بعد أمثال الملكوت، يورد الإنجيلي بعض عجائب التي تؤكد على سيادته على الطبيعة (مرقس ٤: ٣٥- ٤١)، و على الشياطين المتسلّطين على الناس (مرقس ٥: ١ ــ ٢٠) و على المرضى (مرقس ٥: ٢٥- ٣٤) و على الموت (مرقس ٥: ٢١ ــ ٢٤ و ٣٥- ٤٣)

تظهر سيادة يسوع على قوّات الطبيعة من خلال الآيات ٤: ٣٥- ٤١ حيث يسكّن الريح العاصفة التي هبّت عند اجتيازه البحيرة، مباشرة بعد التعليم بالأمثال. لقد ارتعد التلاميذ من شدّة العاصفة و عظم الأمواج، فتوجهوا إلى يسوع الذي كان نائماً في مؤخرة المركب. فزجر الرب الريح و البحر بقدرته المسيانية قائلاً (

اسكت، ابكم) (الآية ٣٩) . لقد أصدر يسوع مثل هذا الأمر أيضاً للشيطان المخفي في مريض كفرناحوم (اخرس و اخرج منه) (مرقس ١: ٢٥) علينا ألا نتعجب من هذه المقارنة لأنه، حسب مفاهيم ذلك العصر، كانت تكمن قوّات شيطانية وراء عناصر الطبيعة المهدّدة، خاصة و أن البحر يخرج مثل هذه القوات المعادية لله. لذلك نجد العهد القديم يتكلم كثيراً عن سيادة الله على البحر (انظر أيوب ٣٨: ٨، أمثال ٨: ٢٩، اشعيا ٥٠: ٢، عاموس ٥: ٨، مزامير ١٠٦: ٩، ١١٤ :٣، ١٣٩: ٩، ١٤٨: ٧ ...) أما في رؤيا يوحنا (١٢: ١) فيقول إنه لا يوجد بحر حول أورشليم الجديدة.

يملك يسوع المسيح ابن الله سلطة على القوّات الشيطانية، فهو يأمر عناصر الطبيعة و يهدئها. طبعاً من أجل ذلك ينام في مؤخرة السفينة و يوبّخ التلاميذ الخائفين على ضعف نفوسهم (قلة إيمانهم) : (ما بالكم خائفين هكذا لا إيمان لكم) فاستشعر التلاميذ بالرهبة امام سلطة معلمهم، و تعجبوا من طاعة الريح و البحر لأمره (الآية ٤١).

لا يقصد يسوع إظهار قوته لتلاميذه بل يقصد تقوية إيمانهم. و هذا هو الفرق بين الرواية الإنجيلية و الروايات العجائبية الأخرى التي كانت شائعة في العالم اليوناني القديم بحيث تهدف العجيبة، عن طريق الأعمال الباهرة، إلى إظهار القوّة. أما يسوع فيفترض عادة الإيمان قبل إتمام العجيبة، و في بعض الأحيان كما في العجيبة التي نحن بصددها يسعى إلى تقوية إيمان تلاميذه.

الإصحاح الخامس

شفاء المجنون في كورة الجدريين:

وَجَاءُوا إِلَى عَبْرِ الْبَحْرِ إِلَى كُورَةِ الْجَدَرِيِّينَ. وَلَمَّا خَرَجَ مِنَ السَّفِينَةِ لِلْوَقْتِ اسْتَقْبَلَهُ مِنَ الْقُبُورِ إِنْسَانٌ بِهِ رُوحٌ نَجِسٌ، كَانَ مَسْكَنُهُ فِي الْقُبُورِ وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَرْبِطَهُ وَلاَ بِسَلاَسِلَ. لأَنَّهُ قَدْ رُبِطَ كَثِيراً بِقُيُودٍ وَسَلاَسِلَ فَقَطَّعَ السَّلاَسِلَ وَكَسَّرَ الْقُيُودَ. فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يُذَلِّلَهُ. وَكَانَ دَائِماً لَيْلاً وَنَهَاراً فِي الْجِبَالِ وَفِي الْقُبُورِ يَصِيحُ وَيُجَرِّحُ نَفْسَهُ بِالْحِجَارَةِ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ مِنْ بَعِيدٍ رَكَضَ وَسَجَدَ لَهُ، وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَ: «مَا لِي وَلَكَ يَا يَسُوعُ ابْنَ اللَّهِ الْعَلِيِّ! أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ أَنْ لاَ تُعَذِّبَنِي!». لأَنَّهُ قَالَ لَهُ: «اخْرُجْ مِنَ الإِنْسَانِ يَا أَيُّهَا الرُّوحُ النَّجِسُ». وَسَأَلَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَأَجَابَ: «اسْمِي لَجِئُونُ لأَنَّنَا كَثِيرُونَ». وَطَلَبَ إِلَيْهِ كَثِيراً أَنْ لاَ يُرْسِلَهُمْ إِلَى خَارِجِ الْكُورَةِ. وَكَانَ هُنَاكَ عِنْدَ الْجِبَالِ قَطِيعٌ كَبِيرٌ مِنَ الْخَنَازِيرِ يَرْعَى. فَطَلَبَ إِلَيْهِ كُلُّ الشَّيَاطِينِ قَائِلِينَ: «أَرْسِلْنَا إِلَى الْخَنَازِيرِ لِنَدْخُلَ فِيهَا». فَأَذِنَ لَهُمْ يَسُوعُ لِلْوَقْتِ. فَخَرَجَتِ الأَرْوَاحُ النَّجِسَةُ وَدَخَلَتْ فِي الْخَنَازِيرِ. فَانْدَفَعَ الْقَطِيعُ مِنْ عَلَى الْجُرُفِ إِلَى الْبَحْرِ،

وَكَانَ نَحْوَ أَلْفَيْنِ، فَاخْتَنَقَ فِي الْبَحْرِ. وَأَمَّا رُعَاةُ الْخَنَازِيرِ فَهَرَبُوا وَأَخْبَرُوا فِي الْمَدِينَةِ وَفِي الضِّيَاعِ. فَخَرَجُوا لِيَرَوْا مَا جَرَى. وَجَاءُوا إِلَى يَسُوعَ فَنَظَرُوا الْمَجْنُونَ، الَّذِي كَانَ فِيهِ اللَّجِئُونُ، جَالِساً وَلاَبِساً وَعَاقِلاً. فَخَافُوا. فَحَدَّثَهُمُ الَّذِينَ رَأَوْا كَيْفَ جَرَى لِلْمَجْنُونِ وَعَنِ الْخَنَازِيرِ. فَابْتَدَأُوا يَطْلُبُونَ إِلَيْهِ أَنْ يَمْضِيَ مِنْ تُخُومِهِمْ. وَلَمَّا دَخَلَ السَّفِينَةَ، طَلَبَ إِلَيْهِ الَّذِي كَانَ مَجْنُوناً أَنْ يَكُونَ مَعَهُ. فَلَمْ يَدَعْهُ يَسُوعُ بَلْ قَالَ لَهُ: «اذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ وَإِلَى أَهْلِكَ وَأَخْبِرْهُمْ كَمْ صَنَعَ الرَّبُّ بِكَ وَرَحِمَكَ». فَمَضَى وَابْتَدَأَ يُنَادِي فِي الْعَشْرِ الْمُدُنِ كَمْ صَنَعَ بِهِ يَسُوعُ. فَتَعَجَّبَ الْجَمِيعُ. (مرقس٥: ١-٢٠، متى٨: ٢٨-٣٤، لوقا٨: ٢٦-٣٩).

رواية مرقس هذه، الأطول بين روايات الأناجيل الإزائية، تنتهي بالقول (الآية ٢٠) إن المجنون المعافى أضحى كارزاً بالمسيح في منطقة المدن العشر. لكن إلى جانب هذه النظرة الرسولية، أراد الإنجيلي أن يظهر يسوع كمسيّا مقتدر يغلب الشيطان، يشلّ أعماله، ويحرّر الناس من عبوديته، مدشّناً هكذا زمناً جديداً للإنسانية بشَّر به العهد القديم وتحقق في الكنيسة.

تحصل العجيبة "عبر البحر" أي في المنطقة المقابلة للجليل عبر البحيرة. تذكر المخطوطات المختلفة العبارات التالية: "كورة الجرجسيين"، "كورة الجراسيين"، "كورة الجدريين". تعود العبارة الأولى إلى تصحيح أوريجنس الذي يتكلم عن مدينة مجهولة اليوم اسمها جرجسة، معتبراً أن جراسة مدينة في العربية. ونحن نعلم أن مدينة جراسة تقع على بعد ٦٠ كلم من البحيرة في منطقة المدن الخمس. العبارة الأصح إذاً هي "الجدريين" لأن مدينة جدرة (فيها مدرسة للفلاسفة الرواقين) تقع قرب بحيرة جنيسارت، على بعد ١٠ كلم إلى الجنوب الشرقي منها؛ ومن جهة ثانية لم يحصل الحدث داخل المدينة بل حواليها، "في كورة الجدريين..."، أي في منطقة البحيرة. وما جاء عند لوقا٨: ٢٦ "التي هي مقابل الجليل" يدعم وجهة النظر هذه.

توصف حالة المريض الذي التقى بيسوع لما خرج من السفينة (الآية ٢) بأنها شقية بائسة. فيه "روح نجس" أي فيه "شيطان" (démonisé) ويسكن القبور. ولو أردنا أن نصفه بعبارة معاصرة لقلنا أنه لا ينسجم مع المجتمع لأنه لا يعيش بين البشر بل بعيداً عنهم في القبور والجبال (الآيتان ٣ و٥)، تسوده عادة أذية نفسه "يجرح نفسه بالحجارة"، يأخذ موقفاً إيجابياً لكنه لا يستطيع أن يضبط (الآية ٤)، وهو يعاني من انقسام داخلي في شخصيته "اسمي لجئون لأننا كثيرون". هكذا نشاهد خليقة الله "الحسنة جداً" توصف بهذه الصورة الحزينة بعدما صارت فريسة للشيطان.

لكن الإنجيلي يُظهر يسوع محرراً للبشر من مثل هذه العبودية ومجدداً طبيعتهم المنفسدة. يعترف الروح الشرير المخفي في المريض بمثل هذا السلطان

الإلهي لدى المسيّا، ولذلك يصرخ نحو يسوع بفم المريض "ما لي ولك يا يسوع ابن الله العلي". في هذه الجملة يعترف الشيطان: ١ـ أنه لا يوجد أي شي مشترك بينه وبين يسوع، لأن يسوع يريد خلاص البشر بينما هو يريد هلاكهم؛ ٢ـ أن المتكلم معه هو ابن الله العلي. إذاً فهو يضيف صفة سامية لا يعرفها الناس لشخصية يسوع المسيانية؛ ٣ـ أن ظهور المسيّا في العالم يعني إبطال عمله الفاسد.

برهان آخر على اعتراف الشيطان بقدرة يسوع هو جوابه سؤال يسوع عن اسمه: "اسمي لجيون لأننا كثيرون" (الآية ٩)، لأن الأقوى وحده يستطيع أن يستفهم عن اسم من هو دونه وأضعف منه حسب مفهوم ذلك الزمن. كانت الفرقة الرومانية المدعو لجيون (Légion) مكوّنة من ٤ إلى ٦ آلاف رجل و ٣٠٠ حصان. هذا لا يعني أن مثل هذا العدد كان موجوداً داخل المريض، لكنه يعني أنهم كثيرون، جيش بكامله، يمكنه أن يمزّق شخصية الإنسان شر تمزيق.

يطلب الشياطين من يسوع ألا يرسلهم إلى مكان العذاب بل أن يسمح لهم بأن يسكنوا في قطيع من الخنازير القريبة (الآيتان ١١-١٢). يقبل يسوع طلبهم "غير مقتنع منهم بل بتدبير مقصود من قبله"، حسب القديس يوحنا الذهبي الفم. ما هو "التدبير" الذي اتخذه يسوع عندما سمح للشياطين أن تسكن في حوالي ٢٠٠٠ خنزير اندفعت من على الجرف إلى البحر (الآية ١٣)؟ يقول البعض أن ما جرى كان لمعاقبة الرعاة الذين يربّون الخنازير المحرّمة في الناموس الموسوي. هذا التفسير غير صحيح لأن الحدث جرى في أرض وثنية (المدن العشر Décapole) حيث لا معنى للتحريم. يريد يسوع على الأرجح، عن طريق تلبية مطلب الشياطين، أن يشدّد على تأثير حضورهم المهلك، لأنهم حيث وُجدوا، أفي الناس كان أم في الحيوانات، فهم يجلبون الهلاك. وكذلك يريد يسوع أن يشدّد على استحقاق الإنسان غير المنازع لكل تضحية جديرة بتأمين خلاصه.

أسرع الرعاة ليخبروا أهل المدينة والضياع (الآية ١٤) الذين جاؤوا إلى مكان العجيبة، فرأوا المجنون أولاً "لابساً وعاقلاً" (الآية ١٥)، فخافوا. طبعاً اعتبروا هلاك قطيع الخنازير أهمّ من حدث شفاء المجنون، وخافوا أن يجلب حضور يسوع في مقاطعتهم مصائب أخرى. لذلك رجوه أن يخرج من تخومهم. إن خوفهم هو الذي قادهم، ليس إلى الاعتراف بقدرة يسوع والسجود له كمسيّا، بل إلى رغبة التخلّص منه (الآيتان ١٦-١٧).

وعلى العكس فإن المجنون المعافى الذي لم يكن يحتمل أن يسكن بين الناس قبلاً هو الآن "يلبس ويعقل" ويطلب أن يكون مع يسوع (الآية ١٨). إن اللقاء بابن الله يحوّل الإنسان جذرياً ويجعله مصدر خلاص للآخرين. لا يقبل يسوع طلب المجنون بل يرسله ليكرز بما فعل له الرب (الآية ١٩). وتجعلنا الآية ٢٠ نفهم أن

الذي شفي كرز بالمسيحية في منطقة المدن العشر. حماسه التبشيري هو نتيجة لقائه الحي مع يسوع ونتيجة خلاصه عن يده.

في رواية متى عن الموضوع نفسه (٨: ٢٨ - ٩: ١)، يتكلم عن شفاء مجنونين وليس عن شفاء واحد. هل هي عجيبة أخرى؟ إن التشابه بين الأناجيل الثلاثة لا يسمح لنا بمثل هذا الافتراض خاصة وأن الإنجيليين مرقس ولوقا يضعان هذه العجيبة فوراً بعد تسكين العاصفة عند اجتياز يسوع مع تلاميذه. كيف نستطيع إذاً أن نفسّر مثل هذا الاختلاف؟

الأرجح أن الإنجيلي مرقس يذكر واحداً من المجنونين الذي كان أخطر ومعروفاً لدى سكان المنطقة. هكذا يقول أكثر آباء الكنيسة. ويمكننا القول من جهة أخرى أن تقليد متى يتكلم عن مجنونين بينما يتكلم تقليد مرقس ولوقا عن مجنون واحد. وهذا ما يحصل مع الأعميين عند متى (٩: ٢٧-٣٥ و٢٠: ٢٩-٣٤).

ما يهم الإنجيليين ليس عدد المرضى المعافين بل تركيزهم على سلطة يسوع كمسيّا في طرد الشيطان، وإنهاء عمله المفسد في العالم، وكنتيجة لذلك تحرير الناس من عبوديته. هذا ما يركّز عليه متى بصورة خاصة حيث لا تظهر كثيراً شخصية المجنونين (لا يتكلم معهما يسوع، لا يتكلم عم حدث لهما بعد الشفاء، لا يتكلم عن حالتهما بعد الشفاء كما عند مرقس ولوقا). بل يشدّد أكثر على محاورة ابن الله للشياطين ومعاقبته إياهم. يريد الإنجيلي أن يؤكد على أن عمل المسيح يُدشّن زمناً جديداً تُقهر فيه قوة الشيطان، ويتراجع فيه المريض ويتحرر الإنسان. هذا الزمن الجديد نحياه في الكنيسة التي يؤسسها ويجمعها المسيا.

شفاء الامرأة النازفة الدم وإقامة ابنة يايروس:

وَلَمَّا اجْتَازَ يَسُوعُ فِي السَّفِينَةِ أَيْضاً إِلَى الْعَبْرِ، اجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ. وَكَانَ عِنْدَ الْبَحْرِ. وَإِذَا وَاحِدٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْمَجْمَعِ اسْمُهُ يَايِرُسُ جَاءَ. وَلَمَّا رَآهُ خَرَّ عِنْدَ قَدَمَيْهِ. وَطَلَبَ إِلَيْهِ كَثِيراً قَائِلاً: «ابْنَتِي الصَّغِيرَةُ عَلَى آخِرِ نَسَمَةٍ. لَيْتَكَ تَأْتِي وَتَضَعُ يَدَكَ عَلَيْهَا لِتُشْفَى فَتَحْيَا». فَمَضَى مَعَهُ وَتَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ وَكَانُوا يَزْحَمُونَهُ.

وَامْرَأَةٌ بِنَزْفِ دَمٍ مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَقَدْ تَأَلَّمَتْ كَثِيراً مِنْ أَطِبَّاءَ كَثِيرِينَ وَأَنْفَقَتْ كُلَّ مَا عِنْدَهَا وَلَمْ تَنْتَفِعْ شَيْئاً بَلْ صَارَتْ إِلَى حَالٍ أَرْدَأَ. لَمَّا سَمِعَتْ بِيَسُوعَ جَاءَتْ فِي الْجَمْعِ مِنْ وَرَاءٍ وَمَسَّتْ ثَوْبَهُ. لأَنَّهَا قَالَتْ: «إِنْ مَسَسْتُ وَلَوْ ثِيَابَهُ شُفِيتُ». فَلِلْوَقْتِ جَفَّ يَنْبُوعُ دَمِهَا وَعَلِمَتْ فِي جِسْمِهَا أَنَّهَا قَدْ بَرِئَتْ مِنَ الدَّاءِ.
فَلِلْوَقْتِ الْتَفَتَ يَسُوعُ بَيْنَ الْجَمْعِ شَاعِراً فِي نَفْسِهِ بِالْقُوَّةِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْهُ، وَقَالَ: «مَنْ لَمَسَ ثِيَابِي؟». فَقَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ: «أَنْتَ تَنْظُرُ الْجَمْعَ يَزْحَمُكَ وَتَقُولُ مَنْ

لَمَسَنِي؟». وكَانَ يَنْظُرُ حَوْلَهُ لِيَرَى الَّتِي فَعَلَتْ هَذَا. وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَجَاءَتْ وَهِيَ خَائِفَةٌ وَمُرْتَعِدَةٌ عَالِمَةً بِمَا حَصَلَ لَهَا، فَخَرَّتْ وَقَالَتْ لَهُ الْحَقَّ كُلَّهُ. فَقَالَ لَهَا: «يَا ابْنَةُ إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ. اذْهَبِي بِسَلاَمٍ وَكُونِي صَحِيحَةً مِنْ دَائِكِ».

وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ جَاءُوا مِنْ دَارِ رَئِيسِ الْمَجْمَعِ قَائِلِينَ: «ابْنَتُكَ مَاتَتْ. لِمَاذَا تُتْعِبُ الْمُعَلِّمَ بَعْدُ؟». فَسَمِعَ يَسُوعُ لِوَقْتِهِ الْكَلِمَةَ الَّتِي قِيلَتْ، فَقَالَ لِرَئِيسِ الْمَجْمَعِ: «لاَ تَخَفْ، آمِنْ فَقَطْ». وَلَمْ يَدَعْ أَحَداً يَتْبَعُهُ إِلاَّ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا أَخَا يَعْقُوبَ. فَجَاءَ إِلَى بَيْتِ رَئِيسِ الْمَجْمَعِ وَرَأَى ضَجِيجاً: يَبْكُونَ وَيُوَلْوِلُونَ كَثِيراً. فَدَخَلَ وَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تَضِجُّونَ وَتَبْكُونَ؟ لَمْ تَمُتِ الصَّبِيَّةُ لَكِنَّهَا نَائِمَةٌ». فَضَحِكُوا عَلَيْهِ. أَمَّا هُوَ فَأَخْرَجَ الْجَمِيعَ، وَأَخَذَ أَبَا الصَّبِيَّةِ وَأُمَّهَا وَالَّذِينَ مَعَهُ وَدَخَلَ حَيْثُ كَانَتِ الصَّبِيَّةُ مُضْطَجِعَةً. وَأَمْسَكَ بِيَدِ الصَّبِيَّةِ وَقَالَ لَهَا: «طَلِيثَا قُومِي»، (الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا صَبِيَّةُ لَكِ أَقُولُ قُومِي). وَلِلْوَقْتِ قَامَتِ الصَّبِيَّةُ وَمَشَتْ. لأَنَّهَا كَانَتِ ابْنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً. فَبُهِتُوا بُهْتاً عَظِيماً. فَأَوْصَاهُمْ كَثِيراً أَنْ لاَ يَعْلَمَ أَحَدٌ بِذَلِكَ. وَقَالَ أَنْ تُعْطَى لِتَأْكُلَ.
(مرقس٥: ٢١-٤٣، متى٩: ١٨-٢٦، لوقا٨: ٤٠-٥٦).

تشهد الروايتان على سيادة يسوع على المرض والموت. لا يربط بينهما الزمن بل موضوع الإيمان المشترك في قدرة يسوع على الشفاء. كانت الامرأة النازفة الدم معتبرة نجسة بسبب نوع مرضها (أنظر سفر اللاويين ١٢: ١، ١٥: ٩ و٢٥...)، ولذلك لم يكن لها الحق في ملامسة الناس الآخرين. لكن إيمانها في قدرة يسوع على الشفاء كانت أقوى من الأوامر الناموسيّة، لذلك عندما اختلطت بالجموع لامست ثياب المعلّم وشفيت. بعد سؤال يسوع "من لمس ثيابي" (الآية ٣٠)، ارتعدت الامرأة واضطربت أن تخرج من الجمع المجهول وتأتي للقاء يسوع الشخصي. لم يوبّخها الرب على عملها (كما كانت تنتظر)، لكنه أبرز إيمانها بمناداته إياها "يا ابنة" (رغم سنها المتقدم حتماً)، مرتباً إياها في مصف عائلة الله، هذه العائلة التي يؤسسها هو، المسيا، على الأرض.

يقدّم المفسر ثيوفيلكتوس تفسيراً رمزياً للرواية معتبراً الإنسانية نازفة الدم التي لم تستطع أن تشفى على يد الأطباء وحكماء هذا العالم لكنها وجدت شفاءها في صلتها مع المسيح.

يقع حدث الشفاء بينما كان يسوع مصحوباً بالجمع متوجهاً إلى بيت رئيس المجمع يايرس لكي يشفي ابنته المشرفة على الموت. وبينما هو يتحدّث مع الامرأة التي شفاها، جاء مُرسلون من قبل بيت رئيس المجمع معلمين إياه بموت الابنة ولذلك لم يعد من داعٍ لإزعاج المعلّم (نلاحظ حسب رواية متى أن الابنة كانت قد ماتت عندما جاء يايروس إلى يسوع متوسلاً إليه لكي يضع يده عليها ويشفيها). لم يعطِ يسوع أهمية خاصة للخبر "فسمع يسوع لوقته الكلمة التي قيلت"، بل قال ليايروس "لا تخف آمن فقط". من الطبيعي أن يكون موت الابنة قد زعزع آمال

رئيس المجمع. لكن الإنجيل لم يخبرنا عنه لأن اهتمامه مركز على قدرة المسيا في الشفاء.

وبينما كانت الساعة ساعة إعلان يسوع عن قدرة الله ومجده، ترك الجمع واصطحب معه ثلاثة من تلاميذه، بطرس ويعقوب ويوحنا، وتوجّه إلى بيت رئيس المجمع حيث سمع "ضجيجاً" يبكون ويولولون كثيراً" (الآية ٣٨)، أي أن البكاء على الميت كان قد بدأ. حسب عادة الدفن في فلسطين (أنظر Grundmann صفحة ١١٧)، وحتى في دفن الإسرائيلي الفقير، كان لا بد من وجود نادبة تنشد النشائد الرثائية وآلتين للموسيقى لإخراج الأرواح الشريرة التي تحاول أن تختطف النفس الخارجة حديثاً من الجسد والتي لم تزل بعد قريبة منه.

في ملاحظة يسوع أن "الصبية لم تمت لكنها نائمة"، والتي يجيب عنه الحاضرون بالاستهزاء "فضحكوا عليه"، يرى يسوع الموت نوماً، لأنه سيّد الحياة والموت، فيمسك بيد الصبية ويعطي أمراً قاطعاً بقيامها. في هذه النقطة يذكر لنا الإنجيلي التعبير الآرامي الذي استخدمه يسوع لإقامة الميت "طليثا قومي" أي "يا صبية لك أقول قومي".

الصبية البالغة ١٢ سنة تقوم للحال وتمشي. إن الأمر الذي يعطيه يسوع بأن يقدّموا لها طعاماً له معنى تثبيت الحدث وجعله فوق كل شك. ومن الطبيعي بعد هذا الحدث العجيب أن يندهش الجميع. بعد ذلك لا يتكلم الإنجيل عن شعور الجمع أو عن الذين كانوا من قبل يضحكون منه. يهمّ الإنجيلي أن يشدّد على سلطة يسوع على الموت. وتُختم الرواية بعبارة مرقس المعروفة حول "سرّية المسيا": "فأوصاهم كثيراً أن لا يعلم أحد بذلك" (الآية ٤٣).

الإصحاح السادس

د- رفض يسوع من قبل إسرائيل. تحوّله إلى الوثنيين، إعلان ملكوت الله لهم أيضاً ٦: ١ - ٨: ٢٦

في ٦: ١ - ٨: ٢٦ عندنا سلسلة من روايات لا ترتبط فيما بينها زمنياً أو من حيث الفحوى، وهي تتصل بنهاية نشاط يسوع في الجليل، مع أنه يتكلم عن خروج يسوع إلى نواحي صور (٧: ٢٤) أو إلى منطقة المدن العشر (٧: ٣١). لدينا هنا مجموعة من الأحداث تتكلم عن نشاط يسوع في الجليل وفي المقاطعة حوله قبل سيره إلى أورشليم من أجل الآلام. ومن الغريب أن نرى لوقا الذي يتبع عادة سلسلة مرقس ينتقل فجأة من الآية ٦: ٤٤ إلى ٨: ٢٧ (لوقا٩: ١٧ و١٨)، مهملاً بصورة

كاملة الروايات الواردة في المقطع (مرقس٦: ٤٥-٨: ٢٦) والتي لا نعود نجدها في مكان آخر من إنجيله. ربّما لم يجدها لوقا في نص مرقس الذي استخدمه، وهذا ما يظنّه بعض المفسرين.

ملاحظة أخرى تختصّ بهيكلية الإنجيل هي الآتية: في المقطع ٦: ٣٤-٧: ٣٧ وفي المقطع ٨: ١-٢٦ توجد روايات متشابهة. يبدأ المقطعان بعجيبة تكثير الخبزات، وينتهيان كلاهما بعجيبة شفاء (الأصم الأعقد للأوّل والأعمى للثاني). والعلاقات بين المقطعين هي الآتية:

٦: ٣٤-٤٤

إشباع ال ٥ آلاف

٨: ١-٩

إشباع ال ٤ آلاف

٦: ٤٥-٥٦

المشي على البحر

٨: ١٠

الإبحار إلى دلمانوثة

٧: ١-٢٣

مناقشة مع الفرّيسيين عن الطهارة

أنجيل مرقس قراءة و تعليق

٨: ١١-١٣

مناقشة مع الفرّيسيين حول الآية

٧: ٢٤-٣٠

عن الخبز والسمك

٨: ١٤-٢١

عن الخبز وخمير الفرّيسيين

(شفاء ابنة المرأة السورية الفينيقية)

٧: ٣١-٣٧

شفاء الأصم الأعقد

٨: ٢٢-٢٦

شفاء الأعمى

إن حاول أحد أن يتبع تفكير الإنجيلي عن طريق سلسلة الروايات هذه سوف يلمس بصورة عامة ما يلي: أن يسوع لم يقبله اليهود مواطنوه (٦: ١-٢٧) ولا يفهمه تلاميذه (٦: ٥٢، ٧: ١٨، ٨: ٤ و١٤) يتوجّه إلى الوثنيين (٧: ٢٤- ٨: ٩).

رفض يسوع في الناصرة:

١ وَخَرَجَ مِنْ هُنَاكَ وَجَاءَ إِلَى وَطَنِهِ وَتَبِعَهُ تَلاَمِيذُهُ. ٢ وَلَمَّا كَانَ السَّبْتُ، ابْتَدَأَ يُعَلِّمُ فِي الْمَجْمَعِ. وَكَثِيرُونَ إِذْ سَمِعُوا بُهِتُوا قَائِلِينَ:«مِنْ أَيْنَ لِهذَا هذِهِ؟ وَمَا هذِهِ الْحِكْمَةُ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَهُ حَتَّى تَجْرِيَ عَلَى يَدَيْهِ قُوَّاتٌ مِثْلُ هذِهِ؟ ٣ أَلَيْسَ هذَا هُوَ النَّجَّارَ ابْنَ مَرْيَمَ، وَأَخُو يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَيَهُوذَا وَسِمْعَانَ؟ أَوَلَيْسَتْ أَخَوَاتُهُ ههُنَا عِنْدَنَا؟» فَكَانُوا يَعْثُرُونَ بِهِ. ٤ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:«لَيْسَ نَبِيٌّ بِلاَ كَرَامَةٍ إِلاَّ فِي وَطَنِهِ وَبَيْنَ أَقْرِبَائِهِ وَفِي بَيْتِهِ». ٥ وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَصْنَعَ هُنَاكَ وَلاَ قُوَّةً وَاحِدَةً، غَيْرَ أَنَّهُ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى مَرْضَى قَلِيلِينَ فَشَفَاهُمْ. ٦ وَتَعَجَّبَ مِنْ عَدَمِ إِيمَانِهِمْ. وَصَارَ يَطُوفُ الْقُرَى الْمُحِيطَةَ يُعَلِّمُ. (مرقس٦: ١-٦، متى ١٣: ٥٣-٥٨، لوقا٤: ١٦-٣٠).

ليس وطن يسوع بيت لحم حيث وُلد بل الناصرة حيث نشأ. إن الرواية المختصرة هذه حول زيارة يسوع إلى الناصرة ورفضه هناك من قبل أهل بلده تدلّ على أنه لقي المصير المأساوي نفسه الذي لقيه أنبياء العهد القديم. فرغم العجائب التي صنعها يسوع، ورغم التعليم الحكيم الذي أعطاه في مجمع الناصرة، لم يقتنع سكان البلدة بشخصيته المسيانية. لكنهم يعبّرون عن شك و "عدم إيمان".
ويفكّرون هكذا: لا يمكن للمسيا أن يكون شخصاً عادياً كيسوع النجار (أو "ابن النجار" حسب متى)، ابن مريم (لم يُذكر يوسف لأنه ربما كان قد مات)، الذي له إخوة معروفون من قبل الجميع بأسمائهم و "أخواته ههنا عندنا" (ربّما لأنهن لم يتزوجن بعد).

إن إخوة يسوع: يعقوب ويوسي ويهوذا وسمعان، هم أولاد يوسف من زواج سابق. يحملون أسماء آبائية: يعقوب "العمود" المعروف في كنيسة أورشليم، يوسي الاسم اليوناني ليوسف، يهوذا الذي عاش أحفاده في زمن دومتيانوس (٨١-٩٦ بعد المسيح) وكانوا معروفين كأقرباء للربّ (أنظر التاريخ الكنسي لإفنسافيوس ٣، ٩)، وسمعان خليفة يعقوب في أورشليم (أنظر الكتاب نفسه ٣، ١١). كان عدم إيمان أهل الناصرة السبب في عدم اجتراح يسوع عجائب فيها: "امتنع عن صنع العجائب عندهم، يقول المفسّر ثيوفيلكتوس، حتى لا يغالون في أحكامهم وفي إدانتهم عندما يرون الآيات ولا يؤمنون". ومع ذلك شفى بعض المرضى الذين عرف أنهم قد لا يشاطرون سكان قريتهم آرائهم (عن أخوة يسوع أنظر سيوتو ١٩٥٠، M. Siotou).

إرسال الاثني عشر إلى الجليل:

٧ وَدَعَا الاثْنَيْ عَشَرَ وَابْتَدَأَ يُرْسِلُهُمُ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ، وَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً عَلَى
الأَرْوَاحِ النَّجِسَةِ، ٨ وَأَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يَحْمِلُوا شَيْئاً لِلطَّرِيقِ غَيْرَ عَصاً فَقَطْ، لاَ مِزْوَداً
وَلاَ خُبْزاً وَلاَ نُحَاساً فِي الْمِنْطَقَةِ. ٩ بَلْ يَكُونُوا مَشْدُودِينَ بِنِعَال، وَلاَ يَلْبَسُوا ثَوْبَيْنِ.
١٠ وَقَالَ لَهُمْ:«حَيْثُمَا دَخَلْتُمْ بَيْتاً فَأَقِيمُوا فِيهِ حَتَّى تَخْرُجُوا مِنْ هُنَاكَ. ١١ وَكُلُّ مَنْ لاَ
يَقْبَلُكُمْ وَلاَ يَسْمَعُ لَكُمْ، فَاخْرُجُوا مِنْ هُنَاكَ وَانْفُضُوا التُّرَابَ الَّذِي تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ شَهَادَةً
عَلَيْهِمْ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: سَتَكُونُ لأَرْضِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ يَوْمَ الدِّينِ حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالاً
مِمَّا لِتِلْكَ الْمَدِينَةِ». ١٢ فَخَرَجُوا وَصَارُوا يَكْرِزُونَ أَنْ يَتُوبُوا. ١٣ وَأَخْرَجُوا
شَيَاطِينَ كَثِيرَةً، وَدَهَنُوا بِزَيْتٍ مَرْضَى كَثِيرِينَ فَشَفَوْهُمْ. (مرقس٦: ٧-١٣، متى٩: ٣٥-١٠: ٩، لوقا٩: ١-٦).

تشكل هذه الآيات برنامجاً موجزاً للعمل الرسولي في بداية المسيحية. يعتبر بعض المفسرين هذه الآيات دلائل على المسيح القائم للتلاميذ يفترضها الإنجيلي في حياة يسوع الأرضي. ولكننا لا نملك أي سند في النص لمثل هذا الافتراض (بل نرى العكس في الآية ١٢). لقد أُرسل التلاميذ اثنين اثنين. هذا العدد في بشارة التلاميذ وخدام الكلمة الآخرين يشكّل عنصراً شائعاً في الكنيسة الأولى (أنظر مثلاً أعمال السل ٨: ١٤، ١٥: ٢٢، ١١: ٢٢، ١٥: ٣٩ وغيرها).

إضافة إلى سلطتهم على الأرواح الشريرة، يعطيهم الرب يسوع الإرشادات التالية: أ- ألا يأخذوا معهم أطعمة أو ألبسة أو مالاً، بل أن يحملوا فقط عصاً ونعالاً (أنظر على العكس متى١٠: ١٠، لوقا ٩: ٣ "ولا عصا")؛ ب- أن يمكثوا في ذلك البيت في القرية حيث هم موجودون ولا يطلبوا آخر (ربنا بيت أفضل)؛ ج- إن لم

يقبلهم أحد في مكان ما، فليخرجوا منه وينفضوا الغبار الذي تحت أرجلهم دالّين على قطع الشركة معه، لأن ذلك المكان رفض الكرازة بالملكوت فانفصل عنه.

يتمم التلاميذ الرسالة التي أوكلت إليهم كارزين بالتوبة نظراً إلى اقتراب ملكوت الله (أنظر متى ١٠: ٧، لوقا٩: ٣، ١٠: ٩)، محرّرين الناس من الشياطين الساكنة فيهم، وشافين المرضى بدهنهم بالزيت. كان الزيت معتبراً منذ القديم سبيلاً للشفاء. هنا على يد التلاميذ يأخذ معنى نقل معونة الله وقوّته الإلهية. يُذكر دهن المرضى بالزيت هنا وفي رسالة يعقوب ٥: ١٤ فقط (١). إن التلاميذ عن طريق هذا العمل يتابعون وينشرون عمل معلّمهم البشاري والشفائي بينما كان اسمه يشتهر في كل المنطقة. هكذا يفسّر كلام هيرودس الوارد في المقطع التالي.

نهاية القديس يوحنا المعمدان:

١٤ فَسَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ، لأَنَّ اسْمَهُ صَارَ مَشْهُوراً. وَقَالَ:«إِنَّ يُوحَنَّا
الْمَعْمَدَانَ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ وَلِذلِكَ تُعْمَلُ بِهِ الْقُوَّاتُ». ١٥ قَالَ آخَرُونَ:«إِنَّهُ إِيلِيَّا».
وَقَالَ آخَرُونَ:«إِنَّهُ نَبِيٌّ أَوْ كَأَحَدِ الأَنْبِيَاءِ». ١٦ وَلكِنْ لَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ قَالَ:«هذَا
هُوَ يُوحَنَّا الَّذِي قَطَعْتُ أَنَا رَأْسَهُ. إِنَّهُ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ!»،١٧ لأَنَّ هِيرُودُسَ نَفْسَهُ
كَانَ قَدْ أَرْسَلَ وَأَمْسَكَ يُوحَنَّا وَأَوْثَقَهُ فِي السِّجْنِ مِنْ أَجْلِ هِيرُودِيَّا امْرَأَةِ فِيلُبُّسَ أَخِيهِ،
إِذْ كَانَ قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا. ١٨ لأَنَّ يُوحَنَّا كَانَ يَقُولُ لِهِيرُودُسَ:«لاَ يَحِلُّ أَنْ تَكُونَ لَكَ
امْرَأَةُ أَخِيكَ» ١٩ فَحَنِقَتْ هِيرُودِيَّا عَلَيْهِ، وَأَرَادَتْ أَنْ تَقْتُلَهُ وَلَمْ تَقْدِرْ، ٢٠ لأَنَّ
هِيرُودُسَ كَانَ يَهَابُ يُوحَنَّا عَالِماً أَنَّهُ رَجُلٌ بَارٌّ وَقِدِّيسٌ، وَكَانَ يَحْفَظُهُ. وَإِذْ سَمِعَهُ،
فَعَلَ كَثِيراً، وَسَمِعَهُ بِسُرُورٍ. ٢١ وَإِذْ كَانَ يَوْمٌ مُوافِقٌ، لَمَّا صَنَعَ هِيرُودُسُ فِي مَوْلِدِهِ
عَشَاءً لِعُظَمَائِهِ وَقُوَّادِ الأُلُوفِ وَوُجُوهِ الْجَلِيلِ، ٢٢ دَخَلَتِ ابْنَةُ هِيرُودِيَّا وَرَقَصَتْ،
فَسَرَّتْ هِيرُودُسَ وَالْمُتَّكِئِينَ مَعَهُ. فَقَالَ الْمَلِكُ لِلصَّبِيَّةِ: «مَهْمَا أَرَدْتِ اطْلُبِي مِنِّي
فَأُعْطِيَكِ». ٢٣ وَأَقْسَمَ لَهَا أَنْ «مَهْمَا طَلَبْتِ مِنِّي لأُعْطِيَنَّكِ حَتَّى نِصْفَ مَمْلَكَتِي». ٢٤
فَخَرَجَتْ وَقَالَتْ لأُمِّهَا:«مَاذَا أَطْلُبُ؟» فَقَالَتْ:«رَأْسَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ». ٢٥ فَدَخَلَتْ
لِلْوَقْتِ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْمَلِكِ وَطَلَبَتْ قَائِلَةً:«أُرِيدُ أَنْ تُعْطِيَنِي حَالاً رَأْسَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ
عَلَى طَبَق». ٢٦ فَحَزِنَ الْمَلِكُ جِدّاً. وَلأَجْلِ الأَقْسَامِ وَالْمُتَّكِئِينَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَرُدَّهَا. ٢٧
فَلِلْوَقْتِ أَرْسَلَ الْمَلِكُ سَيَّافاً وَأَمَرَ أَنْ يُؤْتَى بِرَأْسِهِ. ٢٨ فَمَضَى وَقَطَعَ رَأْسَهُ فِي
السِّجْنِ. وَأَتَى بِرَأْسِهِ عَلَى طَبَق وَأَعْطَاهُ لِلصَّبِيَّةِ، وَالصَّبِيَّةُ أَعْطَتْهُ لأُمِّهَا. ٢٩ وَلَمَّا
سَمِعَ تَلاَمِيذُهُ، جَاءُوا وَرَفَعُوا جُثَّتَهُ وَوَضَعُوهَا فِي قَبْرٍ. (مرقس٦: ١٤-٢٩،
متى١٤: ١-١٢، لوقا٩: ٧-٩).

قبل خبر عودة التلاميذ من رحلتهم التبشيرية (٦: ٣٠-٣٣)، يورد الإنجيلي مرقس النقاش حول شخص يسوع في أوساط هيرودس أنتيبا والرواية حول نهاية

حياة المعمدان. هذه الرواية هي حتماً من تقاليد أوساط تلاميذ يوحنا، وهي هنا ترافق الحديث عن نشاط يسوع وتلاميذه، إذ أن هيرودس كان يعتقد أن يوحنا المعمدان المقطوع رأسه قد قام في شخص يسوع. وكان هذا الاعتقاد شائعاً عند الكثير من اليهود، بينما كان البعض الآخر ينتظر عودة إيليا (ملاخي ٣: ٢٣...)، وآخرون أيضاً كانوا يقولون أنه واحد من الأنبياء. إن وجهة نظر هيرودس المذكورة تشهد على توبيخ ضميره له لقتله يوحنا. يذكّر المؤرخ يوسيفوس أن المقتولين من هيرودس كانوا يحومون حوله كالشياطين.

بمناسبة سماع هيرودس عن أخبار يسوع، يسرد هنا الإنجيلي خبر قطع رأس يوحنا المعمدان (٢) (أنظر أيضاً متى ١٤: ١-١٢). لا يعرض الإنجيلي لوقا الخبر بل يكتفي بما يذكره في لوقا ٩: ٧-٩ عن خبر قطع يوحنا من قبل هيرودس ورغبته في رؤية يسوع. وكذلك يذكر في لوقا ٣: ١٩-٢٠ باختصار خبر سجن يوحنا المعمدان.

يوحنا هو واحد من سلسلة أنبياء العهد القديم. كما أن إيليا سبّب غضب ايزابيل وازدراءها عندما وبّخ زوجها الملك آخاب (١ملوك١٩: ١... و٢٠: ١٧...)، هكذا فإن يوحنا يوبّخ هيرودس بشدّة لزواجه من هيروديا زوجة أخيه فيلبس (٣) (الزواج هذا محرّم في الشريعة؛ أنظر سفر اللاويين ١٨: ١٦، ٢٠: ٢١...)، مما حداها إلى التخلّص منه. وقد اصطدمت رغتها هذه برأي زوجها هيرودس عنه، وقد ذكر "أنه رجل بارّ وقديس". فأُعطيت لها الفرصة في عيد مولد هيرودس، بحضور العظماء وقواد الألوف ووجوه الجليل، حتى رقصت ابنتها سالومي، فوعد هيرودس الصبية بأن يحقق لها رغبتها أيّاً كانت "حتى نصف مملكته". فاتفقت سالومي مع أمّها وطلبت رأس يوحنا المعمدان على طبق. "حزن" هيرودس ولكنه لم يستطع أن يعود عن قسمه فأرسل سيّافاً (Spéculateur) قطع رأس يوحنا في السجن وأتى به على طبق. إن السرعة التي تمّ فيها تنفيذ الأمر جعلت بعض المفسّرين يرون أن الاحتفال حصل في قصر ماخيراس الشهي (شرقي البحر الميت) حيث كان يوحنا المعمدان محبوساً حسب المؤرخ يوسيفوس (كتابه Ioud. pol. 7,6,2 وArch.18,5,2). ويجعل البعض الآخر الاحتفال في الجليل. إلا أنه يصعب التأكد بدقة من هذا الموضوع.

على كل حال، لا يهدف مرقس إلى سرد تاريخي، أي أن يعطينا معلومات حول نهاية يوحنا رغم أنه بدأ إنجيله بظهور يوحنا وكرازته. والأرجح أنه عرض نهاية يوحنا كتهيئة سابقة لموت المسيح المسيا.

أما بالنسبة لقتل المعمدان فقد أشار المؤرخ يوسيفوس (Arch.18,5,2) إلى أسباب سياسية. كان يخشى هيرودس من حركة ثورية نتيجة كرازة يوحنا. ربّما كان ذلك صحيحاً إلى جانب صحة ما ورد عند الإنجيلي. يعرض مرقس الأسباب

الأخلاقية، والمؤرخ يوسيفوس الأسباب السياسية (أنظر أيضاً التفسير الرمزي لحدث قطع رأس يوحنا المعمدان من قبل المفسّر ثيوفيلكتوس؛ موسوعة مين .(P.G. Migne 123.553

إشباع الخمسة آلاف:

٣٠ وَاجْتَمَعَ الرُّسُلُ إِلَى يَسُوعَ وَأَخْبَرُوهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، كُلِّ مَا فَعَلُوا وَكُلِّ مَا
عَلَّمُوا. ٣١ فَقَالَ لَهُمْ:«تَعَالَوْا أَنْتُمْ مُنْفَرِدِينَ إِلَى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ وَاسْتَرِيحُوا قَلِيلاً». لأَنَّ
الْقَادِمِينَ وَالذَّاهِبِينَ كَانُوا كَثِيرِينَ، وَلَمْ تَتَيَسَّرْ لَهُمْ فُرْصَةٌ لِلأَكْلِ. ٣٢ فَمَضَوْا فِي
السَّفِينَةِ إِلَى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ مُنْفَرِدِينَ. ٣٣ فَرَآهُمُ الْجُمُوعُ مُنْطَلِقِينَ، وَعَرَفَهُ كَثِيرُونَ.
فَتَرَاكَضُوا إِلَى هُنَاكَ مِنْ جَمِيعِ الْمُدُنِ مُشَاةً، وَسَبَقُوهُمْ وَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ. ٣٤ فَلَمَّا خَرَجَ
يَسُوعُ رَأَى جَمْعاً كَثِيراً، فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِمْ إِذْ كَانُوا كَخِرَافٍ لاَ رَاعِيَ لَهَا، فَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ
كَثِيراً. ٣٥ وَبَعْدَ سَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ:«الْمَوْضِعُ خَلاَءٌ وَالْوَقْتُ
مَضَى. ٣٦ اِصْرِفْهُمْ لِكَيْ يَمْضُوا إِلَى الضِّيَاعِ وَالْقُرَى حَوَالَيْنَا وَيَبْتَاعُوا لَهُمْ خُبْزاً،
لأَنْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ». ٣٧ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا». فَقَالُوا
لَهُ:«أَنَمْضِي وَنَبْتَاعُ خُبْزاً بِمِئَتَيْ دِينَارٍ وَنُعْطِيَهُمْ لِيَأْكُلُوا؟» ٣٨ فَقَالَ لَهُمْ:«كَمْ رَغِيفاً
عِنْدَكُمْ؟ اذْهَبُوا وَانْظُرُوا». وَلَمَّا عَلِمُوا قَالُوا:«خَمْسَةٌ وَسَمَكَتَانِ». ٣٩ فَأَمَرَهُمْ أَنْ
يَجْعَلُوا الْجَمِيعَ يَتَّكِئُونَ رِفَاقاً رِفَاقاً عَلَى الْعُشْبِ الأَخْضَرِ. ٤٠ فَاتَّكَأُوا صُفُوفاً صُفُوفاً:
مِئَةً مِئَةً وَخَمْسِينَ خَمْسِينَ. ٤١ فَأَخَذَ الأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَتَيْنِ، وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ
السَّمَاءِ، وَبَارَكَ ثُمَّ كَسَّرَ الأَرْغِفَةَ، وَأَعْطَى تَلاَمِيذَهُ لِيُقَدِّمُوا إِلَيْهِمْ، وَقَسَّمَ السَّمَكَتَيْنِ
لِلْجَمِيعِ، ٤٢ فَأَكَلَ الْجَمِيعُ وَشَبِعُوا. ٤٣ ثُمَّ رَفَعُوا مِنَ الْكِسَرِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قُفَّةً
مَمْلُوَّةً، وَمِنَ السَّمَكِ. ٤٤ وَكَانَ الَّذِينَ أَكَلُوا مِنَ الأَرْغِفَةِ نَحْوَ خَمْسَةِ آلاَفِ رَجُلٍ.
(مرقس٦: ٣٠-٤٤، متى١٤: ١٣-٢١، لوقا٩: ١٠-١٧).

تذكر حادثة تكثير الخبز والسمك مع إشباع الشعب الكثير العدد مرتين في إنجيل مرقس، أولاً في هذا المقطع ثم بعده بقليل في مرقس٨: ١-٩ (ومتى١٥: ٣٢-٣٨). تحصل العجيبة هنا عندما يعود "الرسل" من رحلتهم التبشيرية ويخبرون "بكل ما فعلوا وبكل ما علّموا" (نلاحظ أن التلاميذ يُدعون "رسلاً" فقط في هذا المقطع عند مرقس). يدعوهم يسوع إلى مكان قفر "خلاء" لكي يستريحوا قليلاً (الآية ٣١). الراحة ضرورية لعمّال الإنجيل لكي يتابعوا عملهم بقدرة متجدّدة. عندما تكون مقتضيات العمل كثيرة يضطر العامل إلى أن يستغني حتى عن راحته الضرورية.

أدرك الجمع التلاميذ الذاهبين مع يسوع إلى البرّية فجاؤوا إليهم "من جميع المدن" (الآيتان ٣٢-٣٣). عندما رأى يسوع الجمع الكثير "تحنن عليهم إذ كانوا

كخراف لا راعي لها" (أنظر سفر العدد ٢٧: ١٧)، وبدأ يعلّمهم. وبعدها لاحظ التلاميذ مرور الساعات الكثيرة والمكان المقفر فاقترحوا صرف الجمع لكي يسوع أجابهم بصيغة الأمر: "أعطوهم أنتم ليأكلوا" (مرقس٦: ٣٧).

أمام هذا الاقتراح المفاجئ للمعلّم يجيب التلاميذ أن ليس عندهم سوى خمس خبزات وسمكتين، وهذا الأساس في الطعام لسكان فلسطين. فهو يأمر بأن يُجلِسوا الجمع على العشب صفوفاً، مئة مئة وخمسين خمسين. وفي الآية ٤١، يستخدم الإنجيلي أفعالاً (فأخذ، ورفع نظره إلى السماء، وبارك، وكسر، وأعطى) تذكّرنا بالعشاء الأخير، وتدفعنا إلى تفسير شكري أفخارستي (٤) للعجيبة سوف نتكلم عنه فيما بعد. ومن المميّز في هذه العجيبة أننا نرى التلاميذ يشتركون بصورة فعّالة: يقترح هؤلاء أولاً يسوع صرف الجمع، ثم يجلبون الطعام المتوفّر إلى المعلّم، وبعدئذ يوزعون الطعام على الجميع ويجمعون ما تبقى منه. هذه المساهمة الفعّالة ليست بدون علاقة مع التفسير الشكري للمقطع. ويتكوّن لدينا الانطباع أن العجيبة حصلت من أجل التلاميذ لا من أجل الجموع، علماً بأن الإنجيلي لا يذكر أبداً تعجّب الجمع لمثل هذا الحدث العجيب كما يحصل في روايات عجائبية أخرى.

في الآيات ٤٢-٤٣ يؤكّد على أن الكلّ أكلوا و"شبعوا" ومن جهة أخرى جُمعت ١٢ "قفة" (أي سلّة) ممتلئة مما تبقى من الكسر والسمك. ربّما بهذا العدد يشير الإنجيلي إلى قبائل إسرائيل الاثني عشر مريداً أن يُظهر عن طريق هذه العجيبة أن يسوع هو المسيا الذي أطعم شعب الله بمثل هذا الفيض حتى أنه جمع كسراً كثيرة. يقدّر الإنجيلي العدد بـ٥ آلاف. إن ما جاء في الآية ٤٥ عن إرسال يسوع التلاميذ بالسفينة إلى الجانب المقابل من البحيرة ليصرف الجمع يكتمل بمقطع يوحنا ٦: ١٤-١٥ الذي يتكلم عن حماس الشعب المسياني بعد العجيبة، الحماس الذي أراد يسوع أن يتجنّبه. ومن جهة ثانية يهيئ كلام يسوع إلى تلاميذه للرواية التالية مباشرة حول ظهور يسوع ماشياً على الماء وتسكين العاصفة. هذه العجيبة (عجيبة تكثير الخبز والسمك) تحتل مكانة خاصة في تقليد المسيحية الأولى، لأنها ترد مرتين عند مرقس ومتى، ومرّة واحدة عند لوقا (٩: ١٠-١٧)، ومرّة واحدة عند يوحنا (٦: ١-١٦). عند الإنجيلي تشكّل إحدى العجائب القليلة التي أوردها مشتركة مع الأناجيل الإزائية. ولكن لماذا هذه الأهمية؟

قبل أن يعطي الجواب على السؤال، يجب أن نبرر بعض الخصائص التي تتميّز بها هذه العجيبة بالنسبة إلى العجائب الأخرى. يشدّد مرقس عادة أكثر من غيره على اندهاش الجمع أمام كل معجزة (أنظر مثلاً مرقس ٢: ١٢، ٤: ٣١، ٥: ٢٠ و٤٢ وغيرها)، بينما في المقطع السابق لا يبدي الجمع أية ردة فعل على الحدث العجائبي. يبدو أن العجيبة حصلت من أجل التلاميذ لا من أجل الجمع. وهذا يقودنا إلى الانطباع الآخر حول اشتراك للتلاميذ فعّال في إخراج العجيبة. لقد بادروا أولاً إلى طلب صرف الجمع (حسب الرواية الأولى)، فيجيبهم يسوع بأمر مباشر

مستغرب لأول وهلة "أعطوهم أنتم ليأكلوا"، فيعبّر التلاميذ عن حريتهم، ثم بعد مباركة الخبز يوزّعونه على الجمع، وفي النهاية يجمعون "١٢ قفة مملؤة". إن لهذا الاشتراك الكثيف معنى جوهرياً.

يسود اليوم التفسير المسياني لعجيبة تكثير الخبز: يبرهن يسوع، من خلال إشباع الجموع، أنه المسيا المنتظر الذي، حسب رواية يوحنا ٦: ١٤-١٥، بعد العجيبة حاول الجمع أن يخطفوه بالقوّة لكي يعلنوه ملكاً. وكثيرون أيضاً من المفسّرين يتبنون التفسير الشكري للعجيبة، مؤكدين على علاقتها برواية العشاء الأخير (مرقس ١٤: ٢٢-٢٥)، ونحن نتبنى هذا التفسير كونه أكثر صحة من غيره. ما هي العناصر التي تدعم مثل هذا التفسير بين الروايتين عند مرقس؟

١.

الشبه اللغوي الموجود بين الروايتين (مرقس٦: ٣٤-٤٤ و٨: ١-٩). وهذا برهان لغوي كاف لتأثير عمل الكنيسة الأفخارستي (٥) على الشكل الخارجي اللغوي الذي اتخذته الروايتان.

٢.

عند الإنجيلي يوحنا، بعد رواية تكثير الخبز مباشرة (يوحنا٦: ١-١٥) وبعد السير على الماء (يوحنا٦: ١٦-٢١)، يتكلم يسوع مطوّلاً عن الافخارستيّا الإلهية (يوحنا٦: ٢٢-٧١). وتأتي العجيبة زمنياً قبل الفصح بقليل (ربما يذكر "العشب الرطب" في يوحنا٦: ٣٩ ليذكر بتلك الأيام الربيعية). هذا ما يدل على أنه في نهاية القرن الأول (٦) ساد وبكل وضوح التفسير الشكري لعجيبة تكثير الخبز من قبل يسوع، هذا التفسير الذي علينا أن نعتبره قائماً في تقليد الكنيسة قبل تأليف إنجيل مرقس.

٣.

ذكر الإنجيلي في الرواية الأولى أن يسوع "تحنّن" على "الجمع الكثير" "كخراف لا راعي لها". يرمي هذا الخبر إلى إبراز رسالة يسوع كراع لشعب الله الجديد، للكنيسة. والأخبار التي كانت تتكلم عن شعب الله القديم في البريّة كافية لهذا الغرض، إذ أن المكان القفر الذي تمّت فيه العجيبة يذكّر بالبرية التي اجتازها إسرائيل، والخبز كثره يسوع يذكر بالمنّ الذي أعطاه الله بطريقة عجائبية إلى شعبه، والسمك يذكر بالسلوى المعطاة بالطريقة العجائبية نفسها (أنظر العدد١١: ٤...). إذاً يسوع هو موسى الجديد الذي يقود الشعب الجديد ويطعمه.
لدينا من جهة ثانية إشارة كافية في الآيات ٣٩-٤٠ إلى شعب الله في البرية الذي اتكأ "صفوفاً صفوفاً، مئة مئة وخمسين خمسين"، مما يذكر بتنظيم شعب الله بالصحراء.

٤.

لقد شدّدنا سابقاً على مساهمة التلاميذ الفعّالة في حدث العجيبة: يعطون الخبزات للجمع، ثم يجمعون الكسر، ومن جهة أخرى يأمرهم يسوع بصورة مميّزة "أعطوهم أنتم ليأكلوا" (الآية ٣٧). كلّ هذه النقاط تبشر بمكانة التلاميذ الرئاسية التي سوف يأخذونها في الكنيسة. لقد أخذوا من الربّ خلال العشاء السرّي الوصية "اصنعوا هذا لذكري" (لوقا٢٢: ١٩)، ويتممون (استناداً إلى هذه الوصيّة) سرّ الافخارستيا في الكنيسة.

٥.

أخيراً يعطي هذا التفسير الشكري أيضاً من خلال الأيقونة الأرثوذكسية. ومن المميّز وجود السمك في الرموز الظاهرة في الافخارستيا الإلهية في دهاليز (catacombes) الكنيسة الأولى (في روما مثلاً).

ظهور المسيح ماشياً على البحر:

٤٥ وَلِلْوَقْتِ أَلْزَمَ تَلاَمِيذَهُ أَنْ يَدْخُلُوا السَّفِينَةَ وَيَسْبِقُوا إِلَى الْعَبْرِ، إِلَى بَيْتِ
صَيْدَا، حَتَّى يَكُونَ قَدْ صَرَفَ الْجَمْعَ. ٤٦ وَبَعْدَمَا وَدَّعَهُمْ مَضَى إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ.
٤٧ وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ كَانَتِ السَّفِينَةُ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ، وَهُوَ عَلَى الْبَرِّ وَحْدَهُ. ٤٨
وَرَآهُمْ مُعَذَّبِينَ فِي الْجَذْفِ، لأَنَّ الرِّيحَ كَانَتْ ضِدَّهُمْ. وَنَحْوَ الْهَزِيعِ الرَّابعِ مِنَ اللَّيْلِ
أَتَاهُمْ مَاشِياً عَلَى الْبَحْرِ، وَأَرَادَ أَنْ يَتَجَاوَزَهُمْ. ٤٩ فَلَمَّا رَأَوْهُ مَاشِياً عَلَى الْبَحْرِ ظَنُّوهُ
خَيَالاً، فَصَرَخُوا. ٥٠ لأَنَّ الْجَمِيعَ رَأَوْهُ وَاضْطَرَبُوا. فَلِلْوَقْتِ كَلَّمَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ:«ثِقُوا!
أَنَا هُوَ. لاَ تَخَافُوا». ٥١ فَصَعِدَ إِلَيْهِمْ إِلَى السَّفِينَةِ فَسَكَنَتِ الرِّيحُ، فَبُهِتُوا وَتَعَجَّبُوا فِي
أَنْفُسِهِمْ جِدّاً إِلَى الْغَايَةِ، ٥٢ لأَنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا بِالأَرْغِفَةِ إِذْ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ غَلِيظَةً. ٥٣
فَلَمَّا عَبَرُوا جَاءُوا إِلَى أَرْضِ جَنِّيسَارَتَ وَأَرْسَوْا. ٥٤ وَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ السَّفِينَةِ
لِلْوَقْتِ عَرَفُوهُ. ٥٥ فَطَافُوا جَمِيعَ تِلْكَ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ، وَابْتَدَأُوا يَحْمِلُونَ الْمَرْضَى
عَلَى أَسِرَّةٍ إِلَى حَيْثُ سَمِعُوا أَنَّهُ هُنَاكَ. ٥٦ وَحَيْثُمَا دَخَلَ إِلَى قُرىً أَوْ مُدُنٍ أَوْ ضِيَاعٍ،
وَضَعُوا الْمَرْضَى فِي الأَسْوَاقِ، وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَلْمِسُوا وَلَوْ هُدْبَ ثَوْبِهِ. وَكُلُّ مَنْ
لَمَسَهُ شُفِيَ. (مرقس٦: ٤٥-٥٦، متى ١٤: ٢٢-٣٦).

ترتبط عجيبتا تكثير الخبزات وظهور يسوع ماشياً على البحر ارتباطاً وثيقاً في الأناجيل الإزائية وفي إنجيل يوحنا. فحالاً بعد إشباع الخمسة آلاف، يرسل يسوع تلاميذه في السفينة إلى الجانب المقابل للبحيرة تجاه بيت صيدا (أي بيت الصيد)، حتى يصرف الجمع الذي حضر عجيبة تكثير الخبزات والسمك. لو أخذنا بعين الاعتبار ما جاء في يوحنا ٦: ١٤-١٥، حيث يتظاهر الشعب بحماسة مقتنعاً

بأن يسوع هو المسيّا المنتظر المانح طعاماً بطريقة عجائبية إلى الشعب الجائع، لأمكننا حينئذ أن نفهم أكثر التدابير التي اتخذها يسوع مباشرة بعد العجيبة: ١ـ ألزم تلاميذه الهرب بالسفينة لأنه كان يعرف على أغلب الظنّ أنهم يشاركون الشعب مفاهيمه المسيانية الخاطئة، لذلك أراد أن يبعدهم عنه؛ ٢ـ صرف الجمع؛ ٣ـ صعد إلى الجبل ليصلي على انفراد.

كثيراً ما يقدّم الإنجيليون يسوع معتزلاً من أجل الصلاة خاصة في اللحظات الصعبة والمهمّة في حياته. ربّما كان مضمون صلاته يدور حول التجربة المسيانية (٧) التي خلقتها التظاهرات الشعبية الحماسية، أو يدور حول إيجاد طريقة تربوية لمواجهة تمنياتهم. يُعتبر الجبل في لغة الكتاب المقدس كمكان قربى من الله. وكثير من الحوادث المهمّة في العهد القديم والجديد تقع على الجبل، مثلاً: تسليم الله الناموس إلى موسى، "الموعظة على الجبل"، اختيار التلاميذ الاثني عشر، التجلي وغيرها.

بينما كان يسوع على انفراد في الجبل يصلّي، أخذ المركب الذي يحمل التلاميذ يواجه وسط البحيرة أحولاً جدّية صعبة، يناطح الأمواج. إلى جانب يأس التلاميذ المرجّح من عدم تجاوب معلّمهم مع تظاهرات الشعب الحماسية المسيانية، يضاف الآن الخوف من الهلاك من جراء مخاطر عناصر الطبيعة. لكن المسيح لم يترك تلاميذه طويلاً وحدهم وبدون معونة. يظهر لهم ماشياً على البحر في "الهزيع" الرابع من الليل أي ما بين الساعة ٣ و٦ صباحاً، وفقاً لتقسيم الليل الروماني إلى أربعة أقسام يتناوب فيها الحرّاس مداورة (أنظر مرقس ١٣: ٣٥، الأسماء الشعبية التي أعطيت للأقسام الأربعة: المساء، نصف الليل، صياح الديك والصباح).

أمام اضطراب التلاميذ وظنهم أنهم يرون "خيالاً"، يأتي معلمهم وينقذهم قائلاً: "ثقوا، أنا هو، لا تخافوا" (الآية ٥٠). صوت يسوع هذا المشجّع فعل هذا العجب الذي داخلهم، ثم دوّنوه في الأناجيل. وإلى جانب هذا الإحساس عند التلاميذ أما عبارة يسوع، لا بدّ أن نرى فيها أيضاً وعداً منه ينطوي على أنه سوف يوحد باستمرار إلى جانب سفينة الكنيسة التي عليها ألا تخاف وألا تتخلى عن مروءتها في أوان العواصف وأنواء الحياة التي تتقاذفها وتزعزعها في العالم.

بعد هدوء الريح دخلت السفينة إلى جنيسارت (أنظر أرض جنيسارت عند متى). هكذا يُدعى السهل الصغير الخصب الذي يقع إلى غرب بحيرة طبريا والمنبسط بينها وبين كفرناحوم. ربّما أخذت البحيرة اسمها جنيسارت من هذا السهل، وهي تدعى عادة بحيرة طبريا أو بحر الجليل أو البحيرة. انتشر خبر حضور يسوع في المنطقة، فقدّموا إليه "حيث سمعوا أنه هناك" المرضى لكي يشفيهم عندما "يلمسون ولو هدب ثوبه" (الآيات ٥٣-٥٦).

الخلاصة:

تشكّل عجيبة تسكين العاصفة وسير يسوع على البحر من الناحية اللاهوتية ملحقاً للعجيبة السابقة:عن طريق تكثير الخبزات وإشباع الجموع، يظهر يسوع المعطي خبز الحياة (المنقذ من الجوع)، وكذلك عن طريق سيادته على عناصر الطبيعة وخاصة على البحر، يظهر غالباً الموت خصوصاً وأن البحر في مفاهيم ذلك العصر كان صورة للموت ورمزاً للقوّات الشيطانية.

الإصحاح السابع

مناقشة حول الطهارة الخارجية والداخلية:

١ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْفَرِّيسِيُّونَ وَقَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ قَادِمِينَ مِنْ أُورُشَلِيمَ. ٢ وَلَمَّا رَأَوْا
بَعْضاً مِنْ تَلاَمِيذِهِ يَأْكُلُونَ خُبْزاً بِأَيْدٍ دَنِسَةٍ، أَيْ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ، لاَمُوا. ٣ لأَنَّ
الْفَرِّيسِيِّينَ وَكُلَّ الْيَهُودِ إِنْ لَمْ يَغْسِلُوا أَيْدِيَهُمْ بِاعْتِنَاءٍ، لاَ يَأْكُلُونَ، مُتَمَسِّكِينَ بِتَقْلِيدِ
الشُّيُوخِ. ٤ وَمِنَ السُّوقِ إِنْ لَمْ يَغْتَسِلُوا لاَ يَأْكُلُونَ. وَأَشْيَاءُ أُخْرَى كَثِيرَةٌ تَسَلَّمُوهَا
لِلتَّمَسُّكِ بِهَا، مِنْ غَسْلِ كُؤُوسٍ وَأَبَارِيقَ وَآنِيَةِ نُحَاسٍ وَأَسِرَّةٍ. ٥ ثُمَّ سَأَلَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ
وَالْكَتَبَةُ:«لِمَاذَا لاَ يَسْلُكُ تَلاَمِيذُكَ حَسَبَ تَقْلِيدِ الشُّيُوخِ، بَلْ يَأْكُلُونَ خُبْزاً بِأَيْدٍ غَيْرِ
مَغْسُولَةٍ؟» ٦ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ:«حَسَناً تَنَبَّأَ إِشَعْيَاءُ عَنْكُمْ أَنْتُمُ الْمُرَائِينَ! كَمَا هُوَ
مَكْتُوبٌ: هذَا الشَّعْبُ يُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيداً، ٧ وَبَاطِلاً
يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ. ٨ لأَنَّكُمْ تَرَكْتُمْ وَصِيَّةَ اللهِ
وَتَتَمَسَّكُونَ بِتَقْلِيدِ النَّاسِ: غَسْلَ الأَبَارِيقِ وَالْكُؤُوسِ، وَأُمُوراً أُخَرَ كَثِيرَةً مِثْلَ هذِهِ
تَفْعَلُونَ». ٩ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ:«حَسَناً! رَفَضْتُمْ وَصِيَّةَ اللهِ لِتَحْفَظُوا تَقْلِيدَكُمْ! ١٠ لأَنَّ
مُوسَى قَالَ: أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَمَنْ يَشْتِمُ أَباً أَوْ أُمّاً فَلْيَمُتْ مَوْتاً. ١١ وَأَمَّا أَنْتُمْ
فَتَقُولُونَ: إِنْ قَالَ إِنْسَانٌ لأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ: قُرْبَانٌ، أَيْ هَدِيَّةٌ، هُوَ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِهِ مِنِّي ١٢
فَلاَ تَدَعُونَهُ فِي مَا بَعْدُ يَفْعَلُ شَيْئاً لأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ. ١٣ مُبْطِلِينَ كَلاَمَ اللهِ بِتَقْلِيدِكُمُ الَّذِي
سَلَّمْتُمُوهُ. وَأُمُوراً كَثِيرَةً مِثْلَ هذِهِ تَفْعَلُونَ». ١٤ ثُمَّ دَعَا كُلَّ الْجَمْعِ وَقَالَ
لَهُمُ:«اسْمَعُوا مِنِّي كُلُّكُمْ وَافْهَمُوا. ١٥ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ خَارِجِ الإِنْسَانِ إِذَا دَخَلَ فِيهِ
يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ، لكِنَّ الأَشْيَاءَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهُ هِيَ الَّتِي تُنَجِّسُ الإِنْسَانَ. ١٦ إِنْ كَانَ
لأَحَدٍ أُذْنَانِ لِلسَّمْعِ، فَلْيَسْمَعْ». ١٧ وَلَمَّا دَخَلَ مِنْ عِنْدِ الْجَمْعِ إِلَى الْبَيْتِ، سَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ
عَنِ الْمَثَلِ. ١٨ فَقَالَ لَهُمْ:«أَفَأَنْتُمْ أَيْضاً هكَذَا غَيْرُ فَاهِمِينَ؟ أَمَا تَفْهَمُونَ أَنَّ كُلَّ مَا
يَدْخُلُ الإِنْسَانَ مِنْ خَارِجٍ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ، ١٩ لأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ إِلَى قَلْبِهِ بَلْ إِلَى
الْجَوْفِ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الْخَلاَءِ، وَذلِكَ يُطَهِّرُ كُلَّ الأَطْعِمَةِ». ٢٠ ثُمَّ قَالَ:«إِنَّ الَّذِي
يَخْرُجُ مِنَ الإِنْسَانِ ذلِكَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ. ٢١ لأَنَّهُ مِنَ الدَّاخِلِ، مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ،
تَخْرُجُ الأَفْكَارُ الشِّرِّيرَةُ: زِنىً، فِسْقٌ، قَتْلٌ، ٢٢ سِرْقَةٌ، طَمَعٌ، خُبْثٌ، مَكْرٌ، عَهَارَةٌ،

عَيْنٌ شِرِّيرَةٌ، تَجْدِيفٌ، كِبْرِيَاءُ، جَهْلٌ. ٢٣ جَمِيعُ هذِهِ الشُّرُورِ تَخْرُجُ مِنَ الدَّاخِلِ وَتُنَجِّسُ الإِنْسَانَ». (مرقس٧: ١-٢٣، متى ١٥: ١-٢٠).

في الآيات ١-٢٣ يقدّم الإنجيلي أقوالاً متعدّدة ليسوع عن طهارة القلب الداخلية بالمقارنة مع الطهارة الخارجية المحفوظة بحسب تقليد اليهود. تتوجه الأقوال أوّلاً إلى الفريّسيين والكتبة الآتين من أورشليم (الآيات ١-١٣)، ومن ثم إلى الجمع (الآيتان ١٤-١٥)، وأخيراً إلى التلاميذ داخل البيت (الآيات ١٧-٢٣). تأتي هذه المناقشة جواباً على سؤال الفريسيين والكتبة ليسوع لماذا لا يغسل تلاميذه أيديهم قبل الطعام (الآيتان ١-٢). يجيب يسوع بعبارة أشعيا ٢٩: ١٣ "هذا الشعب يكرمني بشفتيه أم قلبه فبعيد عني" حيث تظهر المسافة الفاصلة بين الشفتين والقلب عند الشعب الإسرائيلي، أي بين الأعمال الخارجية والاستعدادات الداخلية. إن الآيتين ٣ و ٤ الواردتين وكأنهما بين معترضتين تفسّران للقراء الموجودين خارج نطاق الأوساط اليهودية ما يتعلّق بالعادات اليهودية المختلفة المتعلقة بالطهارة الخارجية، وهي غسل اليدين قبل الطعام، الاغتسال لدى العودة من السوق (حيث يلتقون ربما بأناس مدّنسين)، وأيضاً غسل الكؤوس والأباريق (التي لها سعة كبيرة وهي من خشب عادة) وآنية النحاس.

إن الأوامر الناموسية حول الطهارة، على مثال عطلة السبت هي من المميّزات الخاصة باليهود. ويفسّر عبور شعب الله في وسط شعوب غير طاهرة وتمايزه الواضح عنهم الأوامر العديدة حول الطهارة، خصوصاً في الأزمان الواقعة ما بعد السبي وما قبل العهد المكابي. تعتبر بعض الجماعات أنفسها أطهر من بقية الشعب وتتبع بدقة وحماس أوامر الناموس. نعلم من خلال مخطوطات قمران وجود الاغتسال المستمّر (أو المعمودية المستمّرة) الذي كان يُفرض على أعضاء مجتمع الأسانيين. وأيضاً في النصوص الربّانية تبرز أهمية غسل اليدين قبل الطعام.
ورواية التلمود التالية لافتة للنظر: لقد أرسلوا ماءً إلى الربّان "اكيمبا" الذي كان عطشاناً في السجن، فاستخدم معظم كميته لغسل اليدين، كما قال بنفسه، لأنه كان يفضل أن يموت من العطش من أن يخالف تقليد الشيوخ. وهناك عبارة ربّانية أخرى تستخدم المثل التالي: "الذي يأكل خبزاً بدون أن يغسل يديه يشبه من يعاشر الزواني".

لقد أدان يسوع بشدّة عادة اليهود في حفظ تقليد الشيوخ على هذا الشكل من التزمّت (ويصف هذه العادة في الآية ٨ "بتقليد الناس") على حساب وصية الله. ويُظهر إلى أي حدّ يمكن أن يذهب هذا التزمّت الناقض لوصية الله وذلك بتقديمه مثل عصيان اليهود للوصية الرابعة المذكورة ضمن الوصايا العشر ("أكرم أباك وأمك...")، إذ باستخدام عبادة "القربان" (أي "هدية وهو الذي تنتفع به مني")، يتحرر اليهودي من واجباته تجاه والديه طالما قدّم مطلبهما قرباناً في الهيكل. هكذا

عن طريق مثل هذه الحيل، كانوا يتهربون من وصية الله ويتبعون تقليدهم الخاص ("الجاهل" كما تصفه الآية ١٣ في المخطوطة D).

في الآيتين ١٤ و١٥ يتوجه يسوع إلى الجمع ويعطي خطوطاً عريضة لمفهوم الطهارة الحقيقية وأخلاق الإنسان: ما يدنّس الإنسان ليس ما يدخل فمه (كالأطعمة...) بل ما يخرج منه. اعتُبرت هذه الجملة من قبل المفسرين "إحدى أهم الجمل في تاريخ الأديان". وهي تذكرنا بكرازة الأنبياء في العهد القديم (عاموس٥: ٢١...، أشعيا١: ١١...، ٥٨: ٢...، ارميا٧: ٢١...) الذين وضعوا الطهارة الأخلاقية، طهارة القلب، فوق الطهارة الطقسية الخارجية. طبعاً تستند أوامر الفريسيين حول الطهارة الخارجية إلى العهد القديم (أنظر سفر اللاويين ١١-١٥، تثنية ١٤: ٤...) لكن عندما لا تعبّر هذه الوصايا عن إيمان البشر وأخلاقهم تصبح أعمالاً خارجية كاذبة. ويؤكد الرب يسوع على أهمية هذه الأقوال بعبارة الآية ١٦ (غير الموجودة في طبعة Nestlé "إن كان لأحد أذنان للسمع فليسمع").

في الآيات ١٧-٢٣ يفسّر يسوع لتلاميذه "المثل" الذي أعطاه سابقاً والذي استفهم عنه التلاميذ: ما يوجد داخل الإنسان هي الأطعمة التي تُهضم وتُفرَز خارجاً، بينما ما يخرج من فمه صادر عن القلب (أفكار القلب مثلاً التي تجسدها الأعمال الناتجة عنها: "الزنى، القتل، الفسق، السرقة، الطمع، الخبث، المكر، العهارة، العين الشريرة، التجديف، الكبرياء والجهل"، الآيات ٢١-٢٢).

الخلاصة:

إن القلب حسب نظرة الكتاب المقدّس إلى الإنسان (anthropologie bibliquw) هو مركز الكيان. هو مركز الأفكار والإحساسات والإرادة. منه تنتج استعدادات الإنسان وقراراته التي تحدّد طهارته الأخلاقية أم لا. من هنا يطوّب الإنجيل "أنقياء القلوب" (متى ٥: ٨)، ويقول المزمور الخمسون: "قلباً نقياً اخلق فيّ يا الله" (مز ٥٠: ١٢).

شفاء ابنة الكنعانية:

٢٤ ثُمَّ قامَ مِنْ هُنَاكَ وَمَضَى إِلَى تُخُومِ صُورَ وَصَيْدَاءَ، وَدَخَلَ بَيْتاً وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ
لاَ يَعْلَمَ أَحَدٌ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَخْتَفِيَ، ٢٥ لأَنَّ امْرَأَةً كَانَ بِابْنَتِهَا رُوحٌ نَجِسٌ سَمِعَتْ بِهِ،
فَأَتَتْ وَخَرَّتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ. ٢٦ وَكَانَتْ الامْرَأَةُ أَمَمِيَّةً، وَفِي جِنْسِهَا فِينِيقِيَّةً سُورِيَّةً.
فَسَأَلَتْهُ أَنْ يُخْرِجَ الشَّيْطَانَ مِنِ ابْنَتِهَا. ٢٧ وَأَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ لَهَا:«دَعِي الْبَنِينَ أَوَّلاً
يَشْبَعُونَ، لأَنَّهُ لَيْسَ حَسَناً أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ». ٢٨ فَأَجَابَتْ وَقَالَتْ

لَهُ:«نَعَمْ، يَا سَيِّدُ! وَالْكِلاَبُ أَيْضاً تَحْتَ الْمَائِدَةِ تَأْكُلُ مِنْ فُتَاتِ الْبَنِينَ!». ٢٩ فَقَالَ لَهَا:«لأَجْلِ هذِهِ الْكَلِمَةِ، اذْهَبِي. قَدْ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنِ ابْنَتِكِ». ٣٠ فَذَهَبَتْ إِلَى بَيْتِهَا وَوَجَدَتِ الشَّيْطَانَ قَدْ خَرَجَ، وَالابْنَةَ مَطْرُوحَةً عَلَى الْفِرَاشِ. (مرقس ٧: ٢٤-٣٠، متى ١٥: ٢١-٢٨).

تحصل عجيبة الرواية الحاضرة "في تخوم صور" ("وصيدا" حسب بعض المخطوطات). ومقاطعة صور هي في جنوب منطقة سوريا الرومانية، يحدّها الجليل من ناحية الجنوب ومنطقة فيليبس رئيس الربع من ناحية الشرق. لا يقول بوضوح إن كان يسوع قد خرج من الجليل ودخل تخوم صور. إلا أننا نستدل من الرواية المشابهة عند متى أن المرأة خرجت "من تلك التخوم" وأتت إلى يسوع الموجود في شمال الجليل. رغم محاول يسوع تجنّب الجمع وهو في أحد البيوت، تأتي امرأة ابنتها مريضة، عندها "روح نجس"، تطلب وهي جاثية على قدميه أن تتحرر ابنتها من الشيطان. وكانت الامرأة أممية أي وثنية، أما جنسيتها ففينيقية سوريّة (Syrophénicienne)، وقد كان سكان صور فينيقيين معتَبرين خلفاء لسكان فلسطين القدماء الكنعانيين (عند متى ١٥: ٢٢ المرأة هي كنعانية). تدعو الترجمة السريانية المرأة "أرملة". في هذه الحالة يعتبر الكثير من المفسرين أن الرواية تقابل قصة إقامة ابنة أرملة صرفت من قبل إيلي النبي، الواردة في سفر ٣ملوك ١٧: ٩... من العهد القديم. أخيراً في بعض المواعظ القديمة تدعى المرأة يوسطا وابنتها فيرونيكي.

يتراءى إيمانها في سياق الرواية كلها، ويؤكّد عليه في الرواية المشابهة عند متى ("يا امرأة عظيم إيمانك، ليكن لكِ كما تريدين"، متى ١٥: ٢٨). كان يرفض يسوع في البداية تحقيق مطلبها قائلاً لا يجوز أن يُحرم البنون من الخبز لكي يقدّم للكلاب. فقد كان الإسرائيليون يحتفظون لأنفسهم باسم أبناء الله، مطلقين على الأمم الوثنية اسم كلاب. تتقبل المرأة هذه الصفة المهينة وتجيب توّاً: والكلاب أيضاً يمكن أن تشبع من الفتات الذي يسقط من مائدة البني. بعد هذا يرسل يسوع المرأة إلى بيتها (مادحاً إيمانها حسب متى) لكي تجد ابنتها معافاة. لقد حصلت إذاً العجيبة عن بعد، كما حصل أيضاً مع ابن عامل الملك (يوحنا ٤: ٤٦-٥٤) وعبد قائد المئة (متى ٨: ٥-١٣، لوقا ٧: ١-١٠). في الحادثة الأخيرة كما في حادثة الكنعانية، يعترف يسوع ويؤكد على إيمان بعض من الوثنيين.

الخلاصة:

يبدو أن الرواية الحاضرة ترتبط بما سبقها (٧: ١-٢٣) كما يلي: بينما يعتبر اليهود الأمم الوثنية دنسة (غير طاهرة)، ينشر يسوع نشاطه العجائبي إلى الوثنيين. إنه يطعم الأبناء ويطعم أيضاً الكلاب الصغيرة. يعلن هنا عن الله أباً لليهود والوثنيين على السواء، مخلّصاً لجميع الناس.

شفاء الأصم الأعقد:

٣١ ثُمَّ خَرَجَ أَيْضاً مِنْ تُخُومِ صُورَ وَصَيْدَاءَ، وَجَاءَ إِلَى بَحْرِ الْجَلِيلِ فِي وَسْطِ
حُدُودِ الْمُدُنِ الْعَشْرِ. ٣٢ وَجَاءُوا إِلَيْهِ بِأَصَمَّ أَعْقَدَ، وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ.
٣٣ فَأَخَذَهُ مِنْ بَيْنِ الْجَمْعِ عَلَى نَاحِيَةٍ، وَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِي أُذُنَيْهِ وَتَفَلَ وَلَمَسَ لِسَانَهُ،
٣٤ وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ، وَأَنَّ وَقَالَ لَهُ:«إِفَّثَا». أَيِ انْفَتِحْ. ٣٥ وَلِلْوَقْتِ انْفَتَحَتْ
أُذْنَاهُ، وَانْحَلَّ رِبَاطُ لِسَانِهِ، وَتَكَلَّمَ مُسْتَقِيماً. ٣٦ فَأَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يَقُولُوا لأَحَدٍ. وَلكِنْ
عَلَى قَدْرِ مَا أَوْصَاهُمْ كَانُوا يُنَادُونَ أَكْثَرَ كَثِيراً. ٣٧ وَبُهِتُوا إِلَى الْغَايَةِ قَائِلِينَ:«إِنَّهُ
عَمِلَ كُلَّ شَيْءٍ حَسَناً! جَعَلَ الصُّمَّ يَسْمَعُونَ وَالْخُرْسَ يَتَكَلَّمُونَ». (مرقس ٧: ٣١-
٣٧، متى ١٥: ٢٩-٣١).

إن انتشار نشاط المسيا العجائبي عند الأمم يتابع في رواية العجيبة التي نحن في صددها والتي تحصل في منطقة المدن العشر شرقي بحيرة جنيسارت. لا يذكر الإنجيلي هنا بوضوح إن كان المريض يهودياً أم وثنياً. لكن يمكننا أن نستنتج من خلال متى ١٥: ٣١ أن المريض كان وثنياً. يُقدَّم الأصم الأعقد (أي الذي يتكلم بصعوبة) إلى يسوع، فيبعده يسوع عن الجمع (غير باحث عن المجد من وراء عجيبة ظاهرة أمام الجميع حسب المفسّر زيغافنوس). يتفل ويدهن لسانه باللعاب، كواسطة شفاء قديمة، ويضع أصابعه في أذنيه لأنه لا أنه يستطيع بطريقة أخرى (بالكلام مثلاً) أن يتوجّه إلى الأصمّ. ومن ثم يوجّه نظره أمام خليقة الله الحسنة جداً والمشوّهة الآن من الشيطان، ثم يعيد إبداع الجبلة الفاسدة بأمره الإلهي: "إفَّثا" "أي انفتح". وللحال من جرّاء الأمر النافذ يتحرّر السمع وتنحل عقدة لسان الأعقد. إن انغلاق السمع وعقد اللسان ما هما إلا نتيجة تسلط الشيطان على الإنسان. تعتبر كلمة "إفَّثا" هنا من قبل مفسّرين كثيرين وكأنها موجّهة إلى الإنسان بعامّة الذي يسيطر عليه الشيطان. وتحمل أيضاً معنى التحرر من الشيطان.

تنتهي الرواية بوصية يسوع المعروفة إلى الجميع بألا يقولوا لأحد. وكما تذكر الرواية تعجّب الناس لما شاهدوا "أنه عمل كل شيء حسناً: جعل الصمّ يسمعون والخرس يتكلمون" (الآية ٣٧)، ممّا يعيد إلى الذهن نبوءة أشعيا عن الأزمان المسيانية عندما قال: "حينئذ... تتفتّح آذان الصمّ، يطفر الأعرج كالأيّل، ويترنم لسان الأبكم" (أشعيا ٣٥: ٥-٦).

الإصحاح الثامن

مناقشة حول الطهارة الخارجية والداخلية:

١ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ إِذْ كَانَ الْجَمْعُ كَثِيراً جِدّاً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ، دَعَا يَسُوعُ
تَلاَمِيذَهُ وَقَالَ لَهُمْ: ٢ «إِنِّي أُشْفِقُ عَلَى الْجَمْعِ، لأَنَّ الآنَ لَهُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ يَمْكُثُونَ مَعِي
وَلَيْسَ لَهُمْ مَا يَأْكُلُونَ. ٣ وَإِنْ صَرَفْتُهُمْ إِلَى بُيُوتِهِمْ صَائِمِينَ يُخَوِّرُونَ فِي الطَّرِيقِ،
لأَنَّ قَوْماً مِنْهُمْ جَاءُوا مِنْ بَعِيدٍ». ٤ فَأَجَابَهُ تَلاَمِيذُهُ:«مِنْ أَيْنَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُشْبِعَ
هؤُلاَءِ خُبْزاً هُنَا فِي الْبَرِّيَّةِ؟» ٥ فَسَأَلَهُمْ:«كَمْ عِنْدَكُمْ مِنَ الْخُبْزِ؟» فَقَالُوا:«سَبْعَةٌ». ٦
فَأَمَرَ الْجَمْعَ أَنْ يَتَّكِئُوا عَلَى الأَرْضِ، وَأَخَذَ السَّبْعَ خُبْزَاتٍ وَشَكَرَ وَكَسَرَ وَأَعْطَى
تَلاَمِيذَهُ لِيُقَدِّمُوا، فَقَدَّمُوا إِلَى الْجَمْعِ. ٧ وَكَانَ مَعَهُمْ قَلِيلٌ مِنْ صِغَارِ السَّمَكِ، فَبَارَكَ
وَقَالَ أَنْ يُقَدِّمُوا هذِهِ أَيْضاً. ٨ فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا. ثُمَّ رَفَعُوا فَضَلاَتِ الْكِسَرِ: سَبْعَةَ سِلاَل.
٩ وَكَانَ الآكِلُونَ نَحْوَ أَرْبَعَةِ آلاَفٍ. ثُمَّ صَرَفَهُمْ. (مرقس٨: ١-٩، متى١٥: ٣٢-
٣٨).

تكلمنا عن حادثة تكثير الخبزات والسمك في مقطع سابق (مرقس ٦: ٣٤-٤٤؛ انظر هناك إلى معنى الحادثة). يُطرح إذاً السؤال: هل توجد روايتان (Dublette) لعجيبةٍ واحدةٍ أم أن هنالك عجيبتين متشابهتين حصلنا في مكانين وزمانين مختلفين؟ إن الذين يزعمون أن هنالك عجيبة واحدة يستندون إلى الشبه القائم في الوقائع (البريّة، الجمع الكثير، تحيّر التلاميذ) والشبه في أعمال يسوع (كسر، أعطى تلاميذه...). بينما الذين يأخذون بوجهة النظر المعاكسة يتكلمون عن عجيبتين متشابهتين في المضمون ومختلفتين في المكان والزمان، حصلت الأولى في أرض يهوديّة والثانية في أرض الوثنيين. وهم يستندون إلى النقاط التالية:

.١

حسب الرواية الثانية (٨: ١-٩) يوجد يسوع في منطقة المدن العشر، وهي منطقة وثنية شمال شرق البحيرة (٧: ٢٤، ٣١). بالطبع لا يرد هذا بصورة واضحة في المقطع (٨: ١-٩) الذي بدأ بارتباط ضعيف مع ما سبق ("في تلكالأيام"). لكن الآية ٣ "لأن قوماً منهم جاؤوا من بعيد" قد تشير إلى مجيئهم من مناطق وثنية (أرض الأمم).

.٢

هنا تأتي المبادة لاشباع الجمع الكثير من يسوع نفسه.

.٣

تختلف الأعداد بين الروايتين (٤٠٠٠ عوض ٥٠٠٠، ٧ خبزات بدل ٥، سمك قليل عوض سمكتين، ٧ سلال عوض ١٢) (١).

.٤

تأتي الرواية الثانية بمفردات جديدة تختلف عن مفردات الرواية الأولى (يمكثون، يخورون، فضلات، سلال...).

نعتقد أن وجهة النظر الثانية هي الأصح. ومن ناحية أخرى يتكلّم الإنجيلي في ٨: ١٧-٢١ عن حادثتين لتكثير الخبزات. في الواقع كان يسوع موجوداً حسب الآية ٧: ٢٤... على أرض الأمم، وهي أرض وثنية، وهو يصنع هناك عجائب (شفاء ابنة المرأة الفينيقية السورية...) كما فعل على أرض اليهود قبلاً. يمنح خبز الحياة لليهود كما للوثنيين. لقد حفظت الكنيسة الروايتين وتستخدمهما لحاجات مختلفة من الكرازة والتعليم، وتؤكد على أن سرّ الشكر الإلهي أعطي من قبل الرب يسوع للتلاميذ الاثني عشر ومنهم إلى شعب الله أي الكنيسة التي تتكوّن من اليهود والوثنيين. من المميّز أنه في الرواية الثانية (الواقعة على أرض الوثنيين) يأخذ يسوع المبادرة في اهتمامه بالجمع. نلاحظ أيضاً أن بعض المفسرين يقارنون بين ١٢ قفة في الرواية و١٢ قبيلة في إسرائيل، كما أنهم من خلال الـ ٧ سلال في الرواية الثانية يشيرون إلى كنائس الأمم السبع.

مناقشته مع الفريسيين الطالبين آية:

١٠ وَلِلْوَقْتِ دَخَلَ السَّفِينَةَ مَعَ تَلاَمِيذِهِ وَجَاءَ إِلَى نَوَاحِي دَلْمَانُوثَةَ. ١١ فَخَرَجَ
الْفَرِّيسِيُّونَ وَابْتَدَأُوا يُحَاوِرُونَهُ طَالِبِينَ مِنْهُ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ، لِكَيْ يُجَرِّبُوهُ. ١٢ فَتَنَهَّدَ
بِرُوحِهِ وَقَالَ:«لِمَاذَا يَطْلُبُ هذَا الْجِيلُ آيَةً؟ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَنْ يُعْطَى هذَا الْجِيلُ
آيَةً!»
١٣ ثُمَّ تَرَكَهُمْ وَدَخَلَ أَيْضًا السَّفِينَةَ وَمَضَى إِلَى الْعَبْرِ. ١٤ وَنَسُوا أَنْ يَأْخُذُوا خُبْزًا،
وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ فِي السَّفِينَةِ إِلاَّ رَغِيفٌ وَاحِدٌ. ١٥ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً: «انْظُرُوا!
وَتَحَرَّزُوا مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ وَخَمِيرِ هِيرُودُسَ» ١٦ فَفَكَّرُوا قَائِلِينَ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ: «لَيْسَ عِنْدَنَا خُبْزٌ». ١٧ فَعَلِمَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ أَنْ لَيْسَ
عِنْدَكُمْ خُبْزٌ؟ أَلاَ تَشْعُرُونَ بَعْدُ وَلاَ تَفْهَمُونَ؟ أَحَتَّى الآنَ قُلُوبُكُمْ غَلِيظَةٌ؟ ١٨ أَلَكُمْ أَعْيُنٌ
وَلاَ تُبْصِرُونَ، وَلَكُمْ آذَانٌ وَلاَ تَسْمَعُونَ، وَلاَ تَذْكُرُونَ؟ ١٩ حِينَ كَسَّرْتُ الأَرْغِفَةَ
الْخَمْسَةَ لِلْخَمْسَةِ الآلاَفِ، كَمْ قُفَّةً مَمْلُوَّةً كِسَرًا رَفَعْتُمْ؟» قَالُوا لَهُ:«اثْنَتَيْ عَشْرَةَ».
٢٠ «وَحِينَ السَّبْعَةِ لِلأَرْبَعَةِ الآلاَفِ، كَمْ سَلَّ كِسَرٍ مَمْلُوًّا رَفَعْتُمْ؟» قَالُوا:«سَبْعَةً».
٢١ فَقَالَ لَهُمْ:«كَيْفَ لاَ تَفْهَمُونَ؟» (مرقس ٨: ١٠-٢١، متى ١٥: ٣٩-١٦: ١٢).

كما حصل بعد الرواية الأولى لتكثر الخبزات، يدخل التلاميذ مع يسوع السفينة ليعبروا إلى الشاطئ الآخر من البحيرة (أنظر مرقس ٦: ٤٥...). هنا يأتون إلى نواحي دلمانوثة (الآية ١٠). بالنسبة لكلمة دلمانوثة، لدينا في المخطوطات عدد

كبير من الأسماء المختلفة: نواحي دلمانوثة، جبل دلمونة، جبل مجدّه، منطقة مجدّه، نواحي مجدّة، نواحي ملجدا، نواحي مجدلا. في الرواية المشابهة في متى، نقرأ "نواحي مجدان أو مجدل" (متى ١٥: ٣٩)، وفي النصّ الكنسي نقرأ "نواحي مجدلا".

في تلك الناحية التي لا نستطيع أن نحدّدها بالضبط، يلتقي يسوع مع الفريسيين الذين يطلبون أن يروا آية من السماء لكي يقتنعوا جهاراً أنه المسيّا (أنظر متى ١٢: ٣٨-٣٩، لوقا ١١: ١٦ و٢٩، ١٢: ٥٤-٥٦). "فيتنهد يسوع بروحه" لعدم إيمان أبناء جيله وقساوة قلوبهم، ويرفض أن يصنع لهم آية في الحال. أعماله كلّها مليئة بالآيات للذين عندهم أعين واهتمام. لهؤلاء فقط يعتلن يسوع كمسيّا. أمّا بالنسبة للذين لا يميّزون هذه الآيات ولا تجعلهم يعترفون بيسوع كمسيّا، فهو يرفض أن يصنع آيات بناء على طلبهم ويتحسّر ألماً وحزناً من أجلهم.

لم يستطع الفرّيسيون ولا حتى تلاميذه أن يفهموه. يشدّد إنجيل مرقس مرّات عديدة وبطريقة مميّزة على عدم فهم التلاميذ له. يبدأ الحديث عندما يلاحظ التلاميذ، وهم يعبرون البحيرة، أن لديهم رغيفاً واحداً، ربّمابسبب سرعة رحيلهم. فيأتي يسوع ويلفت انتباههم "إلى خمير الفرّيسيين وخمير هيرودس"، ثم يوبّخهم على عدم إيمانهم، الأمر الذي لا يُبرّر بعد عجيبتين لتكثير الخبز.

"خمير الفريسيين"، الذي يجب على التلاميذ أن يحترزوا منه، هو الإيمان القائم على صنع الآيات، هو الالتصاق الحرفي بالناموس وبتقليد الفرّيسيين، هذه الأمور التي تشكل عائقاً ليسوع كمسيا (أنظر متى ١٦: ١٢ "حينئذ فهموا أنه لم يقل أن يتحرّزوا من خمر الخبز بل من تعليم الفريسيين والصدوقيين"؛ ولوقا ١٢: ١ "تحرّزوا لأنفسكم من خمير الفرّيسيين الذي هو الرياء"). "الخمير" في لغة اليهود الرمزية هو الأساس أو الدافع لأي تعليم، وهو أيضاً الميل الرديء عند الإنسان. أمّا العبارة "خمير هيرودس" التي ترد فقط عند مرقس (أو "خمير الهيرودسيين" حسب مخطوطات أخرى) فهي تشير إلى القوّة أو السلطة السياسية. وحسب بعض المفسرين، تعنى ملاحظة يسوع صيانة التلاميذ أنفسهم من سياسة الفريسيين حول مفهوم المسيا.

علم يسوع بأفكارهم وبقلقهم لأنه لم يكن لديهم خبز. فأشار إلى العجائب السابقة حول تكثير الخبزات، وأخذ يوبّخ تلاميذه بطريقة ما لأنهم لم يتعرفوا بعد على معلّمهم ("ألا تشعرون بعد؟"). إن الاستشهاد الوارد في الآية ١٨ مأخوذ من أشعيا ٦: ٩، وهو يذكّر من جهة أخرى بمقطع ارميا ٥: ٢١ وحزقيال ١٢: ٢. يُستخدم هذا الاستشهاد أيضاً في مرقس (٤: ١٠-١٢) مشيراً إلى الذين لا يستطيعون أن يفهموا الأمثال، الذين هم خارج حلقة التلاميذ.

شفاء الأعمى في بيت صيدا:

٢٢ وَجَاءَ إِلَى بَيْتِ صَيْدَا، فَقَدَّمُوا إِلَيْهِ أَعْمَى وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَلْمِسَهُ، ٢٣ فَأَخَذَ بِيَدِ الأَعْمَى وَأَخْرَجَهُ إِلَى خَارِجِ الْقَرْيَةِ، وَتَفَلَ فِي عَيْنَيْهِ، وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ وَسَأَلَهُ: هَلْ أَبْصَرَ شَيْئًا؟ ٢٤ فَتَطَلَّعَ وَقَالَ:«أُبْصِرُ النَّاسَ كَأَشْجَارٍ يَمْشُونَ». ٢٥ ثُمَّ وَضَعَ يَدَيْهِ أَيْضًا عَلَى عَيْنَيْهِ، وَجَعَلَهُ يَتَطَلَّعُ. فَعَادَ صَحِيحًا وَأَبْصَرَ كُلَّ إِنْسَانٍ جَلِيًّا. ٢٦ فَأَرْسَلَهُ إِلَى بَيْتِهِ قَائِلاً:«لاَ تَدْخُلِ الْقَرْيَةَ، وَلاَ تَقُلْ لأَحَدٍ فِي الْقَرْيَةِ». (مرقس ٨: ٢٢-٢٦).

شفاء العميان في الأناجيل هو إحدى العلامات الكبيرة للزمن المسياني. وهو يأتي من جهة أخرى كدينونة ظاهرة تتولّد في وسط العالم من خلال كرازة المسيا وعمله: في حين أن الذين لهم أعين لا ينظرون والذين لهم آذان لا يسمعون، يحصل العميان على النور والصمّ على السمع (أنظر يوحنا ٩: ٣٩ "الدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون").

تتم عملية شفاء الأعمى بطريقة مشابهة للتي حصل فيها الأصمّ الأعقد على الشفاء (أخذ يسوع خارج القرية وتفل ووضع يده). هنا تتم العجيبة على مرحلتين: في المرحلة الأولى لا يرى الأعمى بوضوح، وفي الثانية يحصل على الرؤية الكاملة، "كل إنسان جلياً". يربط البعض شفاء الأعمى التدريجي بإيمانه، ويفهم البعض الآخر مثل المفسّر (Lagrange) هذا التدرّج كرمز لنموّ التلاميذ التدريجي في إدراك المسيح. نقع على مثل هذه الحوادث الشفائية التدريجية في العالم القديم. لكن عجائب يسوع لا تتم بغية إظهار القدرة الإلهية، بل هي علامات الأزمان المسيانية، نقطة إنطلاق الزمن الأخروي الاستختولوجي الجديد حتى تتحقق نبوءة أشعياء (٢٩: ١٨، ٣٥: ٥، ٦١: ١) "الصمّ يسمعون والعميان يبصرون..." (انظر متى ١١: ١٥، لوقا ٤: ١٨). فضلاً عن ذلك، وبعكس عجائب العالم القديم، لا يكرز يسوع بعجائبه علانية بل يطلب من الذين شفاهم أن يحفظوا الخبر سراً (أنظر الآية ٢٦: "ولا تقل لأحد في القرية").

هـ - إعلان آلام المسيا للتلاميذ
٨: ٢٧ - ١٠: ٥٢

هناك ترابط كبير في المقطع (مرقس ٨: ٢٧ - ١٠: ٥٢) الذي يشكّل وحدة متكاملة. تحتوي هذه الوحدة على حوادث وتعاليم ليسوع تهيّئ التلاميذ للآلام. ثلاث نبوءات تشكل علامات رئيسية لهذه الوحدة (٨: ٣١، ٩: ٣١، ١٠: ٣٢-٣٤). من جهة أخرى، في كل هذه الروايات يظهر يسوع في الطريق من شمال الجليل إلى الجليل (٩: ٣١)، إلى منطقة عبر الأردن (١٠: ١)، ومن هناك إلى أورشليم (١٠: ٣٢). ولا تُعطى العجائب مركزاً مهمّاً في هذه المرحلة، بل يبرز تعليم يسوع وتهيئة التلاميذ للآلام.

اعتراف بطرس والتنبؤ الأوّل عن الآلام:

"٢٧ ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وَتَلاَمِيذُهُ إِلَى قُرَى قَيْصَرِيَّةِ فِيلُبُّسَ. وَفِي الطَّرِيقِ سَأَلَ تَلاَمِيذَهُ قِائِلاً لَهُمْ: «مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا؟» ٢٨ فَأَجَابُوا:«يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ. وَآخَرُونَ: إِيلِيَّا. وَآخَرُونَ: وَاحِدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ». ٢٩ فَقَالَ لَهُمْ:«وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ:«أَنْتَ الْمَسِيحُ!» ٣٠ فَانْتَهَرَهُمْ كَيْ لاَ يَقُولُوا لأَحَدٍ عَنْهُ. ٣١ وَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا، وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ. ٣٢ وَقَالَ الْقَوْلَ عَلاَنِيَةً. فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ. ٣٣ فَالْتَفَتَ وَأَبْصَرَ تَلاَمِيذَهُ، فَانْتَهَرَ بُطْرُسَ قَائِلاً: «اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا ِللهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ»." (مرقس ٨: ٢٧-٣٣، متى ١٦: ١٣-٢٣، لوقا ٩: ١٨-٢٢).

صدق المفسّرون المعاصرون في تركيزهم على هذا المقطع وفي إعطائهم له مركزاً وأهمية خاصة في إنجيل مرقس: حتى الآن كان الشياطين يعترفون بصفة يسوع المسيانية ويُكرز بها من قبل الآب، ولكنها المرة الأولى التي يأتي فيها هذا الاعتراف على فم أحد التلاميذ، ويصحّحه يسوع عندما يتكلم، ليس عن المسيا، بل عن ابن الإنسان المتألم. إنَّ سؤال يسوع: "من يقول الناس إني أنا" (الآية ٢٧) هو الذي دفع إلى اعتراف بطرس.

تشبه أجوبة التلاميذ عن هذا السؤال آراء الناس حول يسوع المُعبَّر عنها في مرقس ٦: ١٤-١٦. أمّا بطرس، وباسم التلاميذ كلّهم، فيعترف بيسوع كمسيا "أنت هو المسيح" ("ابن الله" حسب المخطوطة السينائية). من المُميّز أن يسوع، بعد اعتراف بطرس، يتوجّه إلى التلاميذ ("وينتهرهم كي لا يقولوا لأحد عنه") ويتنبأ عن آلامه كابن الإنسان. هكذا يستمرّ يسوع في المحافظة على سرّ مسيانيته، وفي الوقت ذاته يعلن للتلاميذ عن "سرّ آلامه" (حسب تعبير المفسّر ألبرت شيفتزر) أو عن "سرّ الصليب" (حسب المفسِّر ثيوفيلكتوس). ليس هو المسيا السياسي المجيد كما ينتظره اليهود وكذلك تلاميذه (كما يتضح من الرواية ١٠: ٣٥...) بل هو ابن

الإنسان المتألم. إن فكرة المسيا المتألم المجهولة في اليهودية لا يمكم أن يدركها التلاميذ. ولذلك يحاول بطرس أن يُبعد يسوع عن الآلام (أنظر متى ١٦: ٢٢ "حاشاك يا ربّ، لا يكون لك هذا"). هذه المحاولة من قِبَل بطرس يصفها يسوع كعمل شيطاني أو كأنها صادرة عن فكر البشر لا عن فكر الله. وفي الواقع يعيد اقتراح بطرس هذا إلى أذهاننا اقتراح الشيطان عند تجربة يسوع (متى ٤: ١-١١، لوقا ٤: ١-١٣) بأن يتبع الطريق السهل ويفرض ننفسه على الشعب كمسيا سياسي مقتدر من دون آلام.

المهمّ أن نلاحظ كيف يشعر بنفسه ويصحّح تعبير تلاميذه المسياني: فبينما يعترف بطرس أنه المسيح يستخدم يسوع لنفسه عبارة ابن الإنسان، وبينما يحاول بطرس أن يبعده عن الآلام يذهب يسوع يسوع إلى التنبؤ الأول عن آلامه وقيامته. يتنبأ عن آلامه حسب ثيوفيلكتوس "لكي لا يُعتقد أنه تألم عن ضعف".

إن الرواية المشابهة عند متى (١٦: ١٣" ٢٣) أوسع. يذكر فيها قول يسوع عن الكنيسة ("أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها...."). وترد رواية مشابهة في اعتراف بطرس في إنجيل يوحنا (٦: ٦٦-٧١).

حدثت المناقشة السابقة "في قرى قيصرية فيلبس"، ومدينة قيصرية قائمة بالقرب من ينابيع الأردن، وكانت تسمى قديماً بانياس (Paneas) نسبة إلى إحدى المغاور المجاورة المخصّصة للإله بانا (Pana) (من هنا المدينة الحالية بانياس). في عهد فيلبس رئيس الربع أخي هيرودس انتباس، حوّل اسمها إلى قيصرية إكراماً لتيباريوس قيصر وجعلها مركزاً له. بعدها جاء الملك أغريبا ودعاها نيرونياذا إكراماً لنيرون، لكن هذه التسمية لم تدم. يذكر المؤرخ افسافيوس تقليداً يقول إن الإمرأة النازفة الدم تنحدر من قيصرية فيلبس (أنظر مرقس ٥: ٢٥... وكتاب التاريخ الكنسي لإفسافيوس ٧: ١٨). وحسب التقليد المحلّي، أوّل أسقف لهذه المدينة هو إراستس الوارد اسمه في رومية ١٦: ٢٣.

صليب التلاميذ رمز لآلام المسيح:

" ٣٤ وَدَعَا الْجَمْعَ مَعَ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ لَهُمْ:«مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ
نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي. ٣٥ فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ
نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا. ٣٦ لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ
الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ ٣٧ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟ ٣٨ لأَنَّ مَنِ

اسْتَحَى بِي وَبِكَلاَمِي فِي هذَا الْجِيلِ الْفَاسِقِ الْخَاطِئِ، فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَسْتَحِي بِهِ مَتَى جَاءَ بِمَجْدِ أَبِيهِ مَعَ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ».
١ وَقَالَ لَهُمْ:«الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ ههُنَا قَوْمًا لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا مَلَكُوتَ اللهِ قَدْ أَتَى بِقُوَّةٍ»." (مرقس ٨: ٣٤-٩: ١، متى ١٦: ٢٤-٢٨، لوقا ٩: ٢٣-٢٧).

عن هذه النقطة أي مباشرة بعد التنبؤ الأول عن الآلام، حفظ الإنجيليون الثلاثة سلسلة من الأقوال ترتبط ارتباطاً وثيقاً فيما بينها من ناحية المعنى وتتعلق بموضوع: الشروط، أهمية "إتّباع" يسوع ونتائجه. تتوجّه هذه الأقوال إلى "التلاميذ" حسب متى، وإلى "الجمع مع التلاميذ" حسب مرقس، وإلى "الجميع" حسب لوقا. وفي كل الأحوال السامعون هم نفسهم لأن كلمة "تلاميذ" لا تعني حصراً الاثني عشر فقط بل كل أتباع يسوع.

إن شرط "إتّباع" يسوع حسب الآية ٣٤ هو إنكار النفس وحمل الصليب على الكتفين. إنكار النفس يعني التخلّي عن حقوق الإنسان القانونية العادلة، إماتة الرغبة الطبيعية للأنا من أجل الحياة والمظاهر التي فيها. إنكار النفس يعني ألاّ يبقى الإنسان منتمياً إلى نفسه، أن ينكر الضمانة الشخصية التي يطلبها دائماً بغريزته في الحياة وأن يتبع يسوع في طريق الصليب والآلام. لا تضيف العبارة التالية "أن يحمل صليبه..." شرطاً جديداً، وكذلك العبارة التي تليها "ويتبعني". إنها تشرح وتحدِّد العبارة الأولى لأن حرف العطف هنا "و" الذي يربط بين العبارات الثلاث هو للتفسير. إن كان هذا الصليب ينتظر يسوع فلا يمكن أن ينتظر التلاميذ نصيبٌ آخر، هؤلاء الذين يريدون أن يتبعوه. التلميذ الأمين يتبع معلّمه ويتشبّه به ليس شخصي وبقرار حرّ من قبل التلميذ، ولا يُفرض عنوة في أي حال من الأحوال ("من أراد..."). هذا القرار الحرّ والكامن في عبارة "من أراد" يستدعي المسؤولية الشخصية واعتبار النتائج الجدّية المتأتية منه.

في عبارة لوقا ٩: ٢٣ ("ويحمل صليبه كل يوم")، لا يشدّد الإنجيلي فقط على حمل الصليب من قبل المسيحي وما يتضمن ذلك من شهادة بقدر ما يشدّد على الظروف الكثيرة المتنوّعة في حياتنا اليومية والتي علينا أن نحمل فيها صليب الأحزان الشدائد (أنظر أعمال ١٤: ٢٢ "بضيقات كثيرة ينبغي أن تدخل ملكوت الله").

هذه الأقوال إضافة إلى الأقوال التي تتبعها تفترض ظروف اضطهادات للكنيسة أو بالأحرى تحمل تطلّعاً من يسوع إلى مثل هذه الاضطهادات وإلى الخطر المرافق لها من أن يخاف الإنسان من الموت المحدق به ويسعى إلى إنقاذ حياته. فإن الرب في الكلام التالي الوارد في الآية ٣٥ يشدّد على أن الذي يخاف من الموت محاولاً أن يخلص نفسه سوف يخسرها أبدياً. إن كلمة "نفس" المستعملة هنا

تحمل معنى الحياة كما ترد في الكتاب المقدّس وليس المعنى الفلسفي العنصري اللامادي الموجود في الإنسان. بهذا المعنى تُستعمل كلمة "نفس" في كل العهد الجديد. إن إنقاذ الحياة والحفاظ عليها في هذا العالم يشكل اهتماماً طبيعياً للإنسان. لكن الحياة، الحياة الحقّة، نربحها بإهلاك الحياة البيولوجية الفاسدة عن طريق الصليب أي عن طريق الآلام، وهذا يناقض منطق عالمنا الحاضر. العبارة "من أجلي ومن أجل الإنجيل" تدّل على سبب التضحية بحياتنا، هذه التضحية التي تتم طاعة للمسيح ومن أجل نشر كلمة الإنجيل. القول الوارد في الآية ٣٤ يرد بشكل آخر عند متى ١٠: ٣٨ (أنظر أيضاً لوقا ١٤: ٢٧)، والقول الوارد في الآية ٣٥ عند متى ١٠: ٣٩ (أنظر أيضاً لوقا ١٧: ٣٣).

الآيتان ٣٦-٣٧: إن الحياة التي يتكلّم عنها في الآية السابقة ثمينة إلى حدّ أن العالم كله (أي خليقة الله المنظورة) لا يساويها، لأنه ما ينتفع الإنسان لو ربح العالم كلّه و"خسر نفسه" أي خسر الحياة الأبدية التي لا يوجد "بديل" عنها لأنها هبة من الله لا تُستبدل أو تعوّض بأي شيء آخر. إن الظروف الاضطهادية للكنيسة في العالم التي كان يسوع يتطلّع إليها تتضمّن إنكار الإيمان من قبل بعض المسيحيين من أجل الحفاظ على حياتهم الأرضية. لذلك عن طريق التنبيه في الآية ٣٨ بأقوال قاسية يقول: كل من استحى بالمسيح وبأقواله في هذا الجيل "الفاسق" والخاطئ، أي كل من أنكر إيمانه، يجب أن لا ينتظر عطف ابن البشر في ساعة الدينونة، لأن هذا الأخير سوف لا يعترف به على أنه من خاصّته. يوصف هذا الجيل الحاضر "بالفاسق" حسب تعبير أنبياء العهد القديم الذين اعتبروه هكذا لأنه فسخ زواجه مع الله (أنظر على سبيل المثال هوشع ٢: ٤...، أشعيا ٥٧: ٣...، حزقيال ١٦: ٣٢...). في هذه الآية نشتّم دينونة البشر العامة من قبل الإنسان دون أن تظهر بصورة جليّة (بينما على العكس في متى ١٦: ٢٧ "فإنَّ ابن الإنسان سوف يجازي كل واحد حسب عمله"). وما يُقال هنا بصورة أوضح هو أن القاضي سوف يخجل من الاعتراف بأولئك التلاميذ الذين أنكروه أمام الناس على أنهم أخصّاء له.

إنّ الاعتراف بالإيمان، إنْ اقتضت الظروف ذلك، يتضمّن خطر خسران الحياة الأرضية لكنه يشكل بالنسبة للمسيحي عنصراً أساسياً. فالتلميذ الذي لم يختبر الصليب والآلام لا يكون جديراً بمعلّمه (و"من لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني"؛ متى ١٠: ٣٨)، ولا يمكن بالتالي أن يرجو الانتماء إلى شركة مختاريه في ساعة الدينونة.

كلام الآية ٩: ١ يشير إلى مجيء ملكوت الله بقوّة (أي ابن البشر حسب الآية المشابهة في متّى ١٦: ٢٨)، وقد أُعطي تفاسير مختلفة. يقول بعض المفسّرين الحديثين أن يسوع يعبّر بعبارته هذه عن قناعته بمجيء نهاية العالم. يشدّد البعض الآخر على كلمة "قوماً"، ويقولون أنها تفترض وقتاً طويلاً قبل مجيء الملكوت،

حين يُمسي أكثرية الأحياء أمواتاً، لكن البعض ("قوماً منهم") سوف يكونون أحياء بعد. أمّا أتباع ما يدعى "بالأخروية المحققة" فيفسّرون الآية كما يلي: يعترف بعض الحاضرين أن ملكوت الله قد أتى في العالم وتحقق بيسوع المسيح. إن غموض مثل هذه التفاسير الحديثة يمكن أن يستنير بتفسير الآباء القديسين لهذا المقطع:

يربط آباء الكنيسة هذه الآية والنبوءة التي فيها إمّا بالحدث الذي يلي وهو تجلّي يسوع أمام ثلاثة من تلاميذه، إمّا بالقيامة والصعود، إمّا بنزول الروح في العنصرة وإمّا بخراب أورشليم. على كل حال يربطون الآية بشكل وثيق بمجيء ملكوت الله بقوّة إلى الكنيسة، طبعاً ليس بمعنى التوحيد الكامل بين الحقيقتين (السماوية والأرضية) بل بمعنى أنه في الكنيسة التي يؤسسها يسوع على الأرض يتذوّق المؤمن منذ اليوم خيرات ملكوت الله الآتي. أما عن العبارة "بقوّة" فيقولون أنها تشير إلى إعلانات الروح القدس.

الخلاصة:

يمكن للآية ٩: ١ أن ترتبط بما سبق كما يلي: حمل الصليب من قبل المؤمن ونكران الذات، والقدرة على الاعتراف بإيمانه، والجهاد من أحل الحصول على الحياة الأبدية، كل ذلك يضحي ممكناً عن طريق الحياة داخل الكنيسة. أمّا الذي يعيش خارج نعمة الله فإنه لا يستطيع تصور حمل الصليب في الواقع ويبدو له نكران الذات مخالفاً لطبيعة الإنسان الذي يسعى للحفاظ على كيانه بكل قواه.

المعاني اللاهوتية الرئيسية في المقطع:

١.

المسيحية ديانة الحريّة بلا منازع: لا يُفرض على الإنسان أن يتبع يسوع بل يُدعى فقط إلى ذلك. من هنا فإن قراره أيّاً كان سلباً أم إيجاباً، يرافقه الشعور بالمسؤولية.

٢.

من يتبع يسوع يفعل ذلك بروح التضحية وإنكار الذات (حمل الصليب، الاعتراف بالإيمان وسط جيل غير مؤمن إلخ.). فإن كانت الآلام طريق يسوع، فلا يمكن أن يوجد طريق آخر لتلاميذه وأتباعه.

٣.

الحياة الأبدية التي يهبها الله للإنسان بواسطة النعمة لا يقابلها شيء في العالم المادي. ولا يجب أن يقوم الإنسان بأية محاولة قد تعرّضه لخطر خسرانها مقابل أي شيء عالمي مهما كان مهمّاً وجذّاباً.

٤.

ملكوت الله الذي يتذوقه المؤمن داخل الكنيسة يتّصف "بالقوة" و"المجد". يشعر الإنسان بالحياء فقط عندما يلبس حلّة "هذا الجيل الخاطئ"، بينما يكتسب ضمانة وقوّة للاعتراف بإيمانه عندما يوجد داخل الكنيسة، ويتكامل على الطريق التي رسمها له رئيسها.

الإصحاح التاسع

تجلي يسوع:

٢ وَبَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ أَخَذَ يَسُوعُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَصَعِدَ بِهِمْ إِلَى جَبَل
عَال مُنْفَرِدِينَ وَحْدَهُمْ. وَتَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ، ٣ وَصَارَتْ ثِيَابُهُ تَلْمَعُ بَيْضَاءَ جِدًّا
كَالثَّلْجِ، لاَ يَقْدِرُ قَصَّارٌ عَلَى الأَرْضِ أَنْ يُبَيِّضَ مِثْلَ ذلِكَ. ٤ وَظَهَرَ لَهُمْ إِيلِيَّا مَعَ
مُوسَى، وَكَانَا يَتَكَلَّمَانِ مَعَ يَسُوعَ. ٥ فَجَعَلَ بُطْرُسُ يَقولُ لِيَسُوعَ:«يَا سَيِّدِي، جَيِّدٌ أَنْ
نَكُونَ ههُنَا. فَلْنَصْنَعْ ثَلاَثَ مَظَالَّ: لَكَ وَاحِدَةً، وَلِمُوسَى وَاحِدَةً، وَلإِيلِيَّا وَاحِدَةً». ٦
لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ إِذْ كَانُوا مُرْتَعِبِينَ. ٧ وَكَانَتْ سَحَابَةٌ تُظَلِّلُهُمْ. فَجَاءَ
صَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً:«هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ. لَهُ اسْمَعُوا». ٨ فَنَظَرُوا حَوْلَهُمْ
بَغْتَةً وَلَمْ يَرَوْا أَحَدًا غَيْرَ يَسُوعَ وَحْدَهُ مَعَهُمْ. (مرقس٩: ٢-٨، متى ١٧: ١-٨، لوقا
٩: ٢٨-٣٦).

حصلت حادثة التجلّي "بعد ستة أيام" (الآية ٢). أي بعد مرور ستة أيام على اعتراف بطرس، وقد رمى بها يسوع إلى تحضير التلاميذ لتقبل الآلام المزمعة "لكي يفطنوا أن آلامك طوعاً باختيارك، ويكرزوا للعالم أنك أنت بالحقيقة شعاع الآب" (حسب قنداق العيد).

تحصل حادثة التجلي أمام ثلاثة من تلاميذه، بطرس ويعقوب ويوحنا، على "جبل عالٍ" ("جداً" حسب المخطوطة السينائية والترجمات اللاتينية القديمة)، يعتبر التقليد الكنسي أنه جبل ثابور (بينما يفضل المفسّرون الأجانب حرمون لأنه أقرب إلى قيصرية فيلبس).

في الآية ٣ يصوّر الإنجيلي التجلّي بطريقة مختصرة ولافتة للنظر، فيقول "صارت ثيابه تلمع بيضاء" ("كالثلج" حسب النص الكنسي للمخطوطة D والترجمات اللاتينية والسريانية)، وبيضاء جداً حتى "لا يقدر قصّار على الأرض أن يبيّض مثل ذلك". نور ساطع يلف يسوع لا تعرفه خبرة التلاميذ. للحظة، كما يفسّر شميد (J. Schmid)، "يغزو العالم السماوي حياة يسوع الأرضية".

إن ظهور موسى وإيليا (كممثلين للناموس والأنبياء) وهما يتكلمان مع يسوع (الآية ٤) يعني أن العهد القديم بأكمله يقود إلى المسيح ويتنبأ عن الآلام (أنظر لوقا ٩: ٣١ حيث قال أنهما "كانا يتكلمان عن خروجه الذي كان عتيداً أن يكمّله في أورشليم").

حسب التوقعات اليهودية كانوا ينتظرون ظهور إيليا في الأزمنة المسيانية (ملاخي ٣: ٢٢-٢٣). وهناك تقليد ربّاني مشابه يختص بموسى.

إذ كان التلاميذ "معاينين لتلك العظمة" (٢ بطرس ١: ١٦) اعتراهم الخوف فأخذ واحد منهم وهو بطرس يرغب في التخلّي عن مجد المظلّة العظيمة فاقترح على المعلم أن يجعلوا ثلاث مظال يمكثون فيها (الآيتان ٥-٦). وكان الجواب أن ظلّلتهم سحابة وسُمع صوت خارج منها. والسحابة كما نعلم في العهد القديم ترافق ظهور الله دالة على حضوره وفي الوقت نفسه حاجبة رؤياه (خروج ١٦: ١٠، ١٩: ٩، ٢٤: ١٥ التجلي، عدد ١١: ٢٥ العنصرة وغيرها). الصوت من السحابة هو صوت الله الآب "هذا هو ابني الحبيب، له اسمعو" (الآية ٧). هذا يذكّرنا بصوت الله الذي سُمع عند معمودية يسوع (مرقس ١: ١١ أنظر أيضاً مزمور ٢: ٦-٧، ٢ بطرس ١: ١٧، أشعيا ٤٢: ١)، فها إن الله الآب للمرة الثانية يدعو يسوع "ابناً حبيباً". لو أخذنا بعين الاعتبار عبارة المزمور ٢ "أنا أقمت منه ملكاً على صهيون... الرب قال لي أنتَ ابني وأنا اليوم ولدتك. سَلْني فأعطيك الأمم ميراثاً لك. وأملّكك جميع أقاصي الأرض"، وهي العبارة المستعملة عند تنصيب الملك، لأمكننا القول أن يسوع يُنصَّب هنا كمسيّا. ليس كملك ارضي بل كمسيّا بالمعنى الذي نجده في الجواب المُعطى في الآية ٨: ٣١... ("وابتدأ يعلّمهم أن ابن الإنسان ينبغي أن يتألم كثيراً")، وفي اعتراف بطرس: المسيّا الذي عرشه سوف يكون الصليب ومجده الآلام والقيامة.

إن تجلّي المسيح والنور المرافق أخذا في ما بعد أهمية خاصة في الكنيسة الأرثوذكسية ولاهوتها.

تجلي يسوع:

٩ وَفِيمَا هُمْ نَازِلُونَ مِنَ الْجَبَلِ، أَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يُحَدِّثُوا أَحَدًا بِمَا أَبْصَرُوا، إِلاَّ
مَتَى قَامَ ابْنُ الإِنْسَانِ مِنَ الأَمْوَاتِ. ١٠ فَحَفِظُوا الْكَلِمَةَ لأَنْفُسِهِمْ يَتَسَاءَلُونَ:«مَا هُوَ
الْقِيَامُ مِنَ الأَمْوَاتِ؟» ١١ فَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ:«لِمَاذَا يَقُولُ الْكَتَبَةُ: إِنَّ إِيلِيَّا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ
أَوَّلاً؟» ١٢ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ:«إِنَّ إِيلِيَّا يَأْتِي أَوَّلاً وَيَرُدُّ كُلَّ شَيْءٍ. وَكَيْفَ هُوَ مَكْتُوبٌ
عَنِ ابْنِ الإِنْسَانِ أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا وَيُرْذَلَ. ١٣ لكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ إِيلِيَّا أَيْضًا قَدْ أَتَى،
وَعَمِلُوا بِهِ كُلَّ مَا أَرَادُوا، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنْهُ». (مرقس٩: ٩-١٣، متى ١٧: ٩-١٣).

عند نزولهم من الجبل، يمنع يسوع تلاميذه من أن ينشروا الحدث. وإلى طريقة يسوع التربوية المعروفة حتى الآن من خلال روايات أخرى أيضاً (أنظر سرّية المسيّا) يضاف الآن عنصر جديد: هذا التحفظ في نشر الأحداث الذي يدوم حتى قيامة ابن البشر من بين الأموات. بعدها يمكن للتلاميذ أن يتكلّموا عنه بحرّية. إن الكلام عن القيامة يحيّر التلاميذ الذين يتساءلون "ما معنى القيام من الأموات؟"، ولا يستطيعون أن يفهوم آلام ابن الإنسان (الآية ١٢ ب). ثم يسألون يسوع عن إيليا المنتظر من قبل اليهود. فيجيبهم أن إيليا قد أتى بشخص يوحنا المعمدان (أنظر أيضاً متى ١٧: ١٣) وحصل الاستقبال المعروف عنه. العبارة "كيف هو مكتوب عنه" (الآية ١٣) غير واضحة لأن العهد القديم لايذكر شيئاً عن آلام إيليا المنتظر، هذا في حال لا يقصدُ يسوع (أو الإنجيلي) من كلامه آلام إيليا في عصره (٣ ملوك ١٩: ٢-١٠).

يوافق بعض المفسرين على أن إيليا قد جاء في شخص يوحنا المعمدان، دون أن يقبلوا بمجيئه عند ظهوره في حادثة التجلّي (مرقس ٩: ٢-٨)، قائلين إنه يشير في الآية ١٣ إلى ظرف آخر (أنظر متى ١١: ١٤ "إن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي").

شفاء الصبي المصاب بالصرع:

١٤ وَلَمَّا جَاءَ إِلَى التَّلاَمِيذِ رَأَى جَمْعًا كَثِيرًا حَوْلَهُمْ وَكَتَبَةً يُحَاوِرُونَهُمْ. ١٥
وَلِلْوَقْتِ كُلُّ الْجَمْعِ لَمَّا رَأَوْهُ تَحَيَّرُوا، وَرَكَضُوا وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ. ١٦ فَسَأَلَ
الْكَتَبَةَ:«بِمَاذَا تُحَاوِرُونَهُمْ؟» ١٧ فَأَجَابَ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمْعِ وَقَالَ :«يَا مُعَلِّمُ، قَدْ قَدَّمْتُ
إِلَيْكَ ابْنِي بِهِ رُوحٌ أَخْرَسُ، ١٨ وَحَيْثُمَا أَدْرَكَهُ يُمَزِّقْهُ فَيُزْبِدُ وَيَصِرُّ بِأَسْنَانِهِ وَيَيْبَسُ.
فَقُلْتُ لِتَلاَمِيذِكَ أَنْ يُخْرِجُوهُ فَلَمْ يَقْدِرُوا». ١٩ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ:«أَيُّهَا الْجِيلُ غَيْرُ
الْمُؤْمِنِ، إِلَى مَتَى أَكُونُ مَعَكُمْ؟ إِلَى مَتَى أَحْتَمِلُكُمْ؟ قَدِّمُوهُ إِلَيَّ!». ٢٠ فَقَدَّمُوهُ إِلَيْهِ.
فَلَمَّا رَآهُ لِلْوَقْتِ صَرَعَهُ الرُّوحُ، فَوَقَعَ عَلَى الأَرْضِ يَتَمَرَّغُ وَيُزْبِدُ. ٢١ فَسَأَلَ أَبَاهُ:«كَمْ

مِنَ الزَّمَانِ مُنْذُ أَصَابَهُ هذَا؟» فَقَالَ: «مُنْذُ صِبَاهُ. ٢٢ وَكَثِيرًا مَا أَلْقَاهُ فِي النَّارِ وَفِي
الْمَاءِ لِيُهْلِكَهُ. لكِنْ إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ شَيْئًا فَتَحَنَّنْ عَلَيْنَا وَأَعِنَّا». ٢٣ فَقَالَ لَهُ
يَسُوعُ:«إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُؤْمِنَ. كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ». ٢٤ فَلِلْوَقْتِ صَرَخَ
أَبُو الْوَلَدِ بِدُمُوعٍ وَقَالَ:«أُومِنُ يَا سَيِّدُ، فَأَعِنْ عَدَمَ إِيمَانِي». ٢٥ فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أَنَّ
الْجَمْعَ يَتَرَاكَضُونَ، انْتَهَرَ الرُّوحَ النَّجِسَ قَائِلاً لَهُ:«أَيُّهَا الرُّوحُ الأَخْرَسُ الأَصَمُّ، أَنَا
آمُرُكَ: اخْرُجْ مِنْهُ وَلاَ تَدْخُلْهُ أَيْضًا!» ٢٦ فَصَرَخَ وَصَرَعَهُ شَدِيدًا وَخَرَجَ. فَصَارَ
كَمَيْتٍ، حَتَّى قَالَ كَثِيرُونَ: «إِنَّهُ مَاتَ!». ٢٧ فَأَمْسَكَهُ يَسُوعُ بِيَدِهِ وَأَقَامَهُ، فَقَامَ. ٢٨
وَلَمَّا دَخَلَ بَيْتًا سَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ عَلَى انْفِرَادٍ:«لِمَاذَا لَمْ نَقْدِرْ نَحْنُ أَنْ نُخْرِجَهُ؟» ٢٩ فَقَالَ
لَهُمْ:«هذَا الْجِنْسُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَخْرُجَ بِشَيْءٍ إِلاَّ بِالصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ». (مرقس٩: ١٤-
٢٩، متى ١٧: ١٤-٢٠، لوقا٩: ٣٧-٤٣).

ينزل يسوع إلى الشعب بوجه لامع فيندهش الجمع عند رؤيته. هذا يذكّرنا بصورة أخرى من العهد القديم حين ينزل موسى من جبل سيناء: "فإذا أديم وجهه مشعٌّ فخافوا أن يدنوا منه" (خروج ٣٤: ٣٠). ويمكننا أن نقيم المقارنة التالية: كما أن يسوع حرّر شعب الله من عبودية مصر، كذلك يسوع يحرّر الإنسان من عبوديته للشيطان "منذ صباه". هذا ما يؤكد عليه الإنجيل في أماكن عدّة وخاصة في هذه الرواية التي تلي مباشرة حادثة التجلي، وهي رواية شفاء الشاب المصاب بالصرع.

ينزل يسوع من جبل التجلّي ليقابل تعاسة الناس الواقعين تحت عبودية الشيطان. يتقدم الكتبة والجمع والتلاميذ إلى يسوع بهذا الانحطاط النفسي. وتشكل رواية الشاب المصاب بالصرع مع الرواية السابقة للتجلّي تضاداً مأساوياً، فهنالك مجد المسيح المتجلّي مقابل تعاسة البشر مع عدم إيمانهم وسكنى الشياطين فيهم. ويُدخل الإنجيلي مرقس في الآية ١٤، أي فيما بين هاتين الصورتين المتناقضتين، تفصيلاً بارزاً: أن التلاميذ التسعة الباقين يتحاورون مع الكتبة. لا يستطيع رؤساء اليهود الدينيون أن يتبعوا يسوع في مجده ولا أن يلبّوا ويشفوا عاهات العالم الملحّة وتعاسته، فيلتجئون إلى مناقشات نظريّة مع التلاميذ قد تكون حول عدم إمكان التلاميذ أن يشفوا المريض.

"واحد من الجمع" يسرع لكي يقدّم له ابنه المريض، ويخبره بألمٍ أنَّ مثل هذه المبادرة مع تلاميذه لم تجدِ نفعاً لأن تلاميذه لم يستطيعوا أن يخرجوا "الروح الأخرس" الذي كان في ابنه المريض (الآيتان ١٧-١٨) . ويصف الأب أعراض المرض الرهيب. وتشير هذه الأعراض إلى مرض الصرع **Épilepsie** (الذي يوصف عند متى بأنه مرض الصرع بالهلّة عندما يهلّ القمر).

يعبّر يسوع عن سخطه أمام الجيل غير المؤمن الذي يراه أمامه ويشمل بعبارته هذه الأبَ الضعيف الإيمان والتلاميذ الذين لم يستطيعون أن يشفوا المريض

والكتبة المستفيدين من مثل هذا الفشل. وكذلك الجمع الذي ينجذب بسهولة وراءهم (الآية ١٩). يعيد هذا السخط إلى أذهاننا تألم أنبياء العهد القديم لرسالتهم وسط شعب فاسد غير ثابت. لا يصرّ يسوع على تفجير غضبه، بل يبادر إلى إعانة مثل هذا الجيل المتألم. يطلب أن يقدّموا له الشاب المريض الذي يصاب أمام الجميع بنوبة جديدة فيتدحرج على الأرض ويزبد (الآية ٢٠). عندها يتوجه يسوع بالسؤال إلى أبيه عن زمن بداية مرضه، لا ليستفسر عن الأمر وكأنه يجهله، بل ليُظهر عن طريق جواب الأب أن الإنسان يعاني "منذ صباه" من النتائج الرهيبة والمؤلمة لعبوديته للشيطان (الآية ٢١).

بعد استكمال صف مرض ابنه، يطلب الأب معونة يسوع معبِّراً عن شكّه في قدرة يسوع، ربّما آخذاً بعين الاعتبار صعوبة الموضوع وحالة المريض اليائسة "إن كنت تستطيع شيئاً فتحنن عليه وأعنّا". عندها، وأمام شكّ الأب المتكلم، يقابله يسوع بقدر الإيمان الكليّ' مريداً أن يقول له: "ليس السؤال إن كنتُ أنا أستطيع أن أتمم الشفاء المطلوب، بل هو فيما إذا كنتَ أنتَ تستطيع أن تؤمن". إذاً عبارة الأب "إن كنتَ أنت تستطيع" يقابلها جواب يسوع "كل شيء مستطاع للمؤمن" (الآيتان ٢٢-٢٣). في كل الروايات الإنجيلية لا تتم العجائب من أجل إبراز الإيمان أو من أجل إعطاء الانطباع الباهر، بل تأتي نتيجة إيمان أصحاب الشأن. يفسّر شارح معاصر جواب الأب المتألم: "أؤمن يا سيّد فأعن عدم إيماني" (الآية ٢٤) هكذا: تفعل كلمات يسوع في الذي يتكلم معه بشكل مزدوج إذ تخلق فيه الإيمان بقدرة المسيا وفي الوقت نفسه تكشف عن عدم إيمانه. من هنا صراخ الأب ودموعه، هذا الأب الذي يتنازعه صراع داخلي: فهو يعترف بإيمانه الذي لا يأتي من داخله بل نتيجة لكلام يسوع معه، ولكنه في الوقت نفسه يعترف بعدم إيمانه الذي يشاركه فيه كل جيله. يصارع بين الإيمان وعدم الإيمان، بين رغبته في إظهار إيمانه وتأكيده أن إيمانه ناقص.

يرى يسوع أن الجمع "يتراكضون" فيأمر بقدرته المسيانية الروح النجس أن يخرج نهائياً من المريض وألاّ يدخل فيه من جديد. بعد خروج الروح الشرير يتعرّض المريض لنوبة أخيرة تعطي الانطباع للذين لم يحضروا قبلاً أنه مائت كلّياً (هذا الانطباع الذي يؤكد على ما وُصف به هذا الجيل من عدم إيمان قبل يسوع). ولكن الرب يمسك بيد الذي هو "كميت" وينهضه (الآيات ٢٥-٢٧).

وبعد أن ينصرف الجميع (الجمع والأب والشاب المعافى)، يذكر الإنجيلي حديث يسوع مع تلاميذه على انفراد في أحد البيوت، يجيب فيه عن سؤالهم "لماذا لم نستطيع نحن أن نخرجه؟"، ويقول: "هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشيء إلاّ بالصلاة والصوم" (مرقس ٩: ٢٩). إن طرد الشياطين من الناس عمل صعب، وهو يتم بقدرة الله التي يمتلكها أساساً المسيا، ويمكن للناس أن يحصلوا عليها بعد صلاة وصوم. كان التلاميذ على الأرجح يعتمدون على قدراتهم الخاصة ولا يطلبون

بإيمان قدرة الله. وفي الرواية المشابهة عند متى، يقول يسوع لتلاميذه بوضوح أنهم لم يستطيعوا أن يشفوا المريض لقتلة إيمانهم (أنظر متى ١٧: ٢٠).

المعاني الرئيسية للرواية السابقة:

١- إنّ المسيا الكارز والمحقق في ذاته ملكوت الله، يوصف في الأناجيل، وخصوصاً في مرقس، بمحرّر الناس من الشياطين الساكنة فيهم. بكلمته فقط، وبأمره المسياني القاطع، يُخضع الشياطين فتخرج من الناس. هذه العجائب تعنى غلبة ملكوت الله على سيادة الشيطان. وقد يقول أحدنا: إن مفهوم نسبة الأمراض، وعلى الأخص النفسانية منها، إلى سكنى الشياطين في الناس، قد ولّى اليوم بسبب تقدّم الطبّ. لكن مظاهر إنسان اليوم التي تدلّ على استعباده للشيطان هي كثيرة ومتنوّعة إلى درجة أننا، حتى لو لم نقبل بوجهة النظر التي كانت سائدة في أيام يسوع والتي تقول إن الأمراض عائدة إلى الشيطان، إلا أنه يبقى هنالك مظاهر للإنسان كثيرة العدد و"شيطانية" تشهد لسكنى الشيطان في الإنسان. يسوع المسيح هو محرّر العالم الذي يسود فيه الشيطان. إن لم يقبل الإنسان الحرّية التي يقدّمه المسيح فهو حتماً أسير للشيطان. لأنه ولو افتخر بحرّيته يبقى دائماً أسيراً لشخص ما أو لشيء ما.

٢- ينقل الإيمان من عالم المنطق النسبي إلى عالم النعمة الفائق الطبيعة. إن "نقل الجبال" يشكّل عملاً لا يُدرك من قبل الإنسان الاختباري، لكن بالنسبة للمؤمن ما هو صعب ظاهرياً ومنطقياً يصبح واقعاً.

٣- الإيمان يحوّل العالم ويبدّل الشقاوة إلى مجد. يملك الإيمان قدرة تفوق حدود الفرد والمؤمن. والجدير بالملاحظة أن المقطع لا يذكر شيئاً عن إيمان الابن المريض بل عن إيمان أبيه. إذاً يشكّل الإنسان المؤمن بيت خلاص حتى لقريبه.

٤- الصلاة والصوم يصهران الرباط بين الإنسان والله ويقوّيان الإيمان الذي، عندما يكون حقيقياً وحيّاً، يصبح أيضاً عجائبياً.

التنبؤ الثاني عن الآلام:

٣٠ وَخَرَجُوا مِنْ هُنَاكَ وَاجْتَازُوا الْجَلِيلَ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ، ٣١ لأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ تَلاَمِيذَهُ وَيَقُولُ لَهُمْ:«إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ فَيَقْتُلُونَهُ. وَبَعْدَ أَنْ يُقْتَلَ يَقُومُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ». ٣٢ وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا الْقَوْلَ، وَخَافُوا أَنْ يَسْأَلُوهُ. (مرقس٩: ٣٠-٣٢، متى ١٧: ٢٢-٢٣، لوقا ٩: ٤٤-٤٥).

بعد تلك العجيبة عبر يسوع الجليل محاولاً أن يهرب من الشهرة ومتطلّعاً بصورة خاصة إلى تحضير تلاميذه لآلامه الوشيكة. فأخذ للمرّة الثانية يتنبأ عن

آلامه لتلاميذه قائلاً أن ابن الإنسان سيُسلم إلى "أيدي البشر". وينظر مفسِّر حديث إلى هذا القول بألم عميق: أن يُسلم يسوع إلى أيدي الشياطين يمكن أن يحظى بتفسير ما، لكن أن يُسلّم إلى أيدي الناس الذين أحسن إليهم وشفاهم طيلة حياته يعبّر عن تناقض كبير في التاريخ. إن التعبير المستعمل هنا للتنبؤ عن آلام يسوع يذكّر بلا شك بأناشيد العبد المتألم عند أشعيا ٥٣: ٧-٨: "مثل خروف سيق إلى الذبح وكحمل بريء أمام الذي يجزّه هكذا لا يفتح فاه". بعبارة أخرى، يعرف يسوع أنه، كابن الإنسان، يتوجه إلى الآلام محققاً مشيئة الله كما جاءت في العهد القديم.

يسوع يحث تلاميذه:

٤١ لأَنَّ مَنْ سَقَاكُمْ كَأْسَ مَاءٍ بِاسْمِي لأَنَّكُمْ لِلْمَسِيحِ، فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لاَ
يُضِيعُ أَجْرَهُ. ٤٢ «وَمَنْ أَعْثَرَ أَحَدَ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي، فَخَيْرٌ لَهُ لَوْ طُوِّقَ عُنُقُهُ
بِحَجَرِ رَحًى وَطُرِحَ فِي الْبَحْرِ. ٤٣ وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ يَدُكَ فَاقْطَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ
الْحَيَاةَ أَقْطَعَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ يَدَانِ وَتَمْضِيَ إِلَى جَهَنَّمَ، إِلَى النَّارِ الَّتِي لاَ تُطْفَأُ. ٤٤
حَيْثُ دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ وَالنَّارُ لاَ تُطْفَأُ. ٤٥ وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ رِجْلُكَ فَاقْطَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ
تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْرَجَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ رِجْلاَنِ وَتُطْرَحَ فِي جَهَنَّمَ فِي النَّارِ الَّتِي لاَ تُطْفَأُ.
٤٦ حَيْثُ دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ وَالنَّارُ لاَ تُطْفَأُ. ٤٧ وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ عَيْنُكَ فَاقْلَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ
تَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ أَعْوَرَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ عَيْنَانِ وَتُطْرَحَ فِي جَهَنَّمَ النَّارِ. ٤٨ حَيْثُ
دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ وَالنَّارُ لاَ تُطْفَأُ. ٤٩ لأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُمَلَّحُ بِنَارٍ، وَكُلَّ ذَبِيحَةٍ تُمَلَّحُ بِمِلْحٍ.
٥٠ اَلْمِلْحُ جَيِّدٌ. وَلكِنْ إِذَا صَارَ الْمِلْحُ بِلاَ مُلُوحَةٍ، فَبِمَاذَا تُصْلِحُونَهُ؟ لِيَكُنْ لَكُمْ فِي
أَنْفُسِكُمْ مِلْحٌ، وَسَالِمُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا». (مرقس٩: ٣٣-٥٠).

يتوجّه الكلام في الآيات ٣٣-٥٠ إلى التلاميذ خاتماً نشاط يسوع في الجليل. يسود الرأي عند جميع المفسرين الحديثين تقريباً أ، الإنجيلي يجمع هنا أقوال كانت مهملة ومستقلة عن بعضها البعض، ولا نجد صلة منطقية فيما بينها، أي أنها لا ترتبط بمحتوى مشترك بل بشكل خارجي فقط: هكذا ترتبط الآيات ٣٣-٤١ فيما بينها بالعبارة المشتركة "باسمي"، وترتبط الآيات ٤٢-٤٨ بالأفعال: "اعثر" و"اعترتك"، وترتبط الآيات ٤٩-٥٠ بما سبقها عن طريق كلمة "نار". ويمكننا التأكد من هذه النظرية بعد دراسة مقارنة لهذه الأقوال مع تلك الموازية لها عن متى ولوقا. هذا بالنسبة إلى القسم الأول، أمّا القسم الثاني فعليه اعتراضات جدّية.

الإنجيليون الشريفون هم أوّل مفسّرين ملهمين من الله لأقوال يسوع وأعماله. وإن جمعوا أقولاً لمعلّمهم، فهم لا يفعلون ذلك لمجرّد أن كلمة اصطلاحية تربط فيما بينها بل لأنهم يجدون وحدة في المحتوى. طبعاً لا يستطيع الواحد أن يطلب وحدة منطقية بالمفهوم الأوروبي الحديث، بل هناك وحدة في الهدف الذي يتطلع إليه

يسوع في توجهه إلى تلاميذه وكذلك عند الإنجيلي الناقل أقواله. أولاً تشكل تهيئة التلاميذ للآلام الاهتمام الرئيسي للمعلّم. من هنا الفكرة السائدة في الآيات التي نتكلم عنها: وهي روح التضحية والآلام. إن كان يسوع يسير نحو الآلام كنهاية مطاف عمله وكقمّة له، فلا يمكن أن يكون نصيب تلاميذه مختلفاً. إن الطريق الذي ينتظرهم هو طريق الآلام، طريق التضحية والحرمان. ومن جهة أخرى نلاحظ أن الآيات ٣٣-٥٠ تتبع مباشرة الآيات ٩: ٣٠-٣٢ حيث يتنبأ للمرّة الثانية عن آلام يسوع. في نطاق روح التضحية، يخدم المرشد إخوته، يتخلّى عن أمجاده، يحرم نفسه من الوجوه الصديقة والأمور الضرورية إن كانت تشكل سبباً لتشكيك الآخرين. سنتحقق من هذه الفكرة الرئيسية عندما سنتفحص الآيات بالتفصيل.

نجد الأقوال الواردة في الآيات ٩: ٣٣-٣٧ عند متى ١٨: ١-٥ ولوقا ٩: ٤٦-٤٨، والأقوال في الآيات ٩: ٣٨-٤٠ فقط عند لوقا ٩: ٤٩-٥٠، والآية ٤١ عند متى ١٠: ٤٢، والأقوال في الآيات ٤٢-٤٨ عند متى ١٨: ٦-٩ ولوقا ١٧: ١-٢، والأقوال في الآيات ٤٩-٥٠ عند متى ٥: ١٣ ولوقا ١٤: ٣٤-٣٥. تشكل أغلبية هذه الأقوال إذاً جزءاً مِمَّا يسمى بالخطاب الكنسي (أي الحديث عن الحياة في الجماعة) في متى ١٨، بينما تأتي أقوال أخرى إمّا في الموعظة على الجبل وإمّا في وصية يسوع لتلاميذه المرسلين إلى الكرازة.

أ - روح التضحية والخدمة:

٣٣ وَجَاءَ إِلَى كَفْرِنَاحُومَ. وَإِذْ كَانَ فِي الْبَيْتِ سَأَلَهُمْ:«بِمَاذَا كُنْتُمْ تَتَكَالَمُونَ فِيمَا بَيْنَكُمْ فِي الطَّرِيقِ؟» ٣٤ فَسَكَتُوا، لأَنَّهُمْ تَحَاجُّوا فِي الطَّرِيقِ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ فِي مَنْ هُوَ أَعْظَمُ. ٣٥ فَجَلَسَ وَنَادَى الاثْنَيْ عَشَرَ وَقَالَ لَهُمْ:«إِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَكُونَ أَوَّلاً فَيَكُونُ آخِرَ الْكُلِّ وَخَادِمًا لِلْكُلِّ». ٣٦ فَأَخَذَ وَلَدًا وَأَقَامَهُ فِي وَسْطِهِمْ ثُمَّ احْتَضَنَهُ وَقَالَ لَهُمْ: ٣٧ «مَنْ قَبِلَ وَاحِدًا مِنْ أَوْلاَدٍ مِثْلَ هذَا بِاسْمِي يَقْبَلُنِي، وَمَنْ قَبِلَنِي فَلَيْسَ يَقْبَلُنِي أَنَا بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي». (مرقس ٩: ٣٣-٣٧، متى ١٨: ١٥، لوقا ٩: ٤٦-٤٨).

ترد هذه الأقوال في الأناجيل الإزائية مباشرةً بعد شفاء الشاب المصاب بالصرع وبعد التنبؤ الثاني عن الآلام. يتوجّه يسوع إلى التلاميذ، الزعماء المستقبلين لكنيسته التي هو مزمع أن يؤسسها بموته على الصليب وقيامته. وبالنظر إلى آلامه يهيئ تلاميذه قائلاً لهم: إن الطريق نحو الأوّلية هي التضحية بالنفس والتواضع والخدمة. يردّد الإنجيليون هذه الأقوال مراراً مريدين على الأرجح أن يشدّدوا على رسالة الرؤساء في الكنيسة. الكبير والألو هو ذاك الذي يستخدم مركزه القيادي من أجل خدمة مرؤوسيه حسب نموذج المسيح الذي يقدّم حياته على الصليب ليخلّص البشر ويفديهم من عبودية الشيطان. ليس الرئيس الحقيقي ذاك الذي يتسلّط على الآخرين، بل هو الذي يخدمهم ويقدّم خدماته للمحتاجين والودعاء والضعفاء من أبنائه. يأخذ يسوع ولداً ويعانقه (أنظر الحدث والقول المشابه عند مرقس ١٠: ١٣-١٦، متى ١٩: ١٣-١٥، لوقا ١٨: ١٥-

١٧)، ويتخذه مثالاً للتواضع علينا أن نتشبه به لكي ندخل ملكوت الله، ورمزاً للضعفاء الذين يجب على الرئيس أن يعتني بهم. هكذا يكون كل مسيحي أراد أن يصبح كبيراً وأوّلاً في ملكوت الله. يقول تقليد لاحق إن هذا الولد هو القديس إغناطيوس -الإنطاكي- المتوشح بالله (أنظر التاريخ الكنسي ٢: ٣٥ لنيكيفورس كالستوس وسنكسار ٢٠ كانون الأول). لا يقدم يسوع الولد فقط كهدف موضوعي يعمل من أجله التلاميذ، بل أيضاً كمثال شخصي على المؤمنين أن يقتدوا به. إن الولد الذي لا يستطيع بسبب ضعفه أن يتكل على نفسه، يثق كليّاً بالذين هم أكبر منه، منتظراً كل شيء منهم، ومشكلاً هكذا مثالاً للتواضع. نلاحظ أن معاصري يسوع يرون في الولد ذاك الذي سوف يصبح راشداً (وعلى هذا الأساس فقط يعطونه قيمة)؛ يأتي يسوع على العكس، حسب ملاحظة غروندمن (Grundmann) الدقيقة، ويرى في الإنسان الراشد الولد الضائع الذي يجب أن نوجده من جديد حتى نستطيع أن يواجه الله كأب ويقبل منه بثقة وشكران هبة الملكوت.

ب - الحياد غير المسموح به:

٣٨ فَأَجَابَهُ يُوحَنَّا قِائِلاً:«يَا مُعَلِّمُ، رَأَيْنَا وَاحِدًا يُخْرِجُ شَيَاطِينَ بِاسْمِكَ وَهُوَ لَيْسَ يَتْبَعُنَا، فَمَنَعْنَاهُ لأَنَّهُ لَيْسَ يَتْبَعُنَا». ٣٩ فَقَالَ يَسُوعُ:«لاَ تَمْنَعُوهُ، لأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَصْنَعُ قُوَّةً بِاسْمِي وَيَسْتَطِيعُ سَرِيعًا أَنْ يَقُولَ عَلَيَّ شَرًّا. ٤٠ لأَنَّ مَنْ لَيْسَ عَلَيْنَا فَهُوَ مَعَنَا. (مرقس ٩: ٣٨-٤٠، لوقا ٩: ٤٩-٥٠).

يرتبط هذا المقطع ارتباطاً ضعيفاً بما سبقه عن طريق العبارة المشتركة "باسمي"، ويتكلم فيه يوحنا تلميذ يسوع كما يفعل نادراً في الأناجيل. المناقشة هذه مذكورة عند لوقا وليس عند متى الذي تكلم مع ذلك عن أناس يُخرجون شياطين باسم المسيح (متى ٧: ٢٢ "باسمك نُخرج شياطين"). إن الرأي الذي يقول أن متى أغفل ذكر كلام يسوع هذا لأنه أورد كلاماً ليسوع مناقضاً له في متى ١٢: ٣٠ غير صحيح، مع العلم أن لوقا يورد أيضاً الكلام نفسه في لوقا ١١: ٢٣. من جهة لا تقود مقارنة مرقس ٩: ٤٠ مع متى ١٢: ٣٠ (أو لوقا ١١: ٢٣) إلى تثبيت التضاد الظاهر الحاصل بين المقطعين. لنرَ ما هي العلاقة بينهما:

في متى ١٢: ٣٠ يقول يسوع: "من ليس معي فهو عليّ ومن لا يجمع معي فهو يفرّق" (وكذلك لوقا ١١: ٢٣). يجيب يسوع هنا على اتهامات اليهود السّيئي النية المدعين أنه بالتعاون مع رئيس الشياطين يُخرج الشياطين، ويقول لهم أن عمله لا يتوافق مع عمل الشيطان المهلك. في هذا الصراع ينبغي على الناس ألاّ يبقوا على الحياد، فإما أن يكون الواحد مع المسيح "فيجمع" أي يساهم في عمل تشكيل شعب الله، الكنيسة، أو أنه يفرّق مع الشيطان، طالما أن الموقف الحيادي غير وارد. يمكن أن يقال هذا الكلام أيضاً عن عبارة مرقس ٩: ٤٠ "من ليس علينا فهو معنا"، مَن لا يكون ضدّ المسيح على مثال الذي يُخرج الشياطين ويصنع العجائب باسم الرب هو إذاً معه. تعبّر إذاً عبارتا متى ١٢: ٣٠ ومرقس ٩: ٤٠

بجمل مختلفة لا تتناقضان فينا بينهما لأن كلتيهما تعلّمان أن على كل واحد أن يتخذ موقفاً واضحاً مع المسيح أو ضدّه لأن الحياد غير مسموح به.

كيف نستطيع أن نربط هذه الآيات بما سبق؟ نعتقد أن الصلة هي التالية: بينما نرى التلاميذ، ومنهم يوحنا، في حماسهم يعدّون ميولاً في أنفسهم على مثال العبيد في مَثل الزؤان، يوجّه يسوع انتباههم إلى آلامه المقبلة وإلى روح التضحية الذي يجب أن يتحلّ،ا به من الآن وصاعداً. من خلال جوابه ليوحنا ومنه لكل التلاميذ، يريد أن يقول أن لحظة الآلام الآتية والدقيقة لا تعطي مجالاً لانتقاد الآخرين بل يجب بالأحرى أن تقودهم ليعوا ضرورة تجميع قواهم من أجل خدمة العالم. يجب علينا ألاّ ندين الآخرين ونمنعهم عن العمل باسم الرب لأنهم ليسوا ضدّه. إنهم مرشّحون ليصيروا أعضاء عاملين في الكنيسة إن رأوا أمامهم موقف خدمة وإعانة من قبل التلاميذ.

ج - التصرّف تجاه «الصغار»:

٤١ لأَنَّ مَنْ سَقَاكُمْ كَأْسَ مَاءٍ بِاسْمِي لأَنَّكُمْ لِلْمَسِيحِ، فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لاَ يُضِيعُ أَجْرَهُ. ٤٢ «وَمَنْ أَعْثَرَ أَحَدَ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي، فَخَيْرٌ لَهُ لَوْ طُوِّقَ عُنُقُهُ بِحَجَرِ رَحًى وَطُرِحَ فِي الْبَحْرِ. (مرقس ٩: ٤١-٤٢، متى ١٨: ٦-٧، ١٠: ٤٢، لوقا ١٧: ١-٢).

هنا العبارتان "لأن مَنْ" و"باسمي" تربطان المقطع مع الآية السابقة. من ناحية المعنى يمكن أن نلحظ الرابط التالي: لم يرفض الرب الذي أخرج الشياطين باسم المسيح لأنه، لم يكن من حلقة التلاميذ الاثني عشر، إلاّ أنه يقدّم خدمة لعمل يسوع المناهض للشيطان. كل خدمة تُقدّم للعمل الإلهي تُعتبر تقدمة من أجل المسيح. حتى أن تقدمة كأس ماء إلى التلاميذ في عملهم الرسولي لن تكون بلا أجر. هنا يتكلّم عن التلاميذ لأن هذا الكلام وارد عند متى في الموعظة للتلاميذ المرسَلين إلى الكرازة (متى ١٠: ٤٢ "ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماءٍ بارد فقط باسم تلميذ فالحق أقول لكم أنه لا يضيع أجره").

لكن فيما يُكافأ التصرّف الإيجابي تجاه التلاميذ، يُعاقب التصرّف المعاكس تجاههم كوضع العثرات أمامهم مثلاً (الآية ٤٢). هذه الآية وإن كانت ترتبط لغوياً بما يليها (٤٣-٤٨)، حيث يدور الحديث أيضاً عن العثرات، إلاّ أننا نربطها بالآية ٤١ لأن الإنجيلي في كلا الآيتين يتكلّم عن موقف الناس تجاه التلاميذ: موقفهم الإيجابي في الآية الأولى والسلبي في الثانية. يتضّح في الآية ٤١ ما هي التقدمة (تقدمة كأس ماء) لكننا لا نعرف في الآية ٤٢ ما هو الذي يُعثر.

ويُطرح السؤال: هل يتوجّه يسوع بصورة خاصة إلى الاثني عشر، أم أنه يقصد المسيحيين بصورة عامة؟ تجعلنا الملاحظتان التاليتان نميل إلى وجهة النظر الثانية: أ - في الكلام المشابه عند متى ١٠: ٤٢ بدل "سقاكم" نقرأ "سقى أحد هؤلاء الصغار" أو "الضعفاء" (حسب المخطوطة D). الصغار والضعفاء، كما سنرى فيما يلي، هم صفة مميّزة للمسيحيين بصورة عامة؛ ب - تذكّرنا العبارة "لأنكم للمسيح" بتعابير بولسية مشابهة ("الذين هم للمسيح": غلا ٥: ٢٤، ٣:

٢٩، ١كور ١: ١٢، ٣: ٢٣، ٢كور ١٠: ٧) تشير بشكل واضح من التلاميذ الاثني عشر الذين سوف يتابعون العمل عن طريق الكرازة إلى الحلقة الواسعة لأتباعه الذين سوف يؤلفون الكنيسة. يجب بالأحرى أن نحسب أنّ يسوع يتوجه إلى التلاميذ الذين يحاورهم في الآية ٣٣ وما يليها، لكن الإنجيلي مرقس يضيف أقوالاً موجّهة إلى المؤمنين كلّهم دون أن يبتعد عن تفكير يسوع وقصده.

تُستعمل مثل هذه التعابير في مواضع أخرى من الأناجيل، وهي تشير إلى المسيحيين الذين لا يتّكلون على قواهم الخاصة بل يعتمدون بكل ثقة على الله الآب. هكذا يوصفون مثلاً "بالمساكين بالروح"، "بالأخوة الصغار"، أخوة ابن الإنسان. ويدلّ التعبير المستعمل في الآية ٤١ "الصغار المؤمنين بي" على أنه لا يقصد الصغار سنّاً ولا التلاميذ عموماً بل كل من هو غير معتبر في عين الناس، المسيحيين المزدرى بهم من قبل الفريسيين أو من قبل أقوياء هذا العالم.

في مثل هذه الحالة يتساءل الواحد إن كان الكلام في الآية ٤٢ يتوجّه إلى التلاميذ رؤساء الكنيسة وينبّههم على ألاّ يضعوا العثرات في وجه الصغار المؤمنين الضعفاء، أم أنه يتوجّه إلى المؤمنين الآتين من الخارج. يبدو أنه يقصد على الأرجح المؤمنين الغرباء لأنه يتكلّم في الآية ٤١ عن كأس ماء يأتي ممن هم في الخارج. لكن علينا أن نميّز قدر المستطاع بين كلام يسوع الأوّل وتفسيره أو تطبيقه من الإنجيلي أو من الكنيسة. لدينا حالات أخرى في الأناجيل يتوجّه فيها كلام يسوع ضدّ الفريسيين (مثلاً كلام المرشد الأعمى في متى ١٥: ١٤)، ويفسَّر في مكان آخر بأنه يخصّ المسيحيين (الكلام نفسه عن المرشد الأعمى يشير إلى الرؤساء المسيحيين في لوقا ٦: ٣٩). هكذا يستطيع الواحد هنا أيضاً أن يقول أن كلام يسوع عن وضع العثرات يشير أصلاً إلى الاضطهادات الآتية من الذين هم في الخارج، الذين يعاكسون العمل البشاري. لكن هذا الكلام يَعبُر في حياة الكنيسة وبقلم الإنجيلي، ويطبّق على رؤساء الكنيسة الذي ينَّبهون إلى عدم اضطهاد المسيحيين البسطاء الوديعين. تصحّ هذه الأفكار بالأحرى إن أخذنا بعين الاعتبار أن متى يعرض هذا الكلام في الخطاب الكنسي في الفصل ١٨ (الآية ٦ "ومن أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين...") ويكرر في الآية ١٨: ١٠ "أنظروا لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار" ("المؤمنين بي" مضافة في بعض المخطوطات)، ثم يأتي متى مباشرة على ذكر مَثَل الخروف الضائع الذي وُجد (١٨: ١٢-١٤)، المَثَل الذي يتوجّه فيه إلى الرؤساء المسيحيين، وينتهي بالعبارة "هكذا ليست مشيئة أبيكم... أن يهلك من هؤلاء الصغار" (أو "أحد من هؤلاء الصغار" حسب المخطوطة والنص الكنسي).

خلاصة: يأتي إذاً كلام الآيتين ٤١-٤٢ تابعاً للحديث عن الإنسان الغريب الذي يُخرج الشياطين وعن قضية الأوّلية. ينبّه يسوع التلاميذ إلى توجيه أنظارهم إلى طريق الخدمة، إلى روح التضحية والآلام، متجنبين الرأي القائل أنهم وحدهم يصنعون العجائب باسم المسيح حتى وإن لم يكن ينتمي إلى حلقة التلاميذ (ورغم انزعاجهم منه). يدلّ هذا الموقف على أنه ليس ضدّ المسيح بل معه. معه أيضاً هو كل من يقدم كأس ماء ("بارد" كما يضيف متى مؤكداً على قيمة العطاء هذا في

بلاد فلسطين الحارة) إلى المبشرين المسحيين لأنه يسهّل عملهم. بينما يَحسن بالأحرى أن يُعاقب كل من يعيق الحياة العادية أو نشاط المسيحيين الرسولي عن طريق وضع العثرات أمامهم. أيضاً يجب معاقبة الرؤساء المسيحيين الذي بمواقفهم أو بلا مبالاتهم يضعون العثرات أمام أخوتهم المسيحيين الصغار الضعفاء.

د ـ تخطّي العثرات عن طريق التضحية:

٤٣ وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ يَدُكَ فَاقْطَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَقْطَعَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ
يَدَانِ وَتَمْضِيَ إِلَى جَهَنَّمَ، إِلَى النَّارِ الَّتِي لاَ تُطْفَأُ. ٤٤ حَيْثُ دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ وَالنَّارُ لاَ
تُطْفَأُ. ٤٥ وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ رِجْلُكَ فَاقْطَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْرَجَ مِنْ أَنْ تَكُونَ
لَكَ رِجْلاَنِ وَتُطْرَحَ فِي جَهَنَّمَ فِي النَّارِ الَّتِي لاَ تُطْفَأُ. ٤٦ حَيْثُ دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ وَالنَّارُ
لاَ تُطْفَأُ. ٤٧ وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ عَيْنُكَ فَاقْلَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ أَعْوَرَ مِنْ أَنْ
تَكُونَ لَكَ عَيْنَانِ وَتُطْرَحَ فِي جَهَنَّمَ النَّارِ. ٤٨ حَيْثُ دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ وَالنَّارُ لاَ تُطْفَأُ.
(مرقس ٩: ٤٣-٤٨، متى ١٨: ٨-٩، ٥: ٢٩-٣٠، لوقا ١٤: ٣٤-٣٥).

معنى هذه الآيات هو التالي: على الإنسان أن يتخطى أيّة عثرة تتأتّى من داخله أو من أشيائه أو من أعضائه وتعيقه من دخول ملكوت الله، ويتمّ ذلك عن طريق التضحية وتعيقه من دخول ملكوت الله، ويتمّ ذلك عن طريق التضحية أي عن طريق التحرّر من قيوده. ويلاحظ المفسّر ثيوفيلكتوس: "إن كان شيء يخصّك، يتعلّق بك ويفيدك مثل دمك ويعثرك، اقطعه عنك، أي اقطع صداقتك معه، صلته بك". أما النار والدود الوارد ذكرهما في المقطع فيعطيهما المفسّر عينه معناً وجودياً متميّزاً إذ يقول: "الدود والنار اللذان يعاقبان الخطأة هما ضمير كل واحد وذكر كل ما فعلناه في الحياة من أعمال ردئية، هي كالدود الذي يتآكلنا والنار التي تحرقنا".

هـ ـ التضحية هي الصفة الجوهرية للتلميذ:

٤٩ لأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُمَلَّحُ بِنَارٍ، وَكُلَّ ذَبِيحَةٍ تُمَلَّحُ بِمِلْحٍ. ٥٠ اَلْمِلْحُ جَيِّدٌ. وَلكِنْ إِذَا
صَارَ الْمِلْحُ بِلاَ مُلُوحَةٍ، فَبِمَاذَا تُصْلِحُونَهُ؟ لِيَكُنْ لَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ مِلْحٌ، وَسَالِمُوا
بَعْضُكُمْ بَعْضًا». (مرقس ٩: ٤٩-٥٠، متى ٥: ١٣، لوقا ١٤: ٣٤-٣٥).

تتكلم نهاية هذه المجموعة من الأقوال الواردة في الفصل التاسع (٩: ١٣-٥٠) أيضاً عن روح التضحية. ما هو بالضبط معناها الحقيقي؟ لا نستطيع هنا أن ننطلق من معنى الملح المستعمل بصورة عامة في لغة ذلك العصر حين كان يدلّ على قوّة الاستمرار، على القيمة وعلى القدرة الإلهية. كما أننا لا نستطيع أن نستخدم أوّلاً فائدته في العبادة إذ يُستعمل لتلميح خبز الذبيحة، مشيراً هكذا إلى فضيلة الله. يأتي كلام الإنجيلي ضمن إطار لا نستطيع تجاهله. يتكلم المقطع بصورة عامة عن روح التضحية بالنظر إلى الآلام التي تقود يسوع إلى أورشليم. إذ نأخذ هذا المعنى بعين الاعتبار، نتقبل الملح كعنصر جوهري عند التلميذ: الملح هو روح التضحية وإنكار الذات. بدونه يشبه التلميذ "الملح بلا ملوحة" الذي لا يستحق أن يتابع عمل ابن الإنسان الذي ضحّى بنفسه على الصليب وتألّم من أجلنا. يتطلّب

دخول ملكوت السماوات تضحية. أمّا حياة العالم فهي تقدِّم للتلميذ كل ظروف الشك والعثرات. لا يستطيع أحد أن يهرب من التجربة القاسية: "لأن كل واحد يملَّح بنار". ليست النار في الآية ٤٩ نار جهنم التي يتكلم عنها في الآيات السابقة بل هي عمل المسيا الأخروي الذي ابتدأ في العالم، إنها عمل تطهيري وخلاصي. عن طريق هذا العمل الأخروي وعن طريق نار التضحية والآلام سوف يعبر التلميذ الذي يريد أن يكون نافعاً في الكنيسة وفي العالم. الذي لا "يُملَّح" بروح التضحية ولا يحمل صليبه يشبه الملح الذي فقد ملوحته. إن كان لأحد روح تضحية لا يمكن له أن يركض وراء المراكز الأولى ولا يناقش حول "من هو الأعظم" بل يسعى وراء خدمة الجميع ويسالم الجميع ("ليكن لكم في أنفسكم ملح وسالموا بعضكم بعضاً").

يرد الكلام عن الملح وبالمعنى نفسه عند الإنجيليين الآخرين. عند لوقا يتوجّه يسوع إلى الجمع الذي يتبعه قبل الكلام عن الملح بقليل ويقول لهم: "إن كان أحد يأتي إليّ ولا يبغض آباه وأمه وامرأته وأولاده وأخوته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً" (لوقا ١٤: ٢٥-٢٦). ثم يأتي الكلام عن مَثَلين صغيرين، عن الذي يبني برجاً دون أن يقدّر سابقاً كلفته، وعن الملك السائر إلى الحرب دون أن يقدّر قوّات العدوّ (١٤: ٢٨-٣٢). ثم يقول بصورة واضحة: "كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لي تلميذاً" (لوقا ١٤: ٣٣). ثم يتكلّم عن الملح في الآيتين ٣٤-٣٥ حيث يشير بالضبط إلى روح التضحية وإنكار الذات وهما ميزتا التلميذ الحقيقي الذي بعد تقدير الصعاب يباشر عمله الرسولي. يؤكد لوقا على جدّية أقواله بهذه الجملة: "من له إذنان للسمع فليسمع".

أمّا متّى فيذكر هذه الأقوال عن الملح في الموعظة على الجبل مباشرةً بعد تطويب المضطهدين من أجل البرّ والمضطهدين والمعيَّرين من أجل اسم المسيح (متى ٥: ١٠-١٢). الاضطهاد والتعيير يميّزان التلاميذ الذين لا يساومون مع العالم بل يبقون على إيمانهم بروح التضحية. إن التلاميذ ككل، أي الكنيسة، هم ملح الأرض ("أنتم ملح الأرض")، ويحفظون العالم عن طريق أعمالهم الصالحة. إن توقفوا عن الأعمال الصالحة، وبالتالي توقف اضطهادهم "من أجل البرّ"، عندئذ يشبهون الملح الفاسد الذي فقد ميزته الرئيسية.

في عرض الموضوع مِنْ قِبَلْ متّى يستند آباء الكنيسة ويشدّدون على قدرة الملح في المحافظة على الأطعمة. ويتكلّمون عن مثل هذه الوظيفة التي يتخذها التلاميذ حاملين البشارة في العالم ("إن كنا نوراً، يقول القديس الذهبي الفم، وإن كنّا خميرة وأنواراً وملحاً، علينا أن نضيء لا أن نظلم، أن نجمع لا أن نفرّق..."). وهم يعتبرون التلاميذ ملح الأرض "محققين الفضائل التي ذُكرت في التطويبات". يعتبر القديس كيرلّس الإسكندري بمثابة الملح "هذه الأقوال الإلهية الخلاصية التي إن احتقرناها نصبح جُهّالاً طائشين وغير نافعين بالكليّة"

الإصحاح العاشر

مناقشة الفريسيين حول الطلاق:

١ وَقَامَ مِنْ هُنَاكَ وَجَاءَ إِلَى تُخُومِ الْيَهُودِيَّةِ مِنْ عَبْرِ الأُرْدُنِّ. فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ جُمُوعٌ أَيْضًا، وَكَعَادَتِهِ كَانَ أَيْضًا يُعَلِّمُهُمْ.
٢ فَتَقَدَّمَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَسَأَلُوهُ:«هَلْ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُطَلِّقَ امْرَأَتَهُ؟» لِيُجَرِّبُوهُ. ٣ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ:«بِمَاذَا أَوْصَاكُمْ مُوسَى؟» ٤ فَقَالُوا:«مُوسَى أَذِنَ أَنْ يُكْتَبَ كِتَابُ طَلاَق، فَتُطَلَّقُ». ٥ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ:«مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ كَتَبَ لَكُمْ هذِهِ الْوَصِيَّةَ، ٦ وَلكِنْ مِنْ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ، ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمَا اللهُ. ٧ مِنْ أَجْلِ هذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، ٨ وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. ٩ فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقْهُ إِنْسَانٌ». ١٠ ثُمَّ فِي الْبَيْتِ سَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ أَيْضًا عَنْ ذلِكَ، ١١ فَقَالَ لَهُمْ:«مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي عَلَيْهَا. ١٢ وَإِنْ طَلَّقَتِ امْرَأَةٌ زَوْجَهَا وَتَزَوَّجَتْ بِآخَرَ تَزْنِي». (مرقس ١٠: ١-١٢، متى ١٩: ١-١٢ و٥: ٣١-٣٢).

بينما كان يسوع "في تخوم اليهودية وعبر الأردن" والجمع يتبعه، سأله الفريسيون هل يُسمح للرجل أن يُطلّق امرأته أي أن يحلّ زواجه بواسطة الطلاق (الآيتان ١-٢). العبارة "ليجرّبوه" تعني أنهم عن طريق هذا السؤال يرغمون يسوع على أن يأخذ موقفاً تجاه موضوع مطروح آنذاك ويّلفه الجدل كموضوع الطلاق. فقط كانت مدرسة شمّاي المتشدّدة تسمح بالطلاق فقط في حالة الزنى. بينما كانت مدرسة هلال المتساهلة تتبنى المعنى الواسع في سفر التثنية ٢٤: ١ "العيبٍ ما وجده فيها"، وهذا الشيء المعيب قد يكون في أي طعامٍ غير ناجح أو في إيجاد امرأة أجمل منها.

يجيب يسوع مشدّداً على عدم حلّ الزواج لأنه مختوم من الله حسب المقطع الوارد في سفر التكوين ٢: ٢٤ "لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته، ويصيران جسداً واحداً". وهو يفسّر وصيّة موسى الواردة في تثنية ٢٤: ١ أنها تأتي لقساوة قلب اليهود (الآيات ٣-٩). في الواقع سمح موسى بإعطاء "كتاب طلاق" لأن كثيرين من الرجال كانوا لا يتردّدون في اللجوء حتى إلى القتل بهدف التخلّص من نسائهم والاقتران بغيرهّن.

تستمر المناقشة في الآيات ١٠: ١٢ مع التلاميذ في البيت حيث يشدّد يسوع بصورة واضحة على عدم إمكانية حلّ الزواج، معتبراً أن تخلّي الرجل عن امرأته وزواجه بأخرى هو عملية زنى. في المقطع المشابه عند متى ١٩: ٩ يُضاف "إلاّ في حالة الزنى" (وفي متى ٥: ٣٢). يحاول المفسّرون الكاثوليك أن يبنوا موقف كنيستهم في عدم السماح بالطلاق إمّا بادعائهم أن هذه العبارة "إلاّ في حالة الزنى" مضافة من قبل الإنجيلي، أو مضافة لاحقاً إلى النصّ، أو إنهم يفهمونها بالمعنى التالي: وحتى في حالة الزنى! ويستنتجون من هذه العبارة أيضاً أن الرب

يسمح بهجر الرجل لامرأته دون زواج ثانٍ (أنظر موضوع الهجر في الكنيسة الكاثوليكية).

يتخذ بعض المفسّرين البروتستانت هنا كلمة الزنى كما في سفر الأعمال ١٥: ٢٠ بمعنى الأمور الممنوعة حسب شريعة اللاويين عن الزواج (أنظر سفر اللاويين ١٨: ٦-١٨)، معتقدين أن المسيح يسمح بحلّ الزواج عند المسيحيين الذين قبل تنصيرهم كانوا متزوجين أحد أقربائهم كما كان مسموحاً به عند الوثنيين وغير مسموح به في الكتاب المقدّس (أنظر المفسرين Bonnard, Baltensweiler...)

أمّا الكنيسة الأرثوذكسية فلم تحاول أن تطابق كلام الرب على ممارستها، بل هي تأخذ كلام الرب وتستند إليه وتقبل الاستثناء الوحيد للطلاق ألا وهو حالة الزنى.

الآية ١٢ "وإن طلقت امرأة رجلها وتزوجت آخر تزني" لا ترد في الأناجيل الأخرى. وهي مناقضة للعادات السائدة عند اليهود لأن حق الطلاق كان فقط للرجل. يبدو أن هذه الآية تتصل ببعض العادات الوثنية، أي تلك التي كانت سائدة في المجتمع الروماني حيث، رغم تشدّد القانون الروماني القديم، كان يُسمح بترك أزواجهن والزواج بآخر. تقول المخطوطة D في الآية ١٢ "إن خرجت هذه عن رجلها..." (أي إن طردها رجلها)، وهي محاولة للعودة إلى العادات اليهودية حيث الرجل هو الذي يبعد امرأته.

الخلاصة:

يشدّد المسيح أساساً في هذا المقطع على عدم حلّ الزواج وفق مشيئة الله منذ البدء. ولكن في حال حصول صَدْع في الشركة الزوجية بسبب الزنى، حينئذ فقط يسمح بالطلاق.

يسوع يبارك الأولاد:

١٣ وَقَدَّمُوا إِلَيْهِ أَوْلاَدًا لِكَيْ يَلْمِسَهُمْ. وَأَمَّا التَّلاَمِيذُ فَانْتَهَرُوا الَّذِينَ قَدَّمُوهُمْ.
١٤ فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ ذلِكَ اغْتَاظَ وَقَالَ لَهُمْ:«دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ،
لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ اللهِ. ١٥ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ لاَ يَقْبَلُ مَلَكُوتَ اللهِ مِثْلَ وَلَدٍ
فَلَنْ يَدْخُلَهُ». ١٦ فَاحْتَضَنَهُمْ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ وَبَارَكَهُمْ. (مرقس ١٠: ١٣-١٦، متى ١٩: ١٣-١٥، لوقا ١٨: ١٥-١٧).

هذه إحدى اللحظات اللطيفة في حياة يسوع حين ينذر بموقف المسيحي الإيجابي تجاه الأولاد، بعكس قساوة قلب العالم القديم المعروفة بهذا الموضوع. عندما قدّمت الأمّهات أولادهنّ إلى يسوع لكي يحصلوا على بركته منعهنّ التلاميذ، ممثلين هكذا بشكل واضح مفهومَ عصرهم الذي يقول بعدم قطع مجرى العمل التعليمي من قبل أشخاص قليلي الأهمية كالأولاد مثلاً. لكن يسوع لم يؤيِّد مثل هذا التصرف بل اغتاظ وقال: "دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم" (الآية ١٤).

في هذه الأقوال يرى بعض المفسّرين صدى لعملية معمودية الأطفال في الكنيسة الأولى. قبل أ، نفسّر هذه الكلمات علينا أن نأخذ بعين الاعتبار ما يلي: لا يعرض الإنجيليون أعمالاً وأقوالاً ليسوع لمجرّد مرّ' ولوقتٍ ما، أي أنهم لا يهتمون فقط بالتاريخ بل يهتمون بشكل خاص بصلة أقوال يسوع وأعماله بحياة كنيسة عصرهم. ظروف كثيرة تطرأ في الكنيسة تتطلب الرجوع إلى أقوال ملائمة ذكرها يسوع في الأناجيل تبرّر أو تؤسس أو تفسّر ما يحدث في الكنيسة.

لا يهتم مرقس أوّلاً بعرض وتدوين مشهد لطيف من حياة يسوع، يبارك فيه الأولاد ويُظهر عطفاً تجاههم. لا يريد أن يصف لنا مهمة يسوع العاطفية تجاه العائلة والأولاد. فإنّ سبب ورود المشهد هو لاهوتي يرتبط بعمل محدّد في كنيسة عصره. ويرى كثيرون من المفسّرين عن حق في هذا المشهد جواب يسوع سؤال أعضاء الكنيسة إن كان يجب على الأولاد أن يعتمدوا أم لا. من خلال هذا المشهد الجميل وخاصة هذه الأقوال الواردة عند الإنجيلي، يريد أن يؤكد أن يسوع لم يمنع مجيء براعم العائلة الصغار إليه بل العكس شجّع ذلك. ولا تستطيع الكنيسة إلاّ أن تتبع عمل مؤسسها في قبول الأولاد الصغار إلى أحضانها بواسطة المعمودية.

في الآيتين التاليتين ١٥-١٦ يؤكّد الإنجيلي على قيمة الأولاد المهضومة حقوقهم في ذلك العصر. ويقول أن ملكوت السموات هو لمثل هؤلاء وإن كل واحد لم يصبح "مثل ولد" لن يدخل الملكوت. الولد كونه ضعيفاً لا يتكل على ملكوت "مثل ولد" يعني الثقة الكليّة بالله والحصول على الملكوت لا بقدراته الخاصة ("ببرّه" الخاص كما يقول الرسول بولس) بل باقتباله كهبة من الله. يلاحظ ثيوفيلكتوس حول هذه الآيات: "لم يقل لهؤلاء بل لمثل هؤلاء ملكوت الله. أي للذين يكتسبون عن طريق النسك البراءة المتوفرة عند الأولاد بالطبيعة".

مناقشة حول الحياة الأبدية:

١٧ وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ إِلَى الطَّرِيقِ، رَكَضَ وَاحِدٌ وَجَثَا لَهُ وَسَأَلَهُ:«أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ
الصَّالِحُ، مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟» ١٨ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ:«لِمَاذَا تَدْعُونِي
صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ. ١٩ أَنْتَ تَعْرِفُ الْوَصَايَا: لاَ تَزْنِ. لاَ
تَقْتُلْ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. لاَ تَسْلُبْ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ». ٢٠ فَأَجَابَ وَقَالَ
لَهُ:«يَا مُعَلِّمُ، هذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِي». ٢١ فَنَظَرَ إِلَيْهِ يَسُوعُ وَأَحَبَّهُ، وَقَالَ
لَهُ:«يُعْوِزُكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ: اِذْهَبْ بعْ كُلَّ مَا لَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي
السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي حَامِلاً الصَّلِيبَ». ٢٢ فَاغْتَمَّ عَلَى الْقَوْلِ وَمَضَى حَزِينًا، لأَنَّهُ
كَانَ ذَا أَمْوَال كَثِيرَةٍ.
٢٣ فَنَظَرَ يَسُوعُ حَوْلَهُ وَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ:«مَا أَعْسَرَ دُخُولَ ذَوِي الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ
اللهِ!» ٢٤ فَتَحَيَّرَ التَّلاَمِيذُ مِنْ كَلاَمِهِ. فَأَجَابَ يَسُوعُ أَيْضًا وَقَالَ لَهُمْ:«يَا بَنِيَّ، مَا
أَعْسَرَ دُخُولَ الْمُتَّكِلِينَ عَلَى الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ! ٢٥ مُرُورُ جَمَل مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ
أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ» ٢٦ فَبُهِتُوا إِلَى الْغَايَةِ قَائِلِينَ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ: «فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟» ٢٧ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ يَسُوعُ وَقَالَ:«عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ
مُسْتَطَاعٍ، وَلكِنْ لَيْسَ عِنْدَ اللهِ، لأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللهِ».
٢٨ وَابْتَدَأَ بُطْرُسُ يَقُولُ لَهُ:«هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ». ٢٩ فَأَجَابَ
يَسُوعُ وَقَالَ: «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ:لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ بَيْتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ
امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولاً، لأَجْلِي وَلأَجْلِ الإِنْجِيلِ، ٣٠ إِلاَّ وَيَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ الآنَ فِي
هذَا الزَّمَانِ، بُيُوتًا وَإِخْوَةً وَأَخَوَاتٍ وَأُمَّهَاتٍ وَأَوْلاَدًا وَحُقُولاً، مَعَ اضْطِهَادَاتٍ، وَفِي
الدَّهْرِ الآتِي الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ. ٣١ وَلكِنْ كَثِيرُونَ أَوَّلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ، وَالآخِرُونَ
أَوَّلِينَ». (مرقس ١٠: ١٧-٣١، متى ١٩: ١٦-٣٠، لوقا ١٨: ١٨-٣٠).

يُذكر حوار يسوع من إنسان يهودي في الأناجيل الإزائية ("شاب" حسب متّى، "رئيس غني جداً" حسب لوقا) مباشرة بعد الحديث عن الزواج والطلاق ومباركة الأولاد، إلى حدّ أن بعض المفسّرين يعتقدون أن في هذه الوحدة المشتركة فيما بين الإنجيليين الثلاثة يتخذ يسوع موقفاً تجاه مواضيع رئيسية هي الزواج والطلاق والأولاد والثروة.

لا يبدو موقف المتكلّم مع يسوع رديئاً كما نستنتج من الفعل "جثا" في الآية ١٧ وممّا ذُكر في الآية ٢١ "فنظر إليه يسوع وأحبّه". أمام يسوع إنسان لطيف يمارس كل واجباته الدينية المفروضة من الناموس لكنه لا يستطيع أن يدرك الآن ما يعلنه وجه يسوع من دعوة الله الكاملة التي تتوجّه إلى الإنسان بكليّته وليس فقط إلى بعض المظاهر الصادرة عنه حتى وإن كانت رئيسية.

يدعو هذا المحدّث يسوع "معلّماً صالحاً" (الآية ١٧). يناديه بصفة غير مألوفة في فلسطين عند الربّانيين. ربّما يبادر في استعمال مثل هذه الصفة، كما يفسّر بعض الآباء، بعد الانطباع الذي أخذه عن موقف يسوع الصالح تجاه الأولاد وهي الحادثة التي سبقت هذا الحوار مباشرة.

يَفترض السؤال "ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية" إنَّ لدى السائل مفهوماً يهودياً ألا وهو أن الحياة الأبدية تُكتسب بالأعمال التي يعملها الإنسان. وهذا المفهوم مغاير للحقيقة المعلنة بيسوع المسيح والتي تقول: إن الحياة هبة من الله مقدّمة إلى المؤمن في المسيح. "الحياة الأبدية" حسب اللاهوت اليهودي هي حياة الدهر الآتي البادئة بالقيامة. هذه الحياة يمنحها المسيح للمؤمنين. وهو لا يمنح الحياة المستقبلية فقط، بل الحاضرة أيضاً، لأن الحياة الحقيقية، الحياة بحسب الله، تبدأ في الحاضر وتستمر في عالم القيامة المستقبلي دون أن تتأثر بحدث الموت البيولوجي.

يدرك يسوع أن محدّثه يعتبره مجرّد معلّم لا أكثر، فيرفض صفة "الصالح" ليس لأنه غير صالح بل لأنه يريد أن يوجّه انتباه السائل إلى الله نبع الصلاح (الآية ١٨). يجب ألاّ نرى في هذا الرفض عناصر خريستولوجية (أي تختص بالمسيح) تأتي من شعور يسوع الخاص تجاه علاقته بالله الآب. يسوع نفسه يمكن أن يقول أحياناً "أبي أعظم مني" (يوحنا ١٤: ٢٨)، كما يمكن أن يقول "أنا والآب واحد" (يوحنا ١٠: ٣٠)، وذلك حسب الظرف والهدف المنشود. هنا يقصد أن يوجّه انتباه محدّثه إلى الله الآب مانح كل صلاح، ويشير إلى حفظ وصايا الله الواردة في العهد القديم كمدخل إلى الحياة المستقبلية معروف من الجميع.

يعترف المتكلم مع يسوع أنه حفظ الوصايا كلها منذ صباه. فيسأل ماذا ينقصه بعد. هل يعتقد أن هنالك وصية أُخرى سوف يضيفها المعلّم الصالح الذي يتكلّم معه أم يعتقد أنه سوف يُمتَدح لأنه حفظ كل ما هو مكتوب في الناموس وبالتالي لا شيء آخر يعوزه؟ ربّما كان الأمران معاً أي المديح والوصية الجديدة التي يطبقها فيحصل بذلك على الحياة المستقبلية. في كل حال لم يكن ينتظر سماع مثل هذا الجواب الذي ردَّ به يسوع في الآية ٢١: أنّ مجرّد حفظ وصايا العهد القديم لا يقود إلى الكمال. العهد القديم يرشد إلى المسيا. إذاً كل من يدرس جيّداً هذه الوصايا ويطبّقها يجب عليه أن يعترف بوجه يسوع المسيا الذي "يُكمّل" الناموس. في هذه اللحظة تُعطى فرصة الكمال للإنسان اليهودي الذي يتكلّم مع يسوع: إن كان قد طبّق إرادة الله المعلنة في الناموس منذ صباه، يمكنه الآن أن يتبع يسوع ويبرهم هكذا أنه يقبل دعوة الله الكلّية كما هي معلنة للعالم بالمسيح. ودعوة الله الكلّية ليست في حفظ بعض الوصايا بل في تحرّر الإنسان من كل الأشياء التي تقيّده داخل العالم.

إن هذا الظرف اللطيف الموجود فيه هذا اليهودي يدلّنا على أن الإنسان يستطيع أن يحفظ ناموس الله وأن يظلّ أسيراً لخيراته المادية، أي أن يظل رهين العوامل المختلفة التي يخترعها الأنا للمحافظة على نفسه قدر المستطاع ولمقاومة الخوف من الموت. لكنه بهذا يخلق اكتفاء كاذباً يرتاح إليه ضميره فيعتقد أنه أتمّ واجباته نحو الله والقريب بينما الحقيقة أنه في لحظة حاسمة من حياته يجد أن

موقفه هذا يأسره لقوّات هذا العالم. من خلال ما يقوله في الآية ٢١، يؤكد يسوع أن قرار الذي يريد أن يبتع مشيئة الله المعلنة بواسطته لا يقبل مساومات بل يفترض التحرّر الكلّي من الممتلكات الماديّ' التي تشكل في كثير من الأحيان عقبة في طريق الكمال.

ما أن سمع اليهودي، هذا الذي يحفظ الناموس منذ صباه، جواب يسوع الثقيل والمزعج حتى "مضى حزيناً" لأنه كانت لديه ممتلكات كثيرة. كان تَديُّنه يغطي جزءاً من حياته لا كلّها. كان يحفظ الوصايا لكنه لم يتجاوب كلّياً مع دعوة الله الكاملة. يشير يسوع بعد رحيل محدّثه الغني (أو في حضوره حسب رواية لوقا المشابهة) إلى صعوبة دخول الأغنياء ملكوت السماوات، مريداً هكذا أن يدقّ ناقوس الخطر الذي يهدّد ذوي الأموال. طبعاً لا يقصد من خلال الآية ٢٣ هؤلاء الذي يملكون ما هو ضروري لعيشهم، ما هو لازم لقوت عيالهم، بل يقصد الذين يكدّسون أموالاً كثيرة حتى أنهم يعلّقون حياتهم ورجاءهم عليها فقط ويصبحون في النهاية أسرى لها. ويكمل حديثه في الآية ٢٥ حيث يعبّر بطريقة المثل: "مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله". لقد أراد بعض المفسّرين أن يتجنبوا غرابة الصورة واستحالتها فاستبدلوا كلمة جَمَل = Kamilon التي تعني أيضاً "الحبل العريض"، فأصبحت الصورة معقولة، أو أنهم لجأوا إلى افتراض "ثقب إبرة" بوابة صغيرة في أورشليم. لكن هذه المحاولات فاشلة لأن استعمال كلمة Kamilon بمعنى حبل عريض هو لاحق لعصر يسوع، والبوابة المذكور لا ترد في أية مخطوطة. نحن أمام تعبير مثليّ معروف في ذلك العصر يدلّ على أمر صعب تحقيقه كما أن العبارة المثليّة "مرور فيل من ثقب إبرة" ترد في التلمود وتدلّ على أمر غير قابل للتحقيق.

أمام هذا الكلام يسأل التلاميذ بدهشة كبيرة: "فمن يستطيع أن يخلص"؟ إن كان هذا الإقلاع الكليّ عن ممتلكات الحياة الأرضية هو المطلوب للخلاص، إذاً من يستطيع أن يدّعي أنه يمكن أن يلبّي مثل ذلك؟ في جوابه في الآية ٢٧ يؤكد يسوع على أن الخلاص يأتي من نعمة الله. ما هو صعب وغير مستطاع في نظر الإنسان، مستطاع عند الله.

المعاني الرئيسية للرواية السابقة:

١- يعلن المسيح للبشر عن دعوة الله الكاملة (الدعوة إلى الكمال). هذه الدعوة التي ترد أيضاً في الموعظة على الجبل كامنة في خضوع الإنسان بكليته إلى الله. إن حفظ أوامر الناموس لا يعني تتميم واجبات الإنسان الكاملة نحو الله. فوق هذه الوصايا يطلب الله الإنسان كلّه محرَّراً من العقبات حتى الصغيرة والشكوك. في كثير من الأحيان يخلق تتميم بعض الطقوس الدينية عند الإنسان

اكتفاءً كاذباً وراحة ضمير كاذبة وكأنه امتلك الفضيلة. يوجّه هذا المقطع الانتباه إلى مثل هذه الكفايات المضلّة.

٢- قد يشكّل الالتصاق بالغنى المادي عائقاً كبيراً لدخول الإنسان ملكوت الله. ويتطلب قدرة كبيرة للتحرّر من هذا الكنز الأرضي واتّباع المسيح، وهذه القدرة تُعطى من الله لأن ما لا يستطيع الإنسان عمله يستطيع الله أن يفعله؛ يكفي على الإنسان أن يسلّم نفسه بالكليّة إليه.

٣- لا يشكل هذا المقطع إدانة أخرى للغني، كما لا يريد أن يؤكد على إغلاق ملكوت الله في وجه الأغنياء. إنه إنذار وإشارة إلى الخطر الذي يحدق بالذي يكون أسيراً لماله، خطر فقدانه في الحياة الأبدية. لا يعلّم العهد الجديد في أي موضع أن الفقير بسبب فقره سوف يدخل حتماً ملكوت الله، وأن الغني بسبب غناه سوف يفقده. يشدّد الكتاب فقط، خصوصاً في هذا المقطع، على أن الغنى يمكن أن يكون حاجزاً أمام وراثة الحياة الأبدية. لذلك علينا أن ننتبه.

في الآيات ٢٨-٣١ بمناسبة الحوار السابق يتقدم بطرس ويقول للمسيح أنه مع التلاميذ قد تركوا كل شيء وتبعوه فماذا يكون لهم؟ فيؤكد المسيح أن كل من تحرّر من ممتلكاته وقيوده المادية سوف يأخذ "الآن في هذا الزمان" مئة ضعف "وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية". كل من ينتمي إلى عائلة الله الاسختولوجية أي الكنيسة سوف يجد إخوة وأخوات...، "مع اضطهادات" في آخر الآية ٣١ لأن الكنيسة بعدُ موجودة ضمن إطار وُثُق "هذا الزمان" ولذلك عليها أن تواجه طريق الشهادة.

التنبؤ الثالث عن الآلام وطلب ابني زبدى:

٣٢ وَكَانُوا فِي الطَّرِيقِ صَاعِدِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَقَدَّمُهُمْ يَسُوعُ، وَكَانُوا
يَتَحَيَّرُونَ. وَفِيمَا هُمْ يَتْبَعُونَ كَانُوا يَخَافُونَ. فَأَخَذَ الاثْنَيْ عَشَرَ أَيْضًا وَابْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ
عَمَّا سَيَحْدُثُ لَهُ: ٣٣ «هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى
رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ، وَيُسَلِّمُونَهُ إِلَى الأُمَمِ، ٣٤ فَيَهْزَأُونَ
بِهِ وَيَجْلِدُونَهُ وَيَتْفُلُونَ عَلَيْهِ وَيَقْتُلُونَهُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ».
٣٥ وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا ابْنَا زَبْدِي قَائِلَيْنِ:«يَا مُعَلِّمُ، نُرِيدُ أَنْ تَفْعَلَ لَنَا كُلَّ مَا
طَلَبْنَا». ٣٦ فَقَالَ لَهُمَا:«مَاذَا تُرِيدَانِ أَنْ أَفْعَلَ لَكُمَا؟» ٣٧ فَقَالاَ لَهُ:«أَعْطِنَا أَنْ نَجْلِسَ
وَاحِدٌ عَنْ يَمِينِكَ وَالآخَرُ عَنْ يَسَارِكَ فِي مَجْدِكَ». ٣٨ فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ:«لَسْتُمَا
تَعْلَمَانِ مَا تَطْلُبَانِ. أَتَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَشْرَبَا الْكَأْسَ الَّتِي أَشْرَبُهَا أَنَا، وَأَنْ تَصْطَبِغَا
بِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبغُ بِهَا أَنَا؟» ٣٩ فَقَالاَ لَهُ: «نَسْتَطِيعُ». فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ:«أَمَّا
الْكَأْسُ الَّتِي أَشْرَبُهَا أَنَا فَتَشْرَبَانِهَا، وَبِالصِّبْغَةِ الَّتِي أَصْطَبغُ بِهَا أَنَا تَصْطَبِغَانِ. ٤٠
وَأَمَّا الْجُلُوسُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ يَسَارِي فَلَيْسَ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ إِلاَّ لِلَّذِينَ أُعِدَّ لَهُمْ».
٤١ وَلَمَّا سَمِعَ الْعَشَرَةُ ابْتَدَأُوا يَغْتَاظُونَ مِنْ أَجْلِ يَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا. ٤٢ فَدَعَاهُمْ يَسُوعُ
وَقَالَ لَهُمْ: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ يُحْسَبُونَ رُؤَسَاءَ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَأَنَّ عُظَمَاءَهُمْ

يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ. ٤٣ فَلاَ يَكُونُ هكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ عَظِيمًا، يَكُونُ لَكُمْ خَادِمًا، ٤٤ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ أَوَّلاً، يَكُونُ لِلْجَمِيعِ عَبْدًا. ٤٥ لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ». (مرقس ١٠: ٣٢-٤٥، متى ٢٠: ١٧-٢٨).

يأتي التنبؤ الثالث عن الآلام عند صعود يسوع مع تلاميذه إلى أورشليم. فاعترى تابعيه (الأرجح أن يكون هناك أناس غير التلاميذ) خوف مبهم ("وكانوا يتحيّرون وفيما هم يتبعون كانوا يخافون"). هذا الخوف يعود إلى رؤية معلّمهم يسير بتصميم إلى أورشليم بينما يعلمون موقف الكتبة والفريسيين العدائي تجاهه. يأخذ يسوع الاثني عشر جانباً ويكلّمهم عن آلامه الوشيكة.

لقد سبق يسوع وأعلم تلاميذه عن آلامه (مرقس ٨: ٣١، ٩: ٣١)، وهنا ينبئهم عنها للمرّة الثالثة. وتتضمّن النبوءة ستة مراحل عن الآلام: أ- سيُسلم أولاً إلى رؤساء الكهنة؛ ب- ويُحكم عليه؛ ج- وبعدها يُسلم إلى الأمم (أي إلى بيلاطس الوثني)؛ د- ويهزأ به ويُجلد؛ هـ- ثم يُصلب؛ و- ويقوم (الآيتان ٣٣-٣٤).

كم كان إدراك التلاميذ لأقوال يسوع عن آلامه ضعيفاً. هذا ما يتبيّن منذ المرّة الأولى في موقف بطرس الذي أسرع ليُبعد عن يسوع فكرة الآلام، وكانت المرّة الثانية حين جرت المناقشة فيما بين التلاميذ حول من هو "الأعظم". وهنا نصل إلى التنبؤ الثالث من خلال مطلب ابني زبدى، يعقوب ويوحنا.

في رواية متى تتوجع أم يعقوب ويوحنا إلى يسوع معبّرة عن مطلبهما. وحسب مرقس يقترب يعقوب ويوحنا نفسهما من يسوع ويقولان له: "يا معلّم نريد أن تفعل لنا كل ما طلبناه" (الآية ٣٥). لم يتجرآ مباشرة منذ البداية أن يوضحا مرادهما، بل تحرّيا أولاً استعداد يسوع لقبول مثل هذا الطلب. وبعد تجاوب يسوع معهما يتابعان بشجاعة أكبر: "أعطنا أن نجلس واحدٌ عن يمينك والآخر عن يسارك في مجدك" ("في ملكوتك" حسب التعبير الوارد عند متى). لا يجب أن نرى في هذا الطلب مجرّد حبّ التلميذين للمجد، بل علينا أن نشدّد على وجود المفهوم اليهودي عن المسيّا في أذهانهم، والذي حاول يسوع أن يقوّمه مرّات عديدة. أي أن التلميذين يعقوب ويوحنا يفهمان المسيا كملك أرضي سوف يُنصَّب على عرش مجده ومُلكه في أورشليم، مدينة داود. وسوف يجمع تحت سلطانه الشعب الإسرائيلي كلّه ويُخضع كل الأمم. في مثل هذا المُلك المجيد سوف يحتلّ التلميذان المكان المرموق جداً عن يمين المسيا ويساره طالما أظهر لهما يسوع حتى الآن مثل هذا التفضيل لأنه ميّزهما مع بطرس عن مصفّ التلاميذ الاثني عشر. يبدو أنهم يعتقدون أن توطيد مُلك المسيا حدث وشيك جداً، خاصة وأن الحوار يدور عند صعودهم إلى أورشليم. كما يبدو أنهم لم يفهموا قطعاً أقوال يسوع عن الآلام، أو

أنهم فهموها على ضوء المفاهيم السائدة آنذاك، وهي أن مُلك المسيا سوف تسبقه شدائد وأحزان تُدعى "شدائد المسيا".

تُستعمل العبارات "شرب الكأس" و"الصبغة التي اصطبغ بها" (الآية ٣٨) في أماكن أخرى من العهد الجديد والقديم وتدل على الشهادة والموت؛ نذكّر فقط بالعبارتين المعروفتين "فلتعبر عني هذه الكأس" (متى ٢٦: ٣٩) "ولي صبغة أصطبغها" (لوقا ١٢: ٥٠). ويسأل يسوع التلاميذ إن كانوا هم أيضاً يستطيعون مواجهة شهادة الموت على مثاله. فيجيبون للحال "نستطيع" "دون أن يفهموا عمّا كان يكلمهم. لقد أجابوا على رجاء الحصول على مطلبهم" (القديس يوحنا الذهبي الفم).

تُعتبر الآية ٣٩ من قبل البعض تنبوأً عن شهادة الموت للتلميذين يعقوب ويوحنا. يتكلم العهد الجديد عن استشهاد يعقوب الرسول في سفر الأعمال ١٢: ٢، أمّا بالنسبة ليوحنا فهناك تقليد لاحق يتكلّم عن استشهاده (إن سنكسار الشهداء السرياني لعام ٤١ يذكر شهادة يعقوب ويوحنا في ٢٧ كانون الأول). لكن التقليد الأقدم والأوسع انتشاراً هو أن يوحنا مات موتاً طبيعياً في أفسس بعد أن أضحى شيخاً طاعناً في السن. يمكن أن نأخذ بأقوال يسوع بالمعنى التالي: أن تشربوا كأس الشدائد وأن تعتمدوا بمعمودية موت الاستشهاد، كما أنا فاعل، هذا ممكن، لكن إعطاء مراكز مرموقة في ملكوت الذي ليس ملكوتاً مادياً أرضياً كما تظنون بل روحي وسماوي، هذا العمل ليس من صلاحيتي في هذه اللحظة بل هو من خصائص الله الآب. لا يقول يسوع أنه يمكنهم أن يعبروا موتاً استشهادياً دون أن يأخذوا مركزاً في الملكوت، بل يقول: سوف تواجهون الموت، لكن ما يختصّ بالمراكز في الملكوت فهذا من شأن الله وحده، وهي تُمنح للذين يتهيأون لها. أنتم أتمّوا رسالتكم كما يجب دون شرط، والله سوف يوزّع المراكز في الملكوت بطريقة محقّة لا بصورة كيفية.

يذكّر يسوع تلاميذه أن المجد الحقيقي هو الصليب. هذا ما يشدّد عليه خصوصاً يوحنا في إنجيله. إن كان التلاميذ يطلبون المجد فليعلموا أنه يُكتسب فقط من خلال الصليب والاستشهاد. وهذا الاستشهاد لا يعطي صاحبه حق المطالبة بمركز في الملكوت لأن ذلك هو من شأن الله الآب وحده.

اغتاظ التلاميذ الآخرون عن حقّ، ليس لأن لديهم مفهوماً صحيحاً عن المسيا مغايراً لمفهوم ابني زبدى بل لأن هذين الأخوين أهملا الباقين في الملكوت. عندئذٍ يتوجّه يسوع إليهم في الآيات ٤٢-٤٤ بأقوال محقّة قائلاً: "إن الذين يحسبون رؤساء الأمم يسودونهم...". هذه الأقوال ذات أهمية كبرى لأنها تعطينا المعنى أو الفحوى الحقيقية للرئاسة في العالم بصورة عامة، وفي الكنيسة بصورة خاصة. يمكننا أن نعبّر عن هذا المعنى بالشكل التالي: الرئاسة هي قبل كل شيء تواضع

وخدمة. الرؤساء والقادة عند الأمم الوثنية "يتسلّطون عليهم" أو "يسودونهم". في الكلمتين تُستعمل العبارة Kata التي تُستخدم للتشديد أو للمبالغة، وهي لا تعني هنا مجرّد السيادة أو السلطة على المرؤوسين بل استغلال السلطة من قبل الرؤساء. لو قرأنا الجملة المشابهة في إنجيل لوقا لرأينا أن الكلمة Kata غير واردة. يقول لوقا "ملوك الأمم يسودونهم... أما أنتم فليس هكذا" Kirievousi وليس Katakirievousi (لوقا ٢٢: ٣٥)، وهذا لا يعني استغلال السلطة فقط عمل غير مرغوب فيه بل أن مجرّد استعمال السلطة القانونية عند المسيحيين هو أيضاً كذلك. لا تكمن عظمة المسيحي في قوته بل في خدمته: لا يتخذ مركزه داخل الكنيسة كمصدر قوّة ليستفيد مادياً بل تلك وسيلة لإتمام الخدمة الرسولية. الكلمتان "خادماً" و"عبداً" مترادفتان في النصّ. إنهما تعبّران بصورة واضحة عن رسالة الرئيس صاحب المركز، وبصورة أوسع عن رسالة الكنيسة في العالم، هذا العمل الناتج عن مثال يسوع نفسه الذي خدم الإنسانية عن طريق آلامه "وبذل نفسه فداءً عن كثيرين". دفع إذاً بموته "الفدية" من أجل أن يشتري الناس من عبودية الشيطان (الآية ٤٥).

يشكّل استخدام السلطة والقوّة تجربة كبيرة لكلّ صاحب سلطة. لكن يجب ألاّ تكون تجربةٌ كهذه مصدراً للقلق. فقد ظهرت بشكلها الحاد والشيطاني ليسوع نفسه: تجربة الشيطان في البرّية التي تتكلم عنها الأناجيل الإزائية تحمل بشكل دقيق المعنى التالي: يقترح الشيطان على يسوع فكرة استعمال قوّته كمسيّا وبالتالي إتّباع الطريق السهل لكي يوطّد نفسه ملكاً أرضياً. أي أن من يصنع العجائب محوّلاً الحجارة إلى أرغفة، أن يسقط بصورة مشهد باهر من الهيكل ويظهر بشكل قائد دنيويّ. هذه التجربة راودت يسوع مرّات أخرى عن طريق الجمع الذي كان مستعداً ليعترف به ملكاً، أو عن طريق التلاميذ (بطرس خاصةً الذي أراد أن يبعده عن الاستشهاد). كان يسوع دائماً يواجه التجربة وفي ذهنه أناشيد العبد المتألم عند أشعيا ناظراً إلى الآلام. أقوال كثيرة ليسوع تبدأ بالتنبؤ الثالث عن الآلام تدلّ على وعيه التام أنه آخذٌ على عاتقه عمل عبد الله المتألّم الذي سوف يُسلّم إلى الموت من أجل البشر جميعهم.

المعاني الرئيسية للرواية السابقة:

١ - إن آلام ابن الإنسان التي تشكّل "فدية" تسدَّد من أجل شراء المأسورين من الشيطان ومن أجل خطيئة البشر، تمثل أفضل خدمة قيّمة يمكن أن تقدّم للإنسانية. إن عدم الاعتراف بهذه التقدمة هو السبب الذي من أجله يكون الناس إمّا مأسوريين بمشاكلهم أو أنهم يلتجئون إلى حلول خدّاعة تقودهم إلى خيبة أمل.

٢ - عظمة الزعيم الكنسي لا تكون في القدرة أو السلطة التي يملكها بل في استخدام مركزه لخدمة المؤمنين. تجربة القوّة الشيطانية هي تجربة خطيرة وبإمكانها أن تقود الرئيس إلى الاكتفاء بذاته لا إلى تتميم خدمته بتواضع.

٣- إن طلب المجد عند المسيحي لا يكون شرعياً وجديراً بالمديح إلاّ إذا كان منطلقاً من رغبة التمثل بآلام ابن الإنسان. يجب أن يكون مجد المسيحيّ في الاستشهاد كما كان الصليب بالضبط مجد يسوع. مجد غير هذا يمكن أن يأتي من عروض الشيطان.

شفاء الأعمى بارتماوس في أريحا:

٤٦ وَجَاءُوا إِلَى أرِيحَا. وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ مِنْ أَرِيحَا مَعَ تَلاَمِيذِهِ وَجَمْعٍ غَفِيرٍ، كَانَ بَارْتِيمَاوُسُ الأَعْمَى ابْنُ تِيمَاوُسَ جَالِسًا عَلَى الطَّرِيقِ يَسْتَعْطِي. ٤٧ فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ، ابْتَدَأَ يَصْرُخُ وَيَقُولُ:«يَا يَسُوعُ ابْنَ دَاوُدَ، ارْحَمْنِي!» ٤٨ فَانْتَهَرَهُ كَثِيرُونَ لِيَسْكُتَ، فَصَرَخَ أَكْثَرَ كَثِيرًا:«يَا ابْنَ دَاوُدَ، ارْحَمْنِي!». ٤٩ فَوَقَفَ يَسُوعُ وَأَمَرَ أَنْ يُنَادَى. فَنَادَوُا الأَعْمَى قَائِلِينَ لَهُ:«ثِقْ! قُمْ! هُوَذَا يُنَادِيكَ». ٥٠ فَطَرَحَ رِدَاءَهُ وَقَامَ وَجَاءَ إِلَى يَسُوعَ. ٥١ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ:«مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ بِكَ؟» فَقَالَ لَهُ الأَعْمَى:«يَا سَيِّدِي، أَنْ أُبْصِرَ!». ٥٢ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ:«اذْهَبْ. إِيمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ». فَلِلْوَقْتِ أَبْصَرَ، وَتَبِعَ يَسُوعَ فِي الطَّرِيقِ. (مرقس ١٠: ٤٦-٥٢، متى ٢٠: ٢٩-٣٤، لوقا ١٨: ٣٥-٤٣).

تقع عجيبة شفاء الأعمى، وهي الأخيرة قبل الآلام، حسب الأناجيل الإزائية فيما كان يسوع خارجاً من أريحا (الواقعة على بعد ٣٠ كلم شمال شرقي أورشليم). وهي حادثة نادرة يُذكر فيها اسم الذي شُفي. وقد يكون بارتماوس هذا، كما يقول بعض المفسّرين، قد أصبح فيما بعد عضواً معروفاً في الكنيسة. عندما سمع الأعمى المستعطي ضجة الجمع واستعلم وعرف أن يسوع الناصر عابرٌ أخذ يناشد الرحمة صارخاً "يا يسوع يا ابن داود ارحمني" (الآية ٤٨). وبالرغم من توبيخ الناس له لازم طلبه مستمراً في الصراخ. لم ينتهرْه يسوع ولم يرفض مثل هذا اللقب المسياني الذي أُطلق عليه في بعض المواقف الأخرى (أنظر مثلاً متّى ٩: ٢٧ الأعميان، ١٢: ٢٣، ١٥: ٢٢ الكنعانية، وغيرها)، إلا أنه لا يقبل بفكرة المسيا السياسي التي يربطها اليهود بمثل هذا اللقب.

يستجيب هنا يسوع لطلب الأعمى مادحاً إيمانه أيضاً في الآية ٥٢. والجدير بالذكر أنه في هذه العجيبة لا يتوخى كالعادة المحافظة على سرّيتها. ويدلّ عدم نكرانه اللقب المسياني، الذي أطلقه عليه الأعمى، على أنه ابن داود بالفعل، علماً انه يتوجّه إلى الآلام من أجل خدمة البشرية، وتقديم حياته "فدية عن كثيرين" (١٠: ٤٥). إنَّ منحه النور للأعمى هو إحدى الهبات المسيانية وفقاً للنبوءات عن المسيا (أنظر أشعيا ٢٩: ١٨، ٣٥: ٥، ٤٢: ٧، ٦١: ١). في حين أن الفريسيين لا يرون في شخص يسوع بداية زمن مسياني، ولذلك يوصفون "بالعميان" (أنظر

مثلاً متّى ١٥: ١٤، ٢٣: ١٦)، نرى هذا الأعمى ينظر إليه ويعترف به ابناً لداود وبعد شفائه "يتبعه" كتلميذ له.

في الآية ٥٠، بدل العبارة و "طرح رداءه"...، يرد في مخطوطة أخرى "ووضع رداءه". إن طرح الرداء لكي يسرع الواحد بسهولة أكبر عادة معروفة في العالم الهلّيني، بينما تُعتبر العبارة "ووضع الرداء" محاولة للإنسجام مع العادة الشرقية التي بموجبها يبسط المستعطي رداءه أمامه لكي يجمع التبرّعات ويرتديه كلّما أراد أن ينهض ويتحرّك.

بالنسبة للأناجيل الإزائية ترتبط هذه العجيبة مكانياً بأريحا وزمنياً بمرحلة ما قبل الصعود إلى أورشليم. عند لوقا تحصل الحادثة "لما اقترب من أريحا"، بينما عند مرقس تحصل عند خروجه مع تلاميذه من أريحا. إضافة إلى ذلك يتكلّم متّى عن شفاء أعميين. ولذلك يُطرح السؤال جدّياً عما إذا كان الإنجيليون الثلاثة يتكلّمون عن الحدث نفسه أم أنهم يتكلّمون عن أحداث مختلفة! لقد أعطيت أجوبة مختلفة منذ القديم لهذا السؤال:

١- عند الكثيرين من المفسّرين القدماء تسود النظرية القائلة إن متّى كشاهد عيان هو الأقرب من الوقائع التاريخية عندما يذكر أعميين. ومن بين هذين الأعميين يذكر مرقس ولوقا الأشهر. أي أنهما يذكران ذاك الذي كان مشهوراً ومعروفاً في المنطقة ربما بسبب انتمائه المسيحي الذي اكتسبه بعد شفائه (يتبنّى هذه النظرية كل من ثيوفيلكتوس، فكتور الأنطاكي...).

٢- يرفض المفسّر زيغافنوس هذه النظرية إذ يعرض وجهة نظره: "وأنا أعتقد أنه مختلف عن الأعميين الآخرين (عند متى). الأعمى عند مرقس طرح عنه الرداء من أجل السرعة وحصل على الشفاء بدون أي لمس، في حين أن الذي جاء عند لوقا حصل على الشفاء بينما كان يسوع يقترب من أريحا وليس عند خروجه منها". والجدير بالذكر أن وجهة النظر هذه تتفق مع رأي القديس يوحنا الذهبي الفم. هذه النظرية التي تتكلّم عن أحداث مختلفة وعن أربعة عميان موجودة عند أوريجنس (Origene) الذي يضع الأحداث بالتسلسل التالي: "يمكن أن يكون أعمى لوقا قد ظهر عند اقتراب يسوع من أريحا، وأعمى مرقس عندما دخلها، وأعميا متى عندما عبر عنها". يعطي أوريجنس هذا التفسير للذين يهتمون فقط بالتاريخ "الدقيق" وبالمقارنة بين الروايات الإنجيلية. أمّا بالنسبة للذين يفتشون عن جوهر الروايات فيقول: "لقد عُرض موضوع واحد في أشكال مختلفة".
وبعدها يعرض تفسيره الرمزي الذي يقول (انسجاماً مع التفسير الرمزي لمثل السامري الشفوق) إن أريحا هي العالم، والخروج منها هو الابتعاد عن الاهتمامات الدنيوية، والأعميان هما مملكتا إسرائيل ويهوذا، والأعمى الواحد (حسب رواية مرقس ولوقا) هو الشعب كله الجالس على "الطريق"، طريق الناموس والأنبياء، يستعطي الشفاء من عماه من يسوع العابر فيستجيب هذا الأخير لطلبه.

٣- يقول القديس امبروسيوس أن الأعميين قدّما إلى يسوع عند دخوله أريحا طالبين الشفاء، ثم حصلا على مطلبهما عند الخروج من المدينة. إلا أن هذه النظرية لا تنطبق على أية من الروايات الإنجيلية.

٤- حسب المغبوط أوغسطين، من بين الأعميين المذكورين عند متى، شُفي الواحد عند الدخول إلى المدينة الثاني عند الخروج منها.

٥- وحسب البعض الآخر تُحلّ المشكلة إنْ أخذناها بعين الاعتبار المعلومات الواردة عند يوسيفوس الذي يقول أن هناك مدينتين باسم أريحا وهما أريحا القديمة وأريحا الجديدة، وأن العجيبة حصلت عند الخروج من الواحدة والدخول إلى الأخرى. ويتكلّم متى ومرقس عن المدينة القديمة ولوقا عن الجديدة.

٦- إذ أخذنا بعين الاعتبار التفاسير الحديثة لمدرسة تاريخ الإشكال (Formgeschichte) للأناجيل والصلات اللغوية الموجودة بينها، نجد بسهولة أن الروايات هذه تشهد قبل كل شيء على سلطة يسوع المسيانية قبيل آلامه بوقت قصير. والحدث نفسه يُعرض بأشكال مختلفة عند الإنجيليين الثلاثة طبقاً للتقليد الذي كان في ذهن كل واحد.

هذه النظرية الأخيرة، التي هي الأصح حسب وجهة نظرنا، تدعمها العناصر التالية: يريد الإنجيليون الثلاثة بجملتهم أن يقولوا من خلال رواياتهم أنَّ يسوع، الذي لم يعرفه الجمع ولا تلاميذه، يعترف به العميان كمسيّا ("ابن داود"). والرواية ما هي إلاّ مثال يقدّمه الإنجيليون بمناسبة زيارة يسوع لأريحا قبل آلامه. طبعاً لا يعني هذا أن يسوع شفى أعمى واحداً إذ نعلم أنه قد منح "النظر" إلى عميان كثيرين. فالإنجيليون يتكلّمون في أماكن عدة عن شفاء جماعات من العميان (أنظر متّى ١٢: ٢٢...، ١٥: ٣٠، ٢١: ١٤ وغيرها). لكن الإنجيليين الثلاثة لا يهدفون من خلال رواياتهم أن يعطوا توقيتاً لتحرّك يسوع وأعماله الشفائية اليومية بشكل متسلّسل. إنهم يختارون من بين هذه الأشفية الكثيرة التي صنعها يسوع نماذج تشدّد كلها على حقيقة واحدة: سلطة يسوع المسيانية وتحقيق نبوءات العهد القديم به. إن كان شفاء أعمى أريحا المسياني قد ورد بأشكال مختلفة في الأناجيل الثلاثة، فهذا يعود إمّا إلى التقليد الكنسي الذي كان لدى كل واحد منهم أو إلى الأهداف التي يسعى وراءها الإنجيليون الثلاثة. هكذا فإن تقليد متّى يتكلّم عن أعميين وعن شفائهما عند خروج يسوع من أريحا، ويتفق تقليد مرقس مع ذلك مضيفاً اسم الأعمى الذي شُفي، أمّا تقليد لوقا فيضع شفاء الأعمى قبل دخول يسوع إلى أريحا عندما كان يقترب من المدينة.

إن كنّا نهمل هذه الاختلافات ونفحص الروايات عن قرب ندرك من خلال علامات كثيرة أنها تشهد كلّها بأن الحدث هو إياه عند الإنجيليين الثلاث

الإصحاح الحادي عشر

و – الدخول إلى أورشليم والتعاليم الأخيرة قبل الآلام
١١: ١ - ١٣: ٣٧

في هذا القسم الأخير السابق لرواية الآلام في إنجيل مرقس، يجري الحديث عن أعمال يسوع في أورشليم بعد دخوله الظافر إليها. يجد بعض المفسرين في رواية مرقس هذه ترتيباً لتلك الأعمال موزّعاً على ثلاثة أيام (أو أربعة). هذا الترتيب غير وارد في باقي الأناجيل، وهو كالآتي:

*

في اليوم الأول (١١: ١-١١) الدخول إلى أورشليم وزيارة الهيكل، والانتهاء مساءً في بيت عنيا.
*

في اليوم الثاني (١١: ١٢-١٩) حادثة التينة اليابسة- وتطهير الهيكل.
*

في اليوم الثالث (١١: ٢٠ - ٢: ١٧) المناقشة حول الإيمان، وسؤال رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ عن السلطة، ومثل الكرامين القتلة، والسؤال عن إعطاء الضريبة لقيصر.
*

في اليوم الرابع (١٢: ١٨ - ١٣: ٣٧) قيامة الموتى، أولى الوصايا، الأرملة الفقيرة والحديث عن نهاية العالم.

لكن إن كانت صحيحة النظرية التي تقول إنه بين الآيتين ١٢: ١٧ و١٢: ١٨ يدخل مقطع يوحنا ٧: ٥٣ - ٨: ١١ عن الإمرأة الزانية، وبعد أخذنا بعين الاعتبار ما جاء في الآية ١٤: ١ "وكان الفصح بعد يومين"، نجدُ أن أعمال يسوع الأخيرة في أورشليم تستغرق أسبوعاً كاملاً. يضع مفسّرون آخرون كل الحوادث الموجودة في المقطع (١٢: ٢٠ - ١٣: ٣٧) في اليوم الثالث. وأخيراً، منهم من يعتقد أن الإنجيلي يقدّم هنا تعاليم مأخوذة من لحظات ليسوع سابقة ومختلفة.

على كل حال، ما يهمّ الإنجيليين قبل كل شيء ليس هو التوقيت الزمني الدقيق لأعمال يسوع بل تفسيرها كتعبير عن محبّة الله للعالم، تلك المحبة التي سوف تصل إلى أوجها على الصليب.

الدخول إلى أورشليم:

"١ وَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى بَيْتِ فَاجِي وَبَيْتِ عَنْيَا، عِنْدَ جَبَلِ الزَّيْتُونِ، أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، ٢ وَقَالَ لَهُمَا:«اذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، فَلِلْوَقْتِ وَأَنْتُمَا دَاخِلاَنِ إِلَيْهَا تَجِدَانِ جَحْشًا مَرْبُوطًا لَمْ يَجْلِسْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ. فَحُلاَّهُ وَأْتِيَا بِهِ. ٣ وَإِنْ قَالَ لَكُمَا أَحَدٌ: لِمَاذَا تَفْعَلاَنِ هذَا؟ فَقُولاَ: الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ. فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُهُ إِلَى هُنَا». ٤ فَمَضَيَا وَوَجَدَا الْجَحْشَ مَرْبُوطًا عِنْدَ الْبَابِ خَارِجًا عَلَى الطَّرِيقِ، فَحَلاَّهُ. ٥ فَقَالَ لَهُمَا قَوْمٌ مِنَ الْقِيَامِ هُنَاكَ:«مَاذَا تَفْعَلاَنِ، تَحُلاَّنِ الْجَحْشَ؟» ٦ فَقَالاَ لَهُمْ كَمَا أَوْصَى يَسُوعُ. فَتَرَكُوهُمَا. ٧ فَأَتَيَا بِالْجَحْشِ إِلَى يَسُوعَ، وَأَلْقَيَا عَلَيْهِ ثِيَابَهُمَا فَجَلَسَ عَلَيْهِ. ٨ وَكَثِيرُونَ فَرَشُوا ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ. وَآخَرُونَ قَطَعُوا أَغْصَانًا مِنَ الشَّجَرِ وَفَرَشُوهَا فِي الطَّرِيقِ. ٩ وَالَّذِينَ تَقَدَّمُوا، وَالَّذِينَ تَبِعُوا كَانُوا يَصْرُخُونَ قَائِلِينَ:«أُوصَنَّا! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! ١٠ مُبَارَكَةٌ مَمْلَكَةُ أَبِينَا دَاوُدَ الآتِيَةُ بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي!».
١١ فَدَخَلَ يَسُوعُ أُورُشَلِيمَ وَالْهَيْكَلَ، وَلَمَّا نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ إِذْ كَانَ الْوَقْتُ قَدْ أَمْسَى، خَرَجَ إِلَى بَيْتِ عَنْيَا مَعَ الاثْنَيْ عَشَرَ." (مرقس١١: ١-١١، متى٢١: ١-١١، لوقا١٩: ٢٩-٤٠).

عندما دخل يسوع مع تلاميذه إلى أورشليم لاقى استقبالاً مسيانياً. إن كان سوف يعاني الموت بعدئذ مخيّباً آمال تلاميذه فهو بهذا يتمّم حتى النهاية دور العبد المتألّم الذي يطيع مشيئة الآب، لكنه يعرف الآلام مسبقاً وينبئ عنها تلاميذه بصورة واضحة. من جهة ثانية يبادر إلى صنع أعمال تدلّ على أنه سيد الموقف وأنه يقوم بكل شيء طوعاً باختياره. هذا المعنى نجده في البداية عند إرساله اثنين من تلاميذه إلى القرية ليجدا جحشاً في مكان محدّد (الآيات ٢-٦) فيُحضراه لكي يجلس عليه وهو داخل إلى أورشليم. من الملاحظ أنه يدعو نفسه "الرب" ويطلب أن يستخدم بنفسه ولأول مرّة هذا الجحش "الذي لم يجلس عليه أحد من الناس". فإلى جانب سابق معرفته يبرهن عن سيادته لكي يرى تلاميذه أنه، عندما يأتي إلى الآلام، سوف يتقبلها طوعاً باختياره لا خضوعاً لسلطان اليهود أو الرومان.

بعد تنفيذ طلبه، يجلس يسوع على الجحش ويدخل من جهة جبل الزيتون إلى أورشليم. ومن الملاحظ أولاً أن ظهور المسيا كان منتظراً من جهة جبل الزيتون حسب التوقعات اليهودية. ويتكلم متى عن إتان وعن جحش مستشهداً بمقطع زخريا ٩: ٩ الذي يقول أن المسيا سوف يأتي "وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان" (متى ٢١: ٥).

إن حماس الجمع والصراخ، كما في المزمور ١١٨: ٢٥ "أوصنا" (أي ياربّ أعنّا)، يدلاّن على أن الجمع هيأ استقبالاً مسيانياً ليسوع الداخل. ولكن تُطرح هنا بعض الأسئلة: إن كان الجمع، الذي ليس عنده في الواقع مفهوم عميق لرسالة يسوع المسيانية الحقيقية، يستقبل يسوع كمسيا سياسي (حسب توقعات اليهود في ذلك العصر)، فكيف يرضى يسوع بمثل هذه المظاهر خصوصاً وأنه إلى الآن تجنّب كلياً هذه الظاهر وحتى مناداته بالمسيا؟ أيضاً كيف نفسّر عدم مقاومة الرومان في الحال مثل هذا الاستقبال؟ عن هذه الأسئلة وما شابهها نجيب مؤكدين على أن النصوص الإنجيلية تحمل بخاصّةٍ وقبل كل شيء طابعاً لاهوتياً. يريد الإنجيليون أن يقولوا لنا إن المسيا يدخل في آخر عمل مسياني له في حياته الأرضية، هذا العمل الذي سوف يقوده إلى الصليب. ومما لا شك فيه أن العالم بقي عند حدود المظاهر الحماسية ولم يدرك رسالة المسيا العميقة. لقد قبل يسوع مثل هذه المظاهر من زاوية موقفه التربوي العام أمام الشعب. وبما أن الرومان لم يتدخلوا، فهذا يعني أن دخوله لم يأخذ أبعاداً كبيرة أو أنهم في النهاية لم يروا في ذلك خطراً مهدداً إياهم.

دخل يسوع إلى أورشليم وتوجّه إلى الهيكل (الآية ١١) حيث "نظر حوله إلى كل شيء" (هذا الفعل محبب جداً عند مرقس الإنجيلي)، ثم خرج وكان المساء إلى بيت عنيا مع الاثني عشر. تبعد بيت عنيا (بيت النخيل، أو بيت الفقراء، أو بيت حننيا) ٣ كلم عن أورشليم وتقع على الطريق المؤدّية إلى أريحا شرقي جبل الزيتون. كانت تسكن فيها عائلة لعازر المرتبطة مع يسوع بعلاقات صداقة (أنظر يوحنا ١١: ١ و١٨، ١٢: ١). أما بيت فاجي (= بيت التين) التي يرد اسمها في مرقس ١١: ١، فلا نعرف بالضبط أين توجد، ولربما كانت وسط الطريق بين أورشليم وبيت عنيا.

التينة العديمة الثمر:

" ١٢ وَفِي الْغَدِ لَمَّا خَرَجُوا مِنْ بَيْتِ عَنْيَا جَاعَ، ١٣ فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهَا وَرَقٌ، وَجَاءَ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا شَيْئًا. فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَجِدْ شَيْئًا إِلاَّ وَرَقًا، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقْتَ التِّينِ. ١٤ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا:«لاَ يَأْكُلْ أَحَدٌ مِنْكِ ثَمَرًا بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ!». وَكَانَ تَلاَمِيذُهُ يَسْمَعُون." (مرقس ١١: ١٢-١٤، متى ٢١: ١٨-١٩، لوقا ١٣: ٦-٩).

بعد أن أمضى الليل في بيت عنيا يتوجه يسوع مع تلاميذه مرّة أخرى إلى أورشليم. وفي الطريق جاع ورأى شجرة تين عليها ورق. فاقترب منها حتى يجد ثمراً، فلم يحظ بذلك. فلعن عندئذ التينة حتى لا تعود تثمر من بعد. طبعاً لم يكن وقت التين كما أشار الإنجيلي. لكن طالما أن هنالك ورقاً على الشجرة، كان يمكن في مثل

ذلك الوقت (الربيع، الوقت القريب من المفصح) أن يجد الواحد تيناً شتوياً ينضج متأخراً أي في الربيع.

إنها المرة الوحيدة التي تخرج فيها لعنة من فم يسوع. من الواضح أنه يرى من خلال التينة الشعب اليهودي الذي لم يأتِ بالثمار المتوقعة. أما الحكم على التينة فهو يرمز إلى الدينونة التي جاء بها المسيا إلى الشعب اليهودي العديم الثمر. يحمل مثل هذا الحكم إلى أذهاننا عبارات مماثلة للأنبياء كمثل عبارة أرميا: "ويجمعون أثمارهم يقول الرب: لا عنب في الجفنة ولا تين في التينة. قد سقط الورق" (ارميا ٨: ١٣). ويلاحظ ثيوفيلكتوس أن المسيح يلعن التينة لكي يظهر للتلاميذ "أن بإمكانه أن يؤذي، وإن شاء يمكنه بلحظة واحدة أن يُهلك الذين سوف يصلبونه، فهو يظهر قوته في الشجر العديمة الحسّ". وهكذا بعد أن فسّر الآباء القديسون أولاً أن التينة ترمز إلى الشعب اليهودي، يتفقون في الرأي الذي يؤكد على خطر العقاب لكل مسيحي لا يأتي بثمر.

يروي متى أيضاً حادثة التينة (متى ٢١: ١٨-١٩)، بينما يذكر لوقا مثلاً عن التينة العديمة الثمر (لوقا ١٣: ٦-٩) حيث يؤكد على الفرصة الأخيرة التي يمنحها الله لتوبة اليهود (وتالياً توبة كل إنسان) قبيل الأخرة.

تطهير الهيكل:

"١٥ وَجَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَلَمَّا دَخَلَ يَسُوعُ الْهَيْكَلَ ابْتَدَأَ يُخْرِجُ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ، وَقَلَّبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكَرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ. ١٦ وَلَمْ يَدَعْ أَحَدًا يَجْتَازُ الْهَيْكَلَ بِمَتَاعٍ. ١٧ وَكَانَ يُعَلِّمُ قَائِلاً لَهُمْ:«أَلَيْسَ مَكْتُوبًا: بَيْتِي بَيْتَ صَلاَةٍ يُدْعَى لِجَمِيعِ الأُمَمِ؟ وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ». ١٨ وَسَمِعَ الْكَتَبَةُ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ فَطَلَبُوا كَيْفَ يُهْلِكُونَهُ، لأَنَّهُمْ خَافُوهُ، إِذْ بُهِتَ الْجَمْعُ كُلُّهُ مِنْ تَعْلِيمِهِ. ١٩ وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ، خَرَجَ إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ." (مرقس ١١: ١٥-١٩، متى ٢١: ١٢-١٣، لوقا ١٩: ٤٥-٤٧).

يشكل الهيكل مركز العبادة اليهودية. وقد قام المسيح بعم عظيم إذ طهّر الهيكل من البائعين والمشترين وغيرهم الذين حوّلوه من "بيت صلاة" (اشعيا ٥٦: ٧) إلى "مغارة لصوص" (ارميا ٧: ١١). هذا العمل يدلّ على أنه المسيّا المعطى سلطاناً من الله لكي يزيل العبادة القديمة ويوطّد نظاماً جديداً هو العبادة بالروح.

كانت إدارة الهيكل تسمح أن توضع الحيوانات التي للبائعين واللازمة من أجل الذبائح في الساحة الخارجية (المدعوة ساحة الأمم) وكذلك ما يلزم "الصيارفة"

الذين كانوا يبدّلون الدراهم الرومانية إلى عبرانية لكي يسدد اليهود ضريبة الهيكل التي كانت مفروضة على كل إسرائيلي تجاوز العشرين من عمره (أنظر خروج ٣٠: ١١-١٦، ومتى ١٧: ٢٤-٢٧).

إن مثل هذا التساهل مع البائعين يخدم الزائرين ويأتي بأموال باهظة تعود إلى رؤساء الكهنة. تذكر المصادر الربّانية عائلة رئيس الكهنة حنّان كمنتفعة رئيسية من هذه الأرباح. أما تدنيس الهيكل فيأتي حسب الآية ١٦ من الناس الذين كانوا يجتازون الهيكل مع أمتعتهم وهم خارجون ليختصروا الطريق، وهذا بالضبط ما وقف يسوع ضده ومنعه. وتختصر أقوال يسوع القاسية، الواردة عند أشعيا ٥٦: ٧ وارميا ٧: ١١، كل ما تلفظ به يسوع من شدّة غيظه، وهي ليست موجَّهة فقط إلى البائعين المطرودين بل أيضاً إلى رؤساء الكهنة المسؤولين عن مثل هذا الوضع والذين أخذوا يتحينون الفرص لكي يضعوا حداً لنشاط مثل هذا النبي المزعج. فأصبح الصِدام بين ممثلي اليهود والمسيح فيما يلي محتّماً.

يضع مرقس حادثة تطهير الهيكل في اليوم الثاني من مجيء المسيح إلى أورشليم، بينما يضعها متى ولوقا في اليوم الأول مباشرةً بعد الدخول المسياني. أمّا يوحنا الإنجيلي فيضعها في بداية عمل المسيح العلني (يوحنا ٢: ١٣-٢٢). من الطبيعي أن تحصل الحادثة في نهاية عمل المسيح (كما جاء في الأناجيل الإزائية) مما يتيح فرصة لرؤساء اليهود الدينيين للقبض عليه. إضافةً إلى ذلك يجب أن نلاحظ أن الإنجيليين يوردون الحدث كلاهوتيين ليس كمؤرخين جافين. كثيراً ما يُدفع الكاتب بسبب هدفٍ معيّن إلى عدم الاهتمام بالتوقيت الزمني لحادثة أو تعليم ما، فيجعله ضمن وحدات يتحدّد مكانها على ضوء ذلك الهدف. هكذا يريد يوحنا قبل كل شيء أن يؤكد على زوال الشريعة القديمة وبداية العبادة الجديدة، مما يدفع يوحنا إلى جعل حادثة التطهير ضمن هذا الإطار يتفق مع الإطار الخارجي.

التعليم حول الإيمان:

"٢٠ وَفِي الصَّبَاحِ إِذْ كَانُوا مُجْتَازِينَ رَأَوْا التِّينَةَ قَدْ يَبِسَتْ مِنَ الأُصُولِ، ٢١
فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ:«يَا سَيِّدِي، انْظُرْ! اَلتِّينَةُ الَّتِي لَعَنْتَهَا قَدْ يَبِسَتْ!» ٢٢ فَأَجَابَ
يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ :«لِيَكُنْ لَكُمْ إِيمَانٌ بِاللهِ. ٢٣ لأَنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ قَالَ لِهذَا
الْجَبَلِ: انْتَقِلْ وَانْطَرِحْ فِي الْبَحْرِ! وَلاَ يَشُكُّ فِي قَلْبِهِ، بَلْ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ يَكُونُ،
فَمَهْمَا قَالَ يَكُونُ لَهُ. ٢٤ لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ حِينَمَا تُصَلُّونَ، فَآمِنُوا أَنْ
تَنَالُوهُ، فَيَكُونَ لَكُمْ. ٢٥ وَمَتَى وَقَفْتُمْ تُصَلُّونَ، فَاغْفِرُوا إِنْ كَانَ لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ،
لِكَيْ يَغْفِرَ لَكُمْ أَيْضًا أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ زَلاَتِكُمْ. ٢٦ وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا أَنْتُمْ لاَ يَغْفِرْ
أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ أَيْضًا زَلاَتِكُمْ." (مرقس ١١: ٢٠-٢٦، متى ٢٠-٢٢).

تعطي رؤية التينة اليابسة ليسوع الفرصة للتكلّم عن قوّة الإيمان (الآيات ٢٢-٢٤). فصورة نقل الجبل لها معنى إنجاز أمر صعب تحقيقه، ولا يوجد حاجز أمام الإنسان المؤمن إيماناً عميقاً وحقيقياً. ترد العبارة "اقتلاع الجبال" في الأدب الربّاني بشكل مثل، ولها معنى إنجاز شيء صعب تحقيقه في الظاهر. يورد الإنجيليون كذلك أقوالاً مماثلة للآيات ٢٢-٢٤ في أماكن أخرى: في متى ١٧: ٢٠ بمناسبة شفاء الشاب المصروع، في لوقا ١٧: ٦ حيث يتكلّم عن الجميّزة بدل الجبل، أنظر أيضاً ١كور ١٣: ٢ "إن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لي محبة فلست شيئاً". بمناسبة ذكر الصلاة في الآية ٢٤ يتكلم بالتالي في الآية ٢٥ عن مسامحة الأخوة كشرط للصلاة ولغفران الله. ترد هذه الأقوال أيضاً في الموعظة على الجبل (أنظر متى ١٤: ٦). تضيف بعض المخطوطات في الآية ٢٦ الكلام التالي الذي يأتي في الموعظة على الجبل "وإن لم تغفروا للناس زلاّتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم" (متى ٦: ١٥).

"سلطان" المسيا:

"٢٧ وَجَاءُوا أَيْضًا إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَفِيمَا هُوَ يَمْشِي فِي الْهَيْكَلِ، أَقْبَلَ إِلَيْهِ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ وَالشُّيُوخُ، ٢٨ وَقَالُوا لَهُ:«بِأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ هذَا؟ وَمَنْ أَعْطَاكَ هذَا السُّلْطَانَ حَتَّى تَفْعَلَ هذَا؟» ٢٩ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ:«وَأَنَا أَيْضًا أَسْأَلُكُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً. أَجِيبُونِي، فَأَقُولَ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هذَا ٣٠ مَعْمُودِيَّةُ يُوحَنَّا: مِنَ السَّمَاءِ كَانَتْ أَمْ مِنَ النَّاسِ؟ أَجِيبُونِي». ٣١ فَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ قَائِلِينَ:«إِنْ قُلْنَا: مِنَ السَّمَاءِ، يَقُولُ: فَلِمَاذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ؟ ٣٢ وَإِنْ قُلْنَا: مِنَ النَّاسِ». فَخَافُوا الشَّعْبَ. لأَنَّ يُوحَنَّا كَانَ عِنْدَ الْجَمِيعِ أَنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ نَبِيٌّ. ٣٣ فَأَجَابُوا وَقَالُوا لِيَسوع:«لاَ نَعْلَمُ». فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ:«وَلاَ أَنَا أَقُولُ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هذَا»." (مرقس ١١: ٢٧-٣٣، متى ٢١: ٢٣-٢٧، لوقا ٢٠: ١-٨).

بينما كان يسوع بعد في الهيكل سأله رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ ممن أخذ هذا السلطان ليعمل "كل ذلك". ويشير السائلون على الأرجح إلى تدّخل يسوع القويّ في الهيكل. ولا يبدو أن السؤال قد طرح عليه بصورة رسمية وكأنه صادر عن الجمع الكبير اليهودي، بل هو على الأرجح سؤال طرح في مناقشة خاصة. وبدل الجواب يطرح عليهم يسوع سؤالاً قائلاً: هل كانت معمودية يوحنا "من السماء أم من الناس" أي هل كان مصدرها إلهياً أم إنسانياً؟ كان المأزق صعباً لأنهم أخذوا يفكرون هكذا: إن أجابوا من السماء سوف يوبّخهم يسوع لأنهم لم يؤمنوا بكرازة يوحنا (وتالياً بإعلانه السابق عن المسيا)، كذلك لم يكن باستطاعتهم

إنكار رسالة يوحنا الإلهية لأنهم كانوا يخافون الشعب الذي كان يكرّم يوحنا كثيراً ويعتبره كنبي.

في رفضهم الإجابة (مدّعين أنهم لا يعلمون) يقول يسوع أنه هو أيضاً لا يعلم بأي سلطان يفعل كل ذلك. لا يتهرّب إذاً من مواجهة الرؤساء اليهود في الوقت المناسب لأن ساعة الاصطدام باتت على الأبواب.

بهذه المناقشة تبدأ مناقشات ليسوع مع اليهود. كانت هذه أولاها، وقد بدأها أعضاء المجمع اليهودي. المناقشة الثانية يبدأها الفريسيون الهيرودسيون (١٢: ١٣-١٧)، الثالثة الصدوقيّون (١٢: ١٨-٢٧)، الرابعة واحد من الكتبة (١٢: ٢٨-٣٤)، الخامسة يبدأها يسوع نفسه (١٢: ٣٥-٣٧). يجد المفسّرون صلة وشبهاً بين هذه المناقشات التي حصلت في أورشليم وتلك التي حصلت في الجليل (مرقس ٢: ١ - ٣: ٦).

باقية الاصحاحات غير متوفرة لدينا

حاشية الاصحاح الاول

(١) في العهد القديم كان ينزل الروح القدس ويُمنح للآباء والأنبياء بصورة مؤقتة **prosorinos**، بينما يأتي الروح القدس ويُمنح للناس في العهد الجديد بصورة دائمة **monimos**.

(٢) مثلاً متى ٤: ٢٤ (فأحضروا إليه جميع السقماء بأمراض وأوجاع مختلفة والمجانيين والمصروعين والمفلوجين فشفاهم).

(٣) "روح الرب عليَّ لأنه مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر، وأرسل المنسحقين إلى الحرية...".

(٤) المخطوطة D تستعمل بدلاً منها كلمة "فغضب"

حاشية الاصحاح الثانى

(١) باليوناني **nymphios** العريس أو الخَتَنْ .....

حاشية الاصحاح الثالث

(١) النصوص الأبوكريفية أو المنحولة هي التي تُنسب إلى أشخاص معروفين كالرسل دون أن تكون من تأليفهم ودون أن تثبتها الكنيسة على غرار الأناجيل الأربعة مثلاً. إنما تعتبر الكنيسة كثيراً من الكتب الأبوكريفية مفيدة للمطالعة.

(٢) يقال له المدعوّ أولاً لأنه صار أول تلميذ ليسوع حسب رواية يوحنا ١: ٣٧. يعني اسمه في اليونانية شجاع.

(٣) قرب كفرناحوم على شاطئ بحيرة طبريا. تعني الكلمة مكان للصيد.

(٤) أي المتعلّق بالمسيح.

(٥) أي الأخروي في أخر الأيا

حاشية الاصحاح الرابع

(١) الغنوصية حركة فلسفية دينية في القرون الأولى ترتكز على المعرفة (gnosis).

حاشية الاصحاح السادس

(١) هناك شهادة في رسالة يعقوب ٥: ١٤ لمسحة الزيت لصحة النفس والجسد.

(٢) يتلى المقطع في الكنيسة في يوم عيد قطع رأس يوحنا المعمدان (٢٩ آب)، وهو يوم صوم.

(٣) حسب المؤرخ يوسيفوس لم تكن هيروديا زوجة فيلبس بل زوجة أخ آخر لهيرودس انتيبا يدعة هو أيضاً هيرودس. وكانت هيروديا قد حصلت منه على ابنتها سالومي التي فيها بعد تزوّجت من فيلبس. أمّا هيرودس انتيبا فكان متزوجاً من ابنة ملك النبطيين الحارث التي طلّقها لكي يأخذ هيروديا مما جرّه إلى حرب ضد الملك الحارث وقد غُلب فيها. وانتقل هيرودس انتيبا لاحقاً إلى روما لكي يطالب بلقب ملك (كان قبلاً رئيس ربع)، لكن الأمبراطور كاليغولا بدلاً من إعطائه اللقب نفاه إلى ليون في فرنسا وتبعته إلى هناك هيروديا، وبعدها ذهب إلى اسبانيا حيث توفي سنة ٤١ بعد المسيح.

(٤) أي له علاقة بسرّ الشكر، بسرّ الافخارستيا أي القداس الإلهي والمناولة.

(٥) أي له علاقة بسرّ الشكر، بسرّ الافخارستيا أي القداس الإلهي والمناولة.

(٦) كُتب إنجيل يوحنا في نهاية القرن الأول أي بعد تأليف الأناجيل الإزائية.

(٧) نذكّر أن الشعب كان يريد أن يعلنه ملكاً حسب رواية الإنجيلي يوحنا